الكويت في عهدَي

جابر بن عبد اللّه الصباح

الحاكم الثالث (1814 - 1859)

و

صباح بن جابر الصباح

الحاكم الرابع (1859 - 1866)

دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

سعاد محمد الصباح

الناشر

دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

ص ب: 27280 - الصفاة

الرمز البريدي: 13133

souadalsabah@yahoo.com

الطبعة الأولى 2021

حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه أو ترجمته بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الترقيم الدولي:

978-99906-2-112-9

* لوحة الغلاف بريشة الفنان عبدالرسول سلمان، رسم تقريبي للشيخ جابر بن عبد الله الصباح والشيخ صباح بن جابر الصباح بناء على مقاربات تاريخية وأوصاف ورد بعضها في ثنايا هذا الكتاب..

الكويت في عهدَي

جابر بن عبد اللّه الصباح

الحاكم الثالث (1814 - 1859)

و

صباح بن جابر الصباح

الحاكم الرابع (1859 - 1866)

سعاد محمد الصباح

دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى ذكرى رفيق الدرب زوجي وصديقي ومعلمي

الشيخ عبد الله مبارك الصباح

أحد أهم بناة نهضة الكويت الحديثة

الذي أوصاني بالبحث في تاريخ آل الصباح

وتوثيق دورهم في بناء الكويت وتطورها واستقرارها

سعاد محمد الصباح

لماذا هذا الكتاب؟

تستلهم الشعوب من تاريخها عناصر قوتها وإرادتها ووحدتها الوطنية لتحقيق تطلعاتها وأمانيها؛ ولذلك اهتممتُ بالكتابة عن الشخصيات التي تركت بصماتها على تاريخ الكويت، فصدر لي أربعة كتبٍ؛ أولها عن الشيخ عبدالله مبارك الصباح، والثاني عن والده الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت السابع، ثم كتاب عن الشيخ عبدالله بن صباح الصباح الحاكم الخامس للكويت، وفي الرابع تحدثت عن عهد الشيخ محمد بن صباح الصباح الحاكم السادس للكويت، وهذا هو الكتاب الخامس عن الشيخ جابر بن عبد الله الصباح حاكم الكويت الثالث ونجله الشيخ صباح الحاكم الرابع.

وتوضِّح صفحات هذا الكتاب العلاقة الوثيقة التي جمعت بين أهل الكويت حكّاماً ومحكومين، وأن حُكْم الكويت اتّسم بروح التشاور والتسامح، وهو ما أعطى لتاريخها نكهة خاصة تميّزت بها عن جيرانها.

وأدعو الله أن يمكّنني من استكمال الكتابة عن مرحلة تأسيس الكويت والرعيل الأوّل من حكّامها الذين وضعوا أسس بناء الدولة والمجتمع، والتي تهتدي بها الكويت حتى الآن.

سعاد محمد الصباح

المقدمة

يهدف هذا الكتاب إلى عرض أوضاع الكويت والكويتيين من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في فترة حكم الشيخ جابر بن عبد الله الصباح ثالث حكام الكويت، والذي امتدت فترة حكمه من 1814 إلى 1859م. كما يتناول العلاقات الخارجية للكويت وتفاعلاتها مع القوى الإقليمية والدولية.

وتستمد هذه المرحلة أهميتها من الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي حظيت به الكويت مقارنة بحالة الحروب والصراعات على الحكم التي سادت كثيراً من الإمارات والمشيخات السياسية في شبه الجزيرة العربية والخليج. وتكفي الإشارة في هذا الصدد إلى الأحداث الجسام التي شهدها القرن التاسع عشر مثل تمدد النفوذ الوهابي ونشأة الدولة السعودية الأولى ثم القضاء عليها، وقيام الدولة السعودية الثانية، والوجود العسكري المصري في نجد وشرقي الجزيرة العربية، والتزايد المضطرد للنفوذ البريطاني في الخليج، وإبرام اتفاقية السلم البحري في يناير 1820 مع عدد من الإمارات العربية. هذا إضافة إلى دور الدولة العثمانية التي نظرت إلى الخليج وشبه الجزيرة كمجال لنفوذها.

وكان على شيخ الكويت أن يدير العلاقات مع تلك القوى بما يحقق التوازن بينها، ولا يتيح لأي منها أن يكون لها موقع مسيطر أو مهيمن في بلاده. ولم يكن ذلك بالأمر اليسير أو السهل خاصة عندما كانت

الصراعات تحتدم بين هذه القوى.

والمشكلة الرئيسية في دراسة هذه الفترة هي نقص المعلومات أحياناً وعدم دقتها، والتناقض بين المصادر أحياناً أخرى.

وتوخياً للحقيقة، حرصت على الاطلاع على أكبر عدد من الكتب والبحوث والوثائق المتاحة، والمقارنة بينها، وتبني الرأي المتفق عليه بين المصادر العلمية.

تعتبر كتب الرحالة الأجانب وتقاريرهم والصور التي رسمتها عن حياة المجتمع والناس من المصادر المهمة في تاريخ أي بلد. وفي عهد الشيخ جابر ونجله الشيخ صباح، كتب عن الكويت خمسة من الرحالة وهم: جيمس باكنجهام عام 1816، والميجر جورج ب بروكس عام 1829، وجواشيم ستوكلر عام 1831، واللفتانت فليكس جونز عام 1839، والكولينيل لويس بيلي بين عامي 1863 و1865، وكلهم بريطانيون، منهم ثلاثة ضباط في الجيش البريطاني المرابط في الهند. ونظراً لأهمية المعلومات التي سجلها كل منهم واعتماد المصادر العربية عليها، فإنه من المناسب التعريف بإيجاز بكل منهم.

فإذا بدأنا بأولهم، فإنه جيمس سلك باكنجهام (1786 - 1855) الذي عاش في الهند لفترة وعمل موظفاً بشركة الهند الشرقية البريطانية[1]، واشتغل بالصحافة فأصدر جريدة «كالكتا» التي أغلقتها السلطات

1- تأسست شركة الهند الشرقية في ديسمبر عام 1600 تحت اسم شركة تجار لندن المتاجرين في جزر الهند الشرقية بقرار من الملكة إليزابيث الأولى، وضمن لها القرار احتكار التجارة مع الهند والمستعمرات البريطانية في جنوب شرق آسيا. وعلى مدى السنين، أصبحت الشركة ومكاتبها ووكالاتها هي السلطة الحاكمة في ولايات الهند، وامتد نفوذها إلى منطقة الخليج باعتبارها الطريق البحري إلى درة التاج البريطاني.

البريطانيـة بسـبب انتقاداتها المتكررة لهـا. قام بعدد من الرحلات المطولة فـي البـلاد العربيـة، فـزار مصر وجابهـا من أقصى شـمالها إلـى جنوبها في عـام 1812، وبرحلـة إلى فلسـطين في عـام 1814، ورحلة ثالثة إلى سـوريا والعـراق وإيـران فـي عـام 1816. سـجل باكنجهـام ملحوظاتـه عـن أوضاع هـذه البـلاد وعـادات سـكانها وتقاليدهـم بالتفصيل، وأصدر عـن كل رحلة كتابـاً مـن جزأيـن، وتضمـن كتابه عن الرحلـة الثالثة معلومـات عن إمارات الخليـج ومنهـا الكويـت. كمـا أصـدر كتابـاً بعنـوان «رحـلات بيـن العشـائر العربيـة» سـجل فيه مشـاهداته عن القبائل والعشـائر في العـراق والأردن وسـوريا وفلسطين.

وعندمـا اسـتقر بـه المقـام فـي بريطانيا، أصـدر جريدة «صوت الشـرق» عـام 1824، ولكنهـا لـم تعمـر طويـلاً. كان مـن المدافعيـن عـن الإصـلاح السياسـي والاجتماعـي فـي بـلاده، وأصبح عضـواً في البرلمان خـلال الفترة 1832 - 1837، وكتـب سـيرته الذاتيـة فـي مجلديـن. ويلاحـظ أن باكنجهام لـم يـزر الكويـت، وكتـب عنهـا مـن واقـع المعلومـات التي اسـتقاها خلال رحلاتـه فـي أرجـاء المنطقـة العربية.

أمـا الكابتـن جـورج ب بروكـس فقـد كان ضابطـاً فـي البحريـة الهنديـة، وتـم تكليفـه بزيـارة الإمـارات الواقعـة علـى شـواطئ الخليـج وإعـداد تقريـر عـن أوضاعهـا مـن حيث السـكان وأنشـطتهم الاقتصاديـة والتجارية ومصـادر ثرواتهـم، وعاداتهم الاجتماعيـة ومعتقداتهم الدينيـة والمذهبية. وقـدم بروكـس تقريـره عـن مهمتـه فـي 21 أغسـطس عـام 1829، والـذي سـجل فيـه أنـه التقى بشـيوخ وزعمـاء وأعيان وبعـض من سـكان الإمارات التـي زارهـا، وأنـه قـدم صورة أقرب مـا تكون إلـى الحقيقة التي شـاهدها. وتحـوَّط بروكـس بشـأن المعلومـات التـي أوردهـا بخصـوص عدد السـكان

بسبب عدم وجود إحصاءات رسمية وأنها مجرد تقديرات.

وفيما يتعلق بجواشيم هيوارد ستوكلر (1800 - 1886) الذي زار الكويت في فبراير عام 1831، فهو كاتب وصحافي ورحّالة كانت حياته مليئة بالأحداث، وأقام في الهند والولايات المتحدة وكندا، إضافة إلى بريطانيا بالطبع. تمتع بثقافة واسعة نتيجة لقراءاته ورحلاته، وتنوعت كتاباته بين الكتب والقصص. أصدر في الهند جريدة «الرجل الإنجليزي» و«أخبار البنغال الرياضية»، وفي لندن مجلة «الشرقي» The Orientalist. وفي أمريكا، عمل محاضراً بكلية كولمبيا بمدينة نيويورك، واشتهر بأنه أحد المتخصصين في أدب الشاعر الإنجليزي العظيم وليم شكسبير. كتب مسرحية واحدة باسم معركة ألما وسقوط سبستابول، والتي دارت أحداثها عن الحرب العثمانية الروسية.

وبشأن الملازم فليكس جونز (1813 - 1878)، فهو ضابط بحري عمل بشركة الهند الشرقية. ساعد قائده «هنري بلوز لينش» في عمل مسوح جغرافية لنهري دجلة في عام 1837 والفرات في عام 1841. وبعد تقاعد لينش، واصل جونز أعمال المسح على متن السفينة «نتوكريس» Nitocris، وهو اسم آخر ملكات الأسرة السادسة في مصر القديمة. وفي عام 1844 -وكان قد ترقى إلى رتبة كابتن- رافق السير هنري رولينسون في رحلة استكشافية لجمع معلومات عن مناطق الحدود بين الدولة العثمانية وفارس. وفي عام 1846، قام برحلة استهدفت إجراء مسوح جغرافية عن نهر دجلة من بغداد إلى سمراء. وبعدها بعامين، قام برحلة أخرى للكشف عن مسار قناة النهروان القديمة الذي يرجع تاريخها إلى العصور البابلية القديمة، وأُعيد إحياؤها في عهد الخليفة هارون الرشيد، وأصبحت المصدر الرئيسي للمياه في

بغداد عاصمة الخلافة العباسية. وفي السنوات التالية، قام بعدد من المسوح البحرية والبرية في العراق.

وتولى فليكس جونز عدداً من المهام الدبلوماسية، فكان الوكيل السياسي البريطاني[1] في بغداد، وأصبح «المقيم البريطاني»[2] في بوشهر عام 1855. وبعد عودته إلى بلاده، استمر في الاهتمام بالموضوعات الجغرافية وكان عضواً في مجلس إدارة الجمعية الملكية الجغرافية.

أما آخر من زاروا الكويت في الفترة التي يغطيها الكتاب فهو الكولونيل لويس بيلي (1825 - 1892)، والذي التحق بالجيش البريطاني في الهند واشترك في الحرب ضد فارس عام 1857، وعمل سكرتيراً في المفوضية البريطانية بطهران، ووكيلاً سياسياً بزنجبار. تولى منصب المقيم البريطاني في الخليج ومقره بوشهر خلال الفترة 1862 - 1873. وأقام بيلي علاقات وثيقة مع شيوخ الإمارات، وزار الكويت في عامي 1863 و1865، وكان ذلك في عهد الشيخ صباح بن جابر.

كانت زيارته الأولى ضمن جولة في إمارات الخليج، وقضى في الكويت عدة أيام. وكان مقصده في الزيارة الثانية مدينة الرياض لمقابلة الأمير فيصل بن تركي آل سعود، ومكث في الكويت مدة أطول في انتظار رد الأمير بالموافقة له على الزيارة، استغلها بيلي في التعرف على أحوال الكويت. وسجل في تقاريره معلومات ومشاهدات تفصيلية عن أوضاع الكويت وسكانها وأسواقها وتجارها، وعن مجلس

1- الوكيل السياسي political agent هو الاسم الذي أطلق على الممثل الدبلوماسي البريطاني في المدن والإمارات في هذه الفترة، وكان يرأس عدداً من المعاونين.

2- المقيم البريطاني British resident هو أعلى منصب دبلوماسي بريطاني في منطقة الخليج، ويرأس جميع «الوكلاء السياسيين» فيها، وأشار إليه بعض المؤرخين بلقب «رئيس الخليج».

الشيخ صباح والحوارات التي جرت فيه، وذلك على النحو الذي يظهر في فصول هذا الكتاب، وبعد انتهاء عمله الدبلوماسي عاد إلى بلاده. وتقديراً لجهوده، منحته الملكة لقب لورد أو سير، وأصبح عضواً في البرلمان عام 1883.

يسعى هذا الكتاب إلى إعطاء لمحة عن الكويت على مدى ست حقب في القرن التاسع عشر، وهي سنوات حكم الشيخين جابر وصباح (1814 - 1866)، وعن حياة المجتمع الكويتي وسكانه وعاداته الاجتماعية وأنشطته الاقتصادية.

وأرجو أن يكون ما فيه مفيداً للأجيال الشابة من الكويتيين لكي تتعرف على تاريخها، وأن تفخر به.

وعلى الله قصد السبيل

سعاد محمد الصباح

أكتوبر 2020

المبحث الأول

سيرة حياة: الكرم والشورى والحرص على الاستقلال

تعتبر فترة حكم الشيخ جابر بن عبد الله الصباح ثالث حكام الكويت الأطول في تاريخ الكويت مقارنة بمن سبقه أو خلفه حتى الآن. فقد امتدت هذه الفترة خمسة وأربعين عاماً خلال الأعوام من 1814 إلى 1859، وذلك مقارنة بوالده الشيخ عبد الله الذي حكم لمدة ثمانية وثلاثين عاماً خلال الفترة 1776 - 1814، وجده الشيخ صباح مؤسس الكويت وأول حاكم لها الذي حكم لمدة أربع وعشرين عاماً خلال الفترة 1752 - 1776، وينطبق ذلك على كل شيوخ الكويت الذين تولوا الحكم من بعده. كما أنه يعتبر أول من تسمى باسم «جابر» من بين حكام الكويت. ولذلك، يُطلق عليه اسم جابر الأول[1].

ولا نعرف على وجه التحديد سنة ميلاد الشيخ جابر، فقد ورد في أحد تقارير لويس بيلي أن الشيخ صباح بن جابر أخبره بأن والده توفي عن عمر يناهز مئة وعشرين عاماً، أي أنه من مواليد عام 1743[2]. وفي هذا الاتجاه، أورد الشيباني أن الشيخ جابر ولد في عام 1745.

1- حمل هذا الاسم من بعده الشيخ جابر بن مبارك الصباح الذي حكم خلال الفترة 1915 - 1917، ويطلق عليه اسم جابر الثاني، والشيخ جابر الأحمد الصباح الذي حكم خلال الفترة 1977 - 2006، ويطلق عليه جابر الثالث.

2- محمد بن إبراهيم الشيباني، حكام الكويت: قراءة جديدة في تاريخ مبايعات الكويتيين لأمرائهم 1117 - 1427هـ 1705 - 2006م، (الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، 2007)، ص10.

ويـرى أغلـب الباحثيـن أن هذا التقدير لسـن الشـيخ مبالغاً فيـه لأنه يعني أنـه تولـى الحكـم وهـو فـي السـبعين مـن عمـره، وهـو مـا لا يتفـق مـع مـا هـو ثابت مـن قيادته للقـوات الكويتية في عـدة معارك بريـة وبحرية. ويرجحـون أن الشـيخ ولـد فـي حـدود عـام 1776، أو قبلهـا بعدة سـنوات، ويسـتدلون علـى ذلـك بـأن الشـيخ صبـاح أكبـر أنجالـه أنجـب أول أبنائـه وهـو الشـيخ عبـد اللـه بـن صباح فـي عـام 1814، ومعنـى ذلك أن الشـيخ جابـر كان قرابـة الأربعيـن مـن عمره. كما يسـتدلون على ذلـك من وصف الشـاعر ابـن مسـلم مـن الأحسـاء للشـيخ جابر فـي قصيدة الفتـح في تلك الفتـرة «الفتى»[1].

كان الشـيخ جابـر هـو الابـن الوحيـد لوالـده[2] وسـاعده فـي تسـيير أمور الكويـت. وفـي عـام 1810، كلـف الشـيخ عبـد اللـه نجلـه قيـادة الحملـة البحريـة التـي أرسـلها إلى البحرين لمسـاعدة حاكمها الشـيخ عبـد الله بن أحمـد آل خليفـة فـي صراعه مع الشـيخ رحمـة بن جابـر الجلاهمة، حيث دارت معركـة حاميـة الوطيـس فـي منطقـة «خويـر حسـان» سـقطت فيها أعـداد كبيـرة مـن القتلـى، كان مـن بينهـم دعيج بـن سـلمان الصباح[3].

ويبدو أنه في الشهور القليلة التالية حدث ما يصفه المؤرخون بتعبير «مغاضبة» بين الحاكم ونجله، فسافر الشيخ جابر إلى البحرين في نفس العام، ولم يتناول أحد من الباحثين أسباب تلك «المغاضبة»، ولكن من المؤكد أنه لم يكن أمراً يتعلق بالمكانة السياسية للشيخ جابر، فقد كان من

1- "سيرة الشيخ جابر العيش"، موقع منتدى تاريخ الكويت، تاريخ النشر 31 - 7 - 2008، ومُتاح على: https://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?t=1454

2- كان له شقيقة واحدة هي الشيخة مريم.

3- إبراهيم حامد الخالدي، دخلنا بلداً يقال لها الكويت، (الكويت: مطابع القبس التجارية، 2011)، ص13.

المسلَّم به أنه سوف يخلف والده في حكم الكويت.

أقام الشيخ جابر وسط أقاربه في البحرين حتى وفاة والده يوم 3 مايو 1814. ونظراً لغيابه تم الاتفاق على قيام ابن عمه الشيخ محمد بن سلمان بن صباح بإدارة شؤون المدينة بشكل مؤقت، وإرسال وفد من أعيان الكويت ورؤساء قبائلها إلى البحرين لتقديم العزاء إلى الشيخ جابر في وفاة والده وإحضاره معهم إلى الكويت.

عاد الشيخ معهم، وعندما اقتربت السفينة التي تحمله من شاطئ الكويت، خرج عدد من أسرة الصباح وأعيان المدينة لاستقباله في عرض البحر، وعندما رست سفينته في «بنيد القار»[1] خرج الأهالي للاحتفاء به ومبايعته، وكان على رأسهم الشيخ محمد بن سلمان الذي بادر بمبايعته.

أقام الشيخ في داره بمدينة الكويت، وكان له بيت آخر في قرية «القرينية»[2] بجزيرة فيلكا، واعتنى بزراعة أشجار النخيل والسدر والأثل في القرية، وخلفه في الإقامة بهذا المنزل نجله الشيخ محمد[3].

واستمر حكم الشيخ حتى وفاته في عام 1859، فخلفه ابنه الأكبر وساعده الأيمن الشيخ صباح[4].

1- موقع على البحر جنوب شرق مدينة الكويت.

2- تصغير لكلمة القرين، وهو الاسم القديم للكويت.

3- خالد سالم محمد، جزيرة فيلكا أشهر الجزر الكويتية تاريخها...تراثها، (الكويت: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 2006)، ص 26

4- كان للشيخ جابر اثنا عشر ولداً هم الشيوخ: صباح وعبد الله وخليفة وسلمان ومحمد ومقرن (وتكتب أيضاً مجرن) وعلي وحمود وجراح ومبارك وشملان ودعيج، وابنة واحدة هي الشيخة بزة، واهتم الشيخ برعاية أحفاده، ومنهم الشيخ مبارك الابن الثالث للشيخ صباح الذي ولد في عام 1844، وعندما بلغ الخامسة من عمره اعتنى به وخصص له معلماً درسه اللغة والقرآن الكريم وأحكام الدين.

أولاً- الصفات الشخصية

كتب مؤرخ الكويت الأول عبد العزيز الرشيد عن الشيخ جابر في كتابه الصادر عام 1926، أن الشيخ جابر كان «عاقلاً حليماً حازماً كريماً يضرب بكرمه المثل»[1]. ووصفه يوسف بن عيسى القناعي في كتابه الصادر عام 1944 بأنه «رجل عاقل هادئ الطبع، محب لقومه، مشفق عليهم»[2]. ووصفه سجل الكويت اليوم الذي أصدرته دائرة المطبوعات والنشر الكويتية عام 1956 بأنه «اشتهر ببعد النظر وبسطة الكف.. حتى إن سمعته طبقت الآفاق في سائر أجزاء الجزيرة العربية. ولم يشعر الكويتيون في عهده بمظاهر الإمارة وسلطانها، إذ بدا لهم كواحد منهم، وفي إبان حكمه أثبتت الحوادث أنه أحرص الكويتيين على مصالح قومه»[3].

وأشار يعقوب عبد العزيز الرشيد في عام 1963 إلى ما تمتع به الشيخ من «حنكة ودراية وشجاعة ومروءة»[4]. وذكر إبراهيم حامد الخالدي في عام 2011 أنه «جمع خصالاً طيبة لعل أبرزها الكرم، والشجاعة، وإغاثة الملهوف، وحب الخير، وهي خصال تمثل القيم الأعلى عند الحاكم المسلم العربي»[5]. وتكرر وصفه بقوة الإرادة وبعد النظر والبسالة، ولُقب في الشعر النبطي بأنه «زبن الخائف، وحامي

1- عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، طبعة منقحة. وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1978) ص 116

2- يوسف بن عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، (الكويت: ذات السلاسل، 1988)، ص 20

3- من دون مؤلف، سجل الكويت اليوم، (الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، 1956) ص7

4- يعقوب عبد العزيز الرشيد، الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1963) ص 20

5- إبراهيم حامد الخالدي، مرجع سابق، ص12.

الجانـي».

كان أكثـر مـا اشـتهر بـه الشـيخ جابـر هـو كرمـه، لذلـك سُـمي «جابـر العيـش»، والعيـش فـي لسـان الكويتييـن هـو الأرز. أخـذ الشـيخ جابـر صفـة الكـرم مـن أبيـه وورَّثهـا لابنـه، فقـد كان والـده الشـيخ عبـد اللـه الأول يتنـاول طعـام العشـاء مـع فقـراء المدينـة ومـع القادمين مـن بادية الكويـت، واسـتمر ابنـه الشـيخ صبـاح فـي القيـام بذلـك. كان الشـيخ جابر كريمـاً وسـخياً رغـم أنـه لم يكن مـن أكبر أثريـاء الكويـت، وكان هناك من التجـار مـن يفوقـه مـالاً وثـروة. فـروى عنه أنـه كان يأمـر بفـرش الحصران فـي الأسـواق، لكـي يوضـع عليهـا الأرز واللحـم ويدعو جميع مـن تصادف وجـوده فـي المـكان لتنـاول الطعـام[1].

يؤكـد كـرم الشـيخ، مـا حـدث فـي مجلـس الأميـر بنـدر بـن محمـد السـعدون شـيخ المنتفـق، فعندمـا جـاءه رجـلان مـن طـرف الشـيخ جابـر لتصريـف بعـض الأمور، أجلسـهما وسـأل كل الحاضرين عن الشـخص الذي يسـتحق وصـف الكريـم، فأجابـوه جميعاً: «أنـت أيها الأمير»، فعلـق قائلاً: «مـا الكريـم فـي الحقيقـة إلا جابـر الصباح (أخـو مريم) الذي كان يبسـط (الحصـر) في الأسـواق ويملؤهـا من(التمن) للمحتاجيـن، وليس له واردات تغنيـه، أمـا أنـا فـلا فخـر لـي وكثير مـن أمـلاك البصرة بيـدي»[2].

1- وصف الشاعر محمد بن مسلم من الأحساء هذا المشهد بقوله:

إلى من جا العصر نادوا عبيده هلمّ الى العشا ياللي تريده

تزيد مروّته، الله يزيده وفضل الله جزلٍ بالعطيّة

وجدير بالذكر أن جميع حكام الكويت استمروا في عادة توزيع الأرز يومياً على الفقراء والمحتاجين حتى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين. وفي عهد الشيخ مبارك، تولى «بن عمير» القيام بطهي الأرز وتوزيعه في موقع مقابل قصر السيف من ناحية الجنوب، واشتهر المكان باسم موقع عيش بن عمير.

2- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 117.

لا بد من التوقف هنا للتعليق على إشارة بندر السعدون للشيخ جابر بأنه «أخو مريم»، فقد اشتهرت الشيخة مريم بنت عبد الله بن صباح بجمالها وأريحيتها وكرمها، وحسن استقبالها لطالبي الأمان في الكويت عندما يكون شقيقها الشيخ جابر خارج المدينة، وهو ما حدث مع راشد السعدون وسليمان الزهير. ولذلك، كان للشيخة مريم مكانة رفيعة، فلقّبها البعض «روح الكويت النَّدية»، ومن اسمها جاء تعبير «إخوان مريم».

واعتبر الشيخ جابر الكرم فضيلة يستحق صاحبها التكريم والمعاملة الخاصة. فكان ذلك شأنه مع علي بن إبراهيم أحد تجار الكويت الذي اشتهر بالكرم فأعفاه من دفع الرسوم المفروضة على ما يستورده من سلع، وأثار ذلك غضب التاجر عبد اللطيف بن خميس الذي عاتب الشيخ على تمييزه لعلي دون سواه من التجار، فرد الشيخ عليه بأنه سوف ينظر في الأمر، ولجأ إلى حيلة ذكية للرد على عتاب عبداللطيف. وبعد عشرة أيام، أرسل الشيخ خادمه إلى عبد اللطيف يخبره بأن الشيخ يحتاج إلى قدر من «القهوة» لمجلسه، فملأ له وعاء صغيراً وأعطاه إياه، ثم أرسل الشيخ نفس الخادم إلى دار علي بنفس الطلب، فما كان منه إلا أنه أرسل عدداً من الدواب حملت نحو ثمانية أكياس من القهوة، وكانت النتيجة أن هدية الأول جاءت مقارنة بهدية الثاني وفقاً لتعبير الرشيد «كالحبة قرب القبة»، ووضع الشيخ الهديتين في مدخل مجلسه حتى يظهر الفارق بين كرم الرجلين، وعندما دخل عبداللطيف المجلس وشاهد الهديتين، أدرك الخطأ الذي وقع فيه، وأن معاملة الشيخ لعلي بن إبراهيم كانت بسبب كرمه وجوده، «فنكس

رأسه حياء وتصبب عرقاً وندم على ما فرط منه»[1].

اتسم الشيخ جابر أيضاً بالتواضع وعاش في منزل بسيط، وهو نفس المنزل الذي أقام فيه الشيخ صباح بعد وفاة والده، واستقبل فيه المقيم البريطاني لويس بيلي عند زيارته للكويت. سجل بيلي بساطة دار الشيخ وأنه لم يكن فيها من معالم الثراء شيء، ولعله قصد بهذه الإشارة المقارنة بين بساطة بيت الحاكم وفخامة الديوان الذي استضافه فيه يوسف البدر في المنطقة القبلية بمدينة الكويت، والذي أقام فيه عدة أيام. كان يوسف البدر أحد أكبر أثرياء تجار الكويت، وكان منزله مطلاً على البحر، وسجل بيلي أن البدر امتلك قرية الجهرة بأكملها[2].

ومن صور تواضعه وارتباطه بأهله أنه كان شاهداً على بعض الصكوك والوثائق التي حررت في عهده، ومنها وصية إرث التاجر فوزان بن جاسر السميط التي سجلها القاضي عبد الله بن محمد بن محمد العدساني عام 1827، والتي شهد عليها الشيخ مع عدد من وجهاء الكويت. ويظهر فيها ختم الشيخ جابر في أسفل الوثيقة على اليمين بشكل واضح[3].

وكان من صفاته الشهامة ونجدة المظلوم، فمنح حمايته لمن استجار به، كما سوف يأتي ذكره لاحقاً. ومن أمثلة ذلك، ما يسجله عبد العزيز الرشيد من أنه في أعقاب هزيمة آل زهير على يد آل ثاقب في مدينة

1- المرجع السابق، ص 124.

2- أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث 1163 - 1385هـ (1750 - 1965م) (الكويت: ذات السلاسل، 1984) ص 205

3- باسم اللوغاني، «ختم الشيخ جابر الأول على وصية فوزان السميط عام 1827»، الجريدة، بتاريخ 4 - 3 - 2016.

الزبير، هرب أحد أفراد آل زهير إلى البصرة واختبأ في منزل تاجر يهودي كان قد أودع لديه بعض المال وطلب استعادته. ولم يكن التاجر راغباً في ذلك، فأضمر له شراً وأبلغ أعوان آل ثاقب بوجود الرجل عنده، فتم القبض عليه وأخذوه إلى حاكم الزبير الذي أراد في البداية قتله، فقال له الرجل إنه لن يستفيد شيئاً من قتله، وفكّر في حيلة للحفاظ على حياته، وقال إنه يفتدي حياته بالمال، فوافق الحاكم. وهنا طلب الرجل أن يكون تسليم المال في الكويت لأنه موجود عند أقاربه هناك، فبعث به بصحبة عدد من جنوده.

وعندما وصل الركب إلى الكويت نزل الرجل عند أحد أقاربه، وأخبره بما حدث، وأنه لا يملك أي مال لدفعه، فنصحه بالالتجاء إلى الشيخ جابر وطلب حمايته. ولما كان جند آل ثاقب يراقبون الدار طول الوقت، خرج الرجل متنكراً في ثياب امرأة رافقتها امرأة أخرى. واتجها إلى دار الشيخ جابر، الذي لم يكن بالدار، فاستقبلتهما شقيقته الشيخة مريم التي «أجارته على لسان أخيها» عندما عرفت ما حدث.

وعندما اكتشف الجند ما حدث، سارعوا بالذهاب إلى بيت الشيخ، فوجدوه يجالس الرجل ويلاطفه، فقصوا على الشيخ جابر ما حدث، وأنهم رُسل شيخ الزبير وطلبوا منه تسليمه، فلم يستجب الشيخ لطلبهم قائلاً: «نحن لم نرسل على صاحبكم ولكنه استجار بنا فأجرناه، فاللوم عليكم لتفريطكم وإهمالكم». لم يحدد الأستاذ الرشيد اسم هذا الرجل، وذكر أنه حفظ للشيخ جابر حسن صنيعه وكافأه بمزارع الصوفية، لذلك فمن الأرجح أن يكون هذا الرجل هو سليمان الزهير، فمن الثابت أنه هو الذي أهدى الشيخ جابر جزءاً من هذه الأراضي، وباعه جزءاً آخر.

ويورد الرشيد أيضاً، حكاية تدل على ما كان يتمتع به الشيخ جابر من وفاء وحفظ للجميل، فعندما كان الشيخ في البحرين في السنوات الأخيرة من حكم والده، نزل به ضيفٌ ليلاً دون توقُّع، ولم يكن في المنزل ما يكفي لإكرامه وتقديم واجب الضيافة، فذهب إلى التاجر أبي أهناد، وكان من جيرانه، لشراء شاة لذبحها وإكرام الضيف، فسلمه التاجر الشاة المطلوبة ورفض أخذ ثمن لها، فأحسن الشيخ هذا السلوك، وقدره تقديراً بالغاً. وبعد سنوات من تولي الشيخ جابر حكم الكويت، قدم هذا التاجر إليها لشراء كمية كبيرة من التمور من مزارع الشيخ، وبعد الاتفاق معه على الثمن، رفض الشيخ جابر تسلُّم المبلغ مكتفياً بنصف قيمته قائلاً له: «يا أبا أهناد إننا لا نريد إلا حقنا الواجب وأنت عددت أكثر منه فكأنك أردت أن تختبرنا في أخذ ما زاد على الحق فالذي لنا هو نصف ما عددت لا غير»، فحاول التاجر إقناعه بصحة الحساب، فأصر الشيخ على أخذ نصف القيمة فقط، وكان ذلك مبعثاً لاندهاش التاجر الذي لم يكن يعرف شخصية صاحب التمور وأنه صاحبه القديم، إلى أن أوضح له أحد الناس أن البائع هو الشيخ جابر حاكم الكويت[1].

وبقدر ما أعلى الشيخ من قيمة الشهامة والعطاء، فقد اتخذ موقف الشك والعداء مع من افتقدوها، ويدل على ذلك ما حدث بين الشيخ والتاجر فهد الفهيد، فقد أرسل إليه الشيخ ذات مرة يطلب منه عدداً من «البشوت» التي كان يوزعها على من يزوره من الأعراب، ورغم أن التاجر كان لديه مخزون منها، فقد ادعى أنه لا يوجد لديه منها خشية أن لا يقوم الشيخ بدفع ثمنها أو يتأخر في سداده -وذلك حسب رواية

1- عبد العزيز الرشيد، مرجع السابق، ص ص 122 - 123.

عبد العزيز الرشيد- وتأثر الشيخ كثيراً بهذا التصرف وكتم الأمر في نفسه.

وبعد فترة سلب بعض الأعراب أموالاً لهذا التاجر وهربوا بها، وعندما شاهدهم في السوق أسرع بإخبار الشيخ عن جريمتهم وطالبه بالقبض عليهم، فرد عليه الشيخ بسؤاله: من أنت ومن تكون؟ فأجابه بأنني فلان بن فلان، فمضى الشيخ في إنكار معرفته به، وأنه لا يعرف أحداً من أهل الكويت بهذا الاسم، وإنما يعرف بعضاً من أبناء الأحساء أو الزبير ممن يحملون هذا الاسم، فحاول التاجر إقناعه بغير ذلك فلم يستجب الشيخ، قائلاً: "نحن لا نطالب إلا بأموال رعيتنا لا غير"، وأدرك التاجر أن هذا التصرف من جانب الشيخ هو عقاب له على فعلته.

ويسجل الرشيد واقعة توضح تمسك الشيخ بحقوق أهل الكويت وممتلكاتهم وحرصه على حمايتها والدفاع عنها، واستعداده للقتال إذا ما اعتدى أحد عليها دون حق. ففي أحد الأعوام، ضمن أحد أفراد أُسرة الصباح بيع نخيل لبعض أهالي المنتفق، وعندما لم يتم تسليم ما تم بيعه إليهم، ذهبوا إلى الشيخ جابر واشتكوه، فأجابهم بأن الرجل مفلس "وليس في يده شيء". ومن الواضح أن شيخ قبائل المنتفق لم يرتح لموقف الشيخ جابر، وانتظر الفرصة المواتية للرد عليه. وجاءت تلك الفرصة عندما سافر أحد أهالي الكويت من آل بدر للتجارة في سوق الشيوخ، فأمر شيخ المنتفق بالقبض عليه والاستيلاء على ما معه من مال والزج به في السجن. وما إن وصل الخبر إلى الشيخ جابر، حتى سارع بالعمل على استعادة حق التاجر، فتحرك أسطول بقيادته، رسا بالقرب من إحدى مناطق المنتفق، وفرض حصاراً بحرياً عليها، ومنع الأهالي من الخروج منها إلا بعد إطلاق سراح التاجر الكويتي ورد

أمواله إليه، فاستجابوا لطلبه مضطرين[1].

وحدثت قصة مماثلة مع عشيرة النصار -وهي عشيرة عربية من بني كعب- التي سكنت منطقة البريم على الساحل الشرقي لشط العرب. ففي عام 1815، استولت على محصول بساتين امتلكتها عائلة الدبوس من أهالي الكويت بمنطقة أبي الخصيب، ففي كل عام كان أبناء الدبوس يقصدون بساتينهم لبيع محاصيلها وتسلُّم عائداتها. أما في هذا العام، فقد فوجئ أبناء الدبوس بأن «النصار» استولوا على السفن المحملة بمحاصيلهم، وعندما اعترضوا على ذلك، قام النصار بقتل أحدهم.

وصل الخبر إلى الشيخ جابر فغضب غضباً شديداً، وأعد العدة لمهاجمة «النصار»، ومعاقبة الجناة واسترجاع حمولة السفن التي استولوا عليها دون وجه حق. ولهذه الموقعة قصة تستحق التذكير بها، فعندما وصل الشيخ جابر على رأس القوة البحرية الكويتية وجد أن «النصار» قد استعدوا لملاقاته وأحكموا تحصيناتهم على الساحل. أدرك الشيخ أن الهجوم سوف يكلف الكويتيين ثمناً باهظاً من أرواحهم، فنصح بالتروي وأن تبتعد السفن قليلاً عن الساحل بحيث تتوارى عن الأنظار.

انتظر «النصار» الهجوم الكويتي المرتقب لعدة أيام، وعندما لم يتحقق تصوروا أن الشيخ جابر قد عدل عن موقفه وعاد إلى الكويت، فتركوا استحكاماتهم وتخلوا عن مواقعهم الحصينة على الساحل.

وعندما وصل الخبر إلى الشيخ جابر، قاد سفنه ليلاً إلى الساحل في مواجهة مساكن «النصار»، فنزل أهالي الكويت وبدؤوا الهجوم الذي

1- نفس المرجع، ص 125.

تصدره أبناء عائلة الدبوس. ورغم أن الهجوم جاء مفاجئاً لـ«النصار»، فقد دار قتال استشهد فيه كل من أحمد بن عبدالله الدبوس وعبدالعزيز بن فارس الدبوس. وانتهى الأمر بهزيمة «النصار» شر هزيمة ولاذوا بالفرار في المزارع كثيفة الأشجار في هذه المنطقة، وعندما رغب بعض الكويتيين بتعقبهم أوقفهم الشيخ جابر قائلاً لهم: «اتركوا الذليل مهزوماً»، وأعاد الشيخ جابر معه سفن عائلة الدبوس.

تشير هذه الحادثة إلى معنيين مهمين؛ الأول: أن الكويت في عهد الشيخ جابر امتلكت القوة العسكرية التي مكنتها من حماية مصالحها والدفاع عن أي عدوان على أهلها خارج حدودها. والثاني: استقلال حاكم الكويت في إدارة شؤون بلاده، فقد كانت منطقة البريم خاضعة للدولة العثمانية، ولكن ذلك لم يمنع الشيخ جابر من التحرك لاسترداد حقوق أسرة الدبوس.

وكان الانتصار مبعثاً لبهجة أهل الكويت وفرحتهم، وتردد وقتها قول شاعرهم:

خاسرٍ ياللي قعد في الديرة ما حضر يومٍ على النصار[1]

وكشف دور الشيخ جابر في وساطته بين شيوخ البحرين بشأن الخلافات التي نشبت بينهم عام 1840 عن «خلق رفيع ودبلوماسية بارعة، في تسيير دفة العلاقات الخارجية لبلده في ذلك الوقت

1- علي عبد اللطيف خليفوه، موسوعة المعارك الكويتية 1783 - 1928، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2012) ص ص 43-42. ومخلد بن قبل رابح الحريص المطيري، (سوف يشار إليه لاحقاً مخلد المطيري) علاقات الكويت السياسية بالدولة العثمانية 1113 - 1342هـ / 1701 - 1924م، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم التاريخ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم، 2012، ص101.

العصيب»[1]. وتشير الأحداث إلى مهارته وحنكته في التعامل مع الأطراف السياسية المختلفة والمتصارعة التي أحاطت بالكويت كما سوف توضحها صفحات هذا الكتاب.

ثانياً- نهج الحكم والإدارة

حكم الشيخ جابر لمدة خمسة وأربعين عاماً، وفي العشرين عاماً الأخيرة من عهده، ساعده في إدارة شؤون البلاد ابنه الشيخ صباح، الذي تولى الحكم بعده. وإذا كانت فترة حكم الشيخ جابر هي الأطول لأي من حكام الكويت كما ورد سلفاً، فإن فترة نجله الشيخ صباح كانت قصيرة ولم تتجاوز سبع سنوات.

كانت العلاقات بسيطة في المجتمع الكويتي، والصلة بين الشيخ والأهالي مباشرة، ولم تكن هناك تمايزات أو فروق اجتماعية كبيرة. ولاحظ ستوكلر في عام 1831 أن جميع الكويتيين الذين التقى بهم أو شاهدهم كانوا يرتدون ملبساً واحداً.[2] كانت إدارة المدينة بسيطة أيضاً، ولم يكن هناك موظفون دائمون أو إدارات حكومية. وكانت مصادر دخل الشيخ الذي استعان بها في تصريف أمور المدينة قليلة، وهي الرسوم التي فرضها على بعض السلع القادمة إلى الكويت، والتي قدرها ستوكلر بنسبة 2 %، وكمية التمور السنوية التي منحه إياها والي بغداد تقديراً منه لدور الشيخ في إخماد التمرد الذي حدث في البصرة وإعادة متسلمها إلى الحكم، وعوائد مزارع النخيل التي امتلكها في الصوفية والفاو، والتبرعات التي قدمها تجار الكويت للإنفاق على أمور

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 242.

2- المرجع السابق، ص 202.

المدينة وتأمين سكانها وأسواقها وحمايتها من الاعتداءات الخارجية[1].

وبشأن الدفاع عن المدينة وحماية قوافلها، لاحظ ستوكلر أن شيخ الكويت ليس لديه جيش دائم، وهذا أمر طبيعي فلم يكن القتال مجالاً للاحتراف أو التخصص في هذا الوقت، وإنما مارسه كل الرجال تقريباً. وكان تقدير بيلي في عام 1863 أن الكويت كانت تستطيع حشد ستة آلاف مقاتل، ولكنه أكد أن الكويت شديدة الحرص على السلم وليس القتال[2].

وتشير أغلب الدراسات إلى أنه منذ نشأة الكويت، رفعت السفن التابعة لأهلها العلم السليمي، وهو علم أحمر بشريط أبيض مسنن، كان يرفع أيضاً في الاحتفالات الشعبية و«العرضات». وفي عهد الشيخ جابر، تغير هذا الوضع ورفعت السفن الكويتية علماً باللون الأحمر يتوسطه هلال ونجمة، وهما من الرموز والأشكال التي ظهرت في كثير من ألوية القبائل العربية بعد ظهور الإسلام، وتبنتهما الدولة العثمانية في علمها.

رفعت السفن الكويتية هذا العلم تعبيراً عن التضامن الإسلامي والعلاقة الروحية مع الدولة العثمانية شأنها في ذلك شأن عديد من إمارات الخليج والبلاد العربية الأخرى، ولم تكن فيه دلالة على التبعية السياسية، فلم يكن للدولة العثمانية أي وجود عسكري أو إداري على أرض الكويت. وأكبر شاهد على هذا أن السفن الكويتية التي رفعت هذا العلم كانت تعامل في ميناء البصرة العثمانية معاملة السفن

1- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 123.
2- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع السابق، ص 204.

الأجنبيـة وتدفـع الرسـوم المفروضـة عليهـا[1].

اسـتمر نظـام الحكـم الذي وضع أسسـه الشـيخان صبـاح الأول وعبدالله الأول فـي عهـد الشـيخ جابـر، فتولـى الحاكـم تصريـف أمـور المدينـة والباديـة، واختـص القاضـي بالحكـم فـي الموضوعـات الدينيـة. وبالنسـبة لمهمـة القضـاء، فقـد كان أول مـن تولاهـا فـي الكويـت فـي القـرن الثامن عشـر هـو الشـيخ محمـد بـن عبـد اللـه بـن محمـد ابن فيـروز الـذي قدم مـن الأحسـاء. وتـلاه الشـيخ أحمـد عبد اللـه العبـد الجليل في عـام 1722، والـذي أسـس مسـجداً باسـمه كان يقـع علـى سـاحل البحـر فـي فريـج "العبـد الجليـل"، ثـم خلفـه زوج ابنتـه محمد بـن عبد الرحمن العدسـاني عـام 1756، وهـو مؤسـس مسـجد العدسـاني في محلـة العداسـنة الواقعة فـي الطـرف الشـرقي مـن الحـي القبلـي عـام 1747، وهو من يوصـف بأنه «زعيـم بيـت العدسـاني فـي الكويت»[2].

وجـاء مـن بعـده نجلـه الشـيخ محمـد صالـح فـي عـام 1793، واسـتمر فـي عملـه حتـى عـام 1810 عندمـا أسـند الشـيخ عبد اللـه الحاكـم الثاني المهمـة إلـى الشـيخ علـي بـن عبـد اللـه الشـارخ مـن أهالـي الزبيـر الذي درس علـى يـد عـدد مـن علمائهـا ومنهم والـده، ثم قصـد الكويـت واتخذ منهـا موطنـاً. وإلـى جانـب عملـه كقـاضٍ، اهتـم بالوعـظ والإرشـاد ودعوة أهـل الخيـر إلى بنـاء المسـاجد.[3]

1- هيئة التحرير، «علم الكويت»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 46، (أبريل 2014)، ص17 - 18.

2- صالح حسن الفضالة، الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف (بيروت: دار الكتب العلمية، 2013) ص 144. و«أدلة ووثائق توضح الحقائق. مسجد العدساني أسسه القاضي محمد بن عبد الرحمن» جريدة الرأي، العدد 12636 بتاريخ 4 فبراير 2014.

3- عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز الناصر، الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي

ويدل على مكانة القضاء في الكويت، أنه عندما عرض حاكم الكويت على الشيخ الشارخ تولي هذه المهمة أجابه -وفقاً لرواية عبدالعزيز الرشيد- أنه «منصب خطير من أهم شروطه إقامة الحدود، وأخشى أن تُغل يدي على تنفيذها ولا سيما على الوجهاء، فهوّن عليه الشيخ عبدالله الأمر، وقال إني سأطلق يدك في القيام بالواجب ولو على نفسي، فقبل»[1] . واستمر الشارخ في عمله حتى وفاته في عام 1813.

عاد الشيخ محمد صالح العدساني لتولي المهمة واستمر حتى وفاته في عام 1818، فتولى القضاء بصورة مؤقتة الشيخان علي بن نشوان ومحمد بن حمود حتى عام 1820 عندما كلف الشيخ جابر الشيخ عبدالله بن محمد العدساني -وهو شقيق القاضي الشيخ محمد صالح- المهمة التي تولاها لمدة طويلة امتدت حتى عام 1857. فخلفه نجله الشيخ محمد الذي عمل قاضياً لمدة أطول حتى عام 1921، أي لمدة أربعة وستين عاماً عاصر خلالها سبعاً من شيوخ الكويت، وهم: جابر وصباح وعبد الله ومحمد ومبارك وجابر الثاني وسالم.

من هذا العرض يتضح أن أسرة العدساني كانت أكثر العائلات التي انتمى إليها قضاة الكويت، وكانت لهم أحكام مهمة في موضوعات الإرث والوصية والوقف والبيوع، واشتهرت هذه الأحكام باسم الوثائق العدسانية، وصكوك إثبات الملكيات، وأحكامهم محفوظة في أرشيف محكمة القضاء الكويتي.

احترم الجميع أحكام القضاة وحرصوا على تنفيذها، وعندما كان

والثقافي، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2016) ص 641.

1- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص94.

القاضي يصدر حكماً بسجن أحد المتهمين، كان يودع في محل بالسوق بين مسجد السوق الكبير وقيصرية التجار في الجهة الشرقية منها، واشتهر هذا المحل باسم دكان عبد العزيز القندي وهو أحد التجار، واستمر السجن في هذا المكان حتى عهد الشيخ مبارك، عندما نقل إلى مكان آخر.

اهتم الشيخ جابر بأن تكون هناك علاقات مباشرة بين الحاكم والأهالي لتيسير أمورهم وقضاء حوائجهم، واختار وكلاء عنه في بعض التجمعات السكانية خارج مدينة الكويت، كان أبرزها قرية الجهراء التي عين عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد، وكيلاً عنه لإدارة شؤونها في عام 1852، والذي استمر في موقعه حتى عام 1875، أي خلال عهد الشيخ صباح بن جابر وجزء من فترة حكم الشيخ عبد الله بن صباح.

وحرص الشيخ جابر على إقامة العدل بين الأهالي وعدم التدخل في شؤونهم، وتوفير الظروف المناسبة لتشجيع تجارتهم وأنشطتهم الاقتصادية وتحسين معيشتهم. ويدل على ذلك، ما حدث عندما فرض ابنه الشيخ صباح ضريبة على الحوانيت من دون علمه، وكان من أصحاب الحوانيت رجل فقير امتنع عن دفع الضريبة لأنه لا يملك قيمتها، فلم يقبل الشيخ صباح عذره، فذهب الرجل إلى مجلس الشيخ جابر واستجار به شارحاً له الضائقة المالية التي يمر بها، ورجاه إعفاءه من دفع تلك الضريبة.

اندهش الشيخ مما سمع، وسأل الجالسين من حوله وكانوا من وجهاء البلد عن صحة ذلك، وعندما ترددوا في الحديث بشأن هذا الموضوع كرر عليهم السؤال، فأكدوا له صحة حديث الشاكي. وحسب رواية

الرشيد: «حينذاك أرسل إلى ابنه صباح وأغلظ عليه القول على تجاسره، وقال: إن لأهل الكويت علينا حقوقاً عظيمة، ولو كان تحت يدي ثروة طائلة لقمت بحاجات الفقراء والمحتاجين منهم إلى أن يموتوا»[1].

تعلم الشيخ جابر تلك القيم والمعاني من أبيه وجدّه، وكان متابعاً لمجريات الأمور في البلاد المجاورة، كما تعلّم النأي بالكويت عن آثارها السلبية. تابع الشيخ جابر ما حدث لأمراء المنتفق، وظهور الوهابية وتأسيس الدولة السعودية الأولى وما خلّف ذلك من حروب وصراعات سياسية، وتغير أحوال آل زهير حكام الزبير، وما حل ببني كعب في المحمرة. وأدار دفة الحكم في بلاده بما يحافظ على استقرارها وتعظيم مصالحها.

أكد هذا المعنى الميجر جورج ب. بروكس في تقريره إلى حكومة بومباي البريطانية عام 1829، والذي أشار فيه إلى أن أهالي الكويت «قد نعموا بسلام في الوقت الذي سادت فيه الاضطرابات جميع أجزاء الخليج الأخرى، وهذا سبب ما يتمتعون به من أمجاد بحرية».

وأكد هذا المعنى أيضاً بيلي الذي كتب أن الشيخ صباح حكى له وصية والده الشيخ جابر له بشأن حُكم الكويت، والتي جاء فيها: «عندما بلغ والدي المئة والعشرين من عمره، ناداني إليه، وقال: يا ولدي، إنك تعلم أنني سأفارق الحياة. إنني أموت فقيراً دون أن أترك لك ثروة أو نقوداً، غير أنني كوّنت في حياتي صداقات حقيقية خالصة مع أناس عديدين. عليك أن تعتمد على هؤلاء. انظر إلى الدول المختلفة من حولك في منطقة الخليج، تجد أنها قد تساقطت بسبب الظلم أو سوء

1- المرجع السابق، ص 127.

الإدارة، لكن إمارتي كانت دوماً تقوى وتتسع. تمسك بسياستي، ومع أنك محاط بالصحراء، ومع أنك محاط بقبائل كانت ذات يوم معادية وهي ما زالت حتى يومنا هذا غير مستقرة أو متحضرة فلسوف تتقدم مشيختك وتزدهر»[1].

ولخص بيلي نظرته لدور حكام الكويت بقوله: «وهكذا وبحكمة الشيوخ ساروا على سياسة قويمة ورعوها، استطاع هؤلاء أن ينشئوا ميناء مزدهراً جعلوه ملجأً للمضطهدين، وبيتاً آمناً لكل أمه»[2].

ثالثاً- الحفاظ على استقلال الكويت

استمراراً لسيرة والده وجدّه، سعى الشيخ جابر إلى إقامة علاقات متوازنة مع القوى المحيطة بالكويت والحفاظ على استقلالها، يدل على ذلك موافقة الشيخ جابر على استقبال المقيم البريطاني ومعاونيه في جزيرة فيلكا عام 1821، نتيجة للمصاعب التي واجهته على يد داوود باشا والي بغداد، كما سوف نشرح في المبحث الخامس من هذا الكتاب، مما يؤكد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية. ويدل على ذلك أيضاً، ما حدث في عام 1839 لمحمود آغا المور دي الضابط بالجيش العثماني في البصرة، والذي قرر الانشقاق مع عدد من جنوده عن الجيش العثماني والانضمام إلى القوات المصرية بقيادة محمد خورشيد باشا في نجد، فسافر إلى الكويت في طريقه للأحساء. وعندما

1- هناك أكثر من ترجمة للنص المكتوب أصلاً باللغة الإنجليزية. انظر أبو حاكمة، مرجع سابق، ص205 ود.عبد الله يوسف الغنيم، «البلط البحري»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 41 (يناير 2013) ص3.

2-هناك أكثر من ترجمة للنص المكتوب أصلاً باللغة الإنجليزية. انظر أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 205 - 206.

وصل الخبر للسلطات العثمانية، أصدرت أمراً بالقبض عليه وأبلغته للشيخ جابر لتنفيذه ولكنه لم يعبأ به، وتركه يواصل رحلته.

وحسب رواية الضابط محمود آغا المور دي نفسه عما حدث:

«اتفقت مع نحو خمسمئة جندي من أصل الألف جندي الموجودة في البصرة على أن نلتحق بمعية حضرة خورشيد باشا. فشاع هذا الأمر، فمنعوا من أجله إعطاء التذاكر والسفن. فلم يكن بالإمكان أن نأتي بذلك المقدار من العسكر، فاستدعيت بوجه السرعة سبعين جندياً، وركبنا الفلك بالكره عنهم، وتوجهنا إلى الكويت، وصعدنا إليها، وجئت إلى محمد أفندي[1] –مأمور اشتراء الغلال في الكويت، من قبل حضرة خورشيد باشا- وبينما كان محمد أفندي ناوياً الإقامة في الكويت بضعة أيام، جاء خطاب مع رجل مخصوص من البصرة لابن صباح -أمير الكويت- يطلب القبض علينا، وإعادتنا إلى البصرة، فلم يعبأ ابن صباح بذلك الكتاب، وأجاب بأنه غير قادر على القبض علينا وإرسالنا بالإجبار، ثم إن الأمير المرقوم أركبني أنا ومحمد أفندي والعسكر الذين معنا سفينة، فوصلنا إلى الأحساء فصعدنا إليها»[2].

وفي نفس السياق، فتح الشيخ جابر أبواب بلاده لطالبي الحماية والأمان الذين لجؤوا إلى الكويت بسبب تقلبات الحياة السياسية في بلادهم، ولم يميز بين فريق وآخر ومن اتفق معه في الرأي أو اختلف

1- الإشارة إلى المُلازم محمد رفعت أفندي مبعوث خورشيد باشا قائد القوات المصرية في الجزيرة العربية إلى شيخ الكويت وسوف نأتي على ذكر دوره في الأجزاء التالية من الكتاب.

2- عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام (جمع وترتيب وتصحيح)، تاريخ ابن لعبون، خزانة التواريخ النجدية، الجزء الرابع - الطبعة الأولى (من دون مكان نشر: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1419/ 1999) ص 14-13.

معـه. ودل ذلـك علـى حصافته وبعد نظـره. كان من الأحـداث المبكرة في هـذا الشـأن، لجـوء ضامـر بـن حويمـد أحد تجـار الشـام إلـى الكويت عام 1826، وكانـت المناسـبة أنـه تعـرض لتعسـف مصطفى باشـا والي دمشـق الـذي غالـى فـي فرض الضرائـب، وقام أعوانـه بالاعتداء علـى قوافل التجار وأموالهـم. وفـي هـذه السـنة، تعرضـت قافلـة كبيـرة امتلكهـا هـذا التاجر وهـي فـي طريـق عودتهـا للشـام إلـى اعتـداء مـن برهان بـك أحـد أعوان الوالـي لسـلب حمولتها، ودارت معركـة مع حراس القافلـة، انتهت بمصرع برهـان بـك وعـدد مـن رجاله، وخشـي التاجر العـودة إلى الشـام خوفاً من بطـش الوالـي. فلجـأ إلـى الشـيخ جابـر، وطلب منـه الحماية فاسـتجاب له الشـيخ ومنحـه الأمـان قائـلاً لـه: «أنـت وأهلـك فـي حمانـا وفـي ضيافتنا، فكـن آمنـاً هانئـاً ولـن يصل إليـك أحد بسـوء ما دمـت مقيماً فـي حمانا».

وعندمـا طلـب مصطفـى باشـا مـن الشـيخ تسـليم التاجـر، رفض الشـيخ طلبـه رغـم توصيـة كل مـن عزيـز آغـا متسـلم البصـرة وداوود باشـا والـي بغـداد بذلـك. ومـن الجديـر بالتسـجيل أنـه فـي فتـرة لاحقـة، غضبـت السـلطات العثمانيـة علـى مصطفـى باشـا وتم عزلـه عن منصبـه وأجريت محاكمـة لـه فـي الآسـتانة. وعندمـا وصـل الخبر إلى مسـامع الشـيخ جابر، اسـتدعى التاجـر ضامـر وسـأله عمـا إذا كان يريـد العـودة إلـى بـلاده بعد زوال الخطـر عنـه أو الاسـتمرار فـي إقامتـه بالكويـت. وكان رد التاجـر بأنه لـن يرحـل مـن البلـد الـذي آواه وحمـاه في أوقـات الشـدة والعسـر، وأنه مسـتمر فـي الإقامـة بالكويـت ويرغـب في أن يمـوت ويدفن فـي أرضها.[1]

ومـن الأمثلـة الدالـة على أن الشـيخ جابر وفـر الحماية والأمـان لكل من

1- يعقوب عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص ص 40-39

استجار به علاقته بشيوخ الزبير، فعندما انتصر آل زهير على آل سميط عام 1827، لجأ آل سميط وأنصارهم إلى الكويت فاستضافهم الشيخ. وأنه عندما انهزم آل زهير على يد قوات المنتفق وآل ثاقب في عام 1832، لجأ سليمان بن عبد الرزاق الزهير[1] وأتباعه إلى الكويت. ورغم أنه كان خصماً سياسياً للشيخ جابر، وأن الكويت شاركت في حصار الزبير وإلحاق الهزيمة به فإن شيخ الكويت لم يتردد في استقباله وإكرام وفادته[2].

وفي نفس العام -عام 1832- لجأ راشد بن ثامر السعدون[3] شيخ المنتفق إلى الكويت بعد احتدام خلافاته مع السلطات العثمانية، فلم يجد مكاناً يأمن فيه على نفسه وأسرته سوى الكويت. فوصلها في وقت لم يكن فيه الشيخ جابر بالمدينة، فقامت الشيخة مريم شقيقة الشيخ بحسن استقباله لحين وصول الشيخ، والذي رحب به وأفاض عليه من الكرم وحسن الوفادة، «وظل -بتعبير الرشيد- يتقلب هناك على فرش الإكرام والاحترام حتى أنساه جابر بإحسانه مصيبته التي نزلت به»[4]. وعرض الشيخ جابر عليه التدخل لدى السلطات العثمانية لإنهاء الخلاف.

1- اختلفت المصادر حول هذا الاسم، فذكر لوريمر في دليل الخليج أنه يعقوب آل زهير، بينما اكتفى عبد العزيز الرشيد بأنه رجل من آل زهير، ورجحت مصادر أخرى اسم سليمان بن عبدالرزاق بن يوسف بن يحيى الزهير. وهو الاسم الذي أشار إليه الشيخ صباح بن جابر ونجله الشيخ عبد الله في الخلاف الذي نشأ مع الدولة العثمانية عام 1866 بشأن ملكية أرض الصوفية التي أهداها هذا الرجل إلى الشيخ جابر. انظر أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 220،

2- المرجع السابق، ص 218 - 219.

3- هو راشد بن ثامر بن سعدون بن محمد بن نافع بن شبيب.

4- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 119. ومخلد المطيري، مرجع سابق، ص 99.

وردّ راشـد للشـيخ جابـر حسـن صنيعه، فبعـد إنهاء خلافه مع السـلطات العثمانيـة وعودتـه لبلـده رغب في إهداء الشـيخ قطعة مـن الأرض تقديراً منـه لمـا قام بـه، وخيَّـره بين منطقـة «المعامر»[1] بأسـرها أو «ثلاثـة أحواز فـي منطقـة الفـاو»، فاختـار الثانيـة بالمخالفـة لآراء الذيـن فضلـوا منطقة «المعامر».

وبـرر لهـم اختيـاره لأراضـي الفـاو الأقـل حجمـاً وعمرانـاً بأنهـا تقع على شـط العـرب، وأن هـذه الأراضـي تتسـع نتيجـة لمـا ينقلـه البحـر لهـا مـن «طيـن وغيـره»[2]، وأن موقعهـا البحـري يوفـر حمايـة للسـفن الكويتية التي تتاجـر مـع ميناء البصرة بعيداً عن ضغوط السـلطات العثمانية وتدخلاتها[3]. ويوضـح هـذا الاختيـار بجـلاء حكمة الشـيخ وسـعة إدراكه واتسـاع أفقه[4].

وفـي أعقـاب مشـاركة الكويـت فـي حصـار المحمـرة وتقدم قـوات علي رضـا باشـا والـي بغـداد إلى عاصمتها الفلاحيـة عـام 1837، غادرها ثامر بن غضبـان شـيخ بنـي كعب، ولجأ إلـى الكويت حيـث مكث فيها فتـرة لحين إنهـاء خلافاتـه مع والـي بغداد.

وفـي العـام التالـي 1838، اسـتضافت الكويـت القائـد الوهابـي عمـر بن عفيصـان بعـد هزيمـة الأميـر فيصـل بـن تركـي أمام قوات خورشـيد باشـا، فلجـأ أولاً إلـى البحريـن ومنهـا إلى الكويت حيـث أقام فيها قرابـة عامين.

1- المعامر هي مقاطعة زراعية شمال الفاو كانت تسمى «الدكاك»، عمرها راشد بن ثامر السعدون. وكانت الفاو من ملحقات المعامر.

2- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 120.

3- منتدى تاريخ الكويت، سيرة الشيخ جابر العيش، مرجع سابق.

4- بلغت مساحة هذه الأراضي ستة عشر ألفاً وثمانمئة إيكر، والإيكر يساوي 4000 متر مربع، أي أن مساحة الأرض تعادل 67200كم مربع، وقدرت قيمتها في عام 1915 بأكثر من مليون جنيه إسترليني. مخلد المطيري، مرجع سابق، ص 118.

وتتالى قدوم اللاجئين الذين طلبوا الأمن وحماية شيخ الكويت لهم، ففي عام 1841 لجأ الشيخ ثامر أمير بني كعب للمرة الثانية بعد خلافه مع الحاكم الفارسي لمقاطعة عربستان، ولكن إقامته لم تطل وغادرها بعد فترة إلى البصرة.

وفي نفس العام، لجأ الأمير عبد الله بن ثنيان إلى الكويت بعد هزيمته من ابن عمه الأمير خالد بن محمد بن سعود. وعندما تغيرت موازين القوى وأعاد ثنيان وحلفاؤه تنظيم قواتهم وهزم الأمير خالد، لجأ الثاني بدوره إلى الكويت في عام 1842.

وفي عام 1842 أيضاً، لجأ مصطفى آغا الكردي متسلم البصرة إلى الكويت، وذلك بعد أن اتهمته السلطات العثمانية بتبديد الأموال الحكومية وأمرت بالقبض عليه، فطلب من الشيخ جابر الحماية. أرسلت السلطات العثمانية وفداً إلى الكويت للقبض على الهارب، فرفض الشيخ طلبهم على أساس أنه في حمايته، ثم أوعز إلى مصطفى آغا بالرحيل إلى نجد حتى تفقد السلطات العثمانية أثره ولا تعرف مكانه.[1]

وفي عام 1844، وبعد هزيمة الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة حاكم البحرين على يد الشيخ محمد آل خليفة –حفيد شقيقه- الذي نازعه الحكم، لجأ إلى الكويت.

ويكشف موقف شيخ الكويت تجاه قبائل العجمان والمنتفق أيضاً عن صدق ما أشرنا إليه من عدم تمييزه بين طالبي اللجوء عندما يتطلعون إليه طلباً للأمان. ومع أن هذه القبائل هددت أطراف الكويت

1- هيئة التحرير، «اللجوءات السياسية إلى الكويت والنفي إليها (منذ تأسيسها إلى أعوام الستينيات)»، تراثنا، العدد الحادي عشر (ذو القعدة 1419/ مارس 1999) ص28.

بيـن الفينـة والأخـرى، فعندمـا لحقـت بهـم الهزيمة علـى يد عبـد الله بن فيصـل وافـق الشـيخ علـى لجوئهـم إلـى الكويـت. وبنفـس الـروح، أعطـى الأمـان للقـادة الوهابييـن الذيـن اسـتجاروا بـه وللمتعاونيـن مـع جيـش خورشـيد باشـا الذيـن حاربـوا الوهابييـن، وللفاريـن مـن حكـم خورشـيد باشـا. وهكـذا، فـإن أبـواب الكويـت في عهـد الشـيخ جابر كانـت مفتوحة لـكل الفرقـاء، ولـكل مـن طلـب الأمـان حتـى إذا كانـت مواقفه السياسـية مخالفـة له[1].

ومـن مظاهـر اسـتقلال الكويـت، أنـه فـي هـذا الوقـت كانـت السـفن الكويتيـة ترفـع صنوفـاً مـن الرايـات المحليـة، وتغيـر هذا الوضـع بعد عام 1820 عندمـا أبرمـت بريطانيـا اتفاقيـة السـلم العـام مـع إمـارات الخليـج. وكان مـن شـأنها، عـدم الاعتـراف البريطانـي بالرايـات المحليـة للإمـارات التـي لـم تنضـم للاتفاقية، ومنهـا الكويـت، وازدادت الضغوط على الشـيخ جابـر لرفـع العلـم البريطانـي. وكـرد فعـل لذلـك، قـام بمبـادرة منـه فـي عـام 1829 برفـع العلـم العثمانـي علـى داره والسـفن التابعة لـه لأنه علم تعتـرف بـه بريطانيـا، فقـد كان هدفه من هـذا الإجراء ضمان أمن السـفن الكويتية.

1- كتب أحد الشعراء السعوديين هذه الأبيات للتعبير عن تقديره لموقف الشيخ جابر، وهي الأبيات التي سجلها ابن خميس في كتابه «تاريخ اليمامة» وتقول:

نشكي الى من هو ذرا الخايفينا — هو سورنا جابر وللكسر جبار
جيناك عن دار البلى نازحينا — ناصين دارك يا ذرا الجار لو جار
يا بو صباح وش حال من بالحنينا — متولع قلبه مما في الحشا دار
ما ظن جارك بالوزا يستهينا — ولا الذي جالك من البعد زوار

عارف مرضي الفتح، الإيجاز في تاريخ البصرة والأحساء ونجد والحجاز، 622 - 1965، المجلد الثاني، ص152.

ويدل كل ما تقدم على استقلال الكويت في إدارة أمورها، وأن حاكم الكويت لم يكن تابعاً لجهة خارجية أو منفذاً لسياساتها، وقد لاحظ جيمس باكنجهام الذي كتب عام 1816 أن الكويت "قد احتفظت باستقلالها دوماً، حتى في الوقت الذي خضعت فيه هرمز ومسقط والبحرين والأحساء لحكم أجنبي. كذلك فإن القطيف والبصرة، كانتا تخضعان للأتراك، وخضعتا لحكم البرتغال، حين داهموها بجيوشهم"[1]، وأن أهل الكويت هم أكثر شعوب الخليج حباً للحرية.

يؤكد هذا ما ورد في أحد تقارير معشوق باشا متسلم البصرة عن الكويت المرفوع إلى الصدارة العظمى في عام 1850، والذي أشار فيه إلى أن شيوخ الكويت "لا يراجعون إدارة البصرة في أي موضوع أو مادة"، وأنه إذا أرادت الدولة العثمانية تغيير هذا الوضع فلابد أن تظهر قدراً أكبر من «السطوة» السياسية والعسكرية[2].

وقبل الدخول في تفاصيل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات الخارجية للكويت في عهد الشيخ جابر، من المهم أن نتعرف على الصورة العامة للكويت وما حققته من تقدم في عهده كما سجلها بيلي بقوله: "هنا نجد مدينة نظيفة بسوق عريضة مفتوحة ومساكن حجرية منتشرة حول الساحل تضم حوالي 20000 ساكن، تجذب التجار العرب والفرس من كل جانب بعدالة الحكم فيها وبحرية تجارتها"[3].

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 199.

2- د.رأفت غنيمي الشيخ وآخرون، استراتيجية الدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي 1869 - 1914 في إطار التنافس العثماني البريطاني على أقطار الخليج العربي، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2014) ص 186.

3- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 207.

رابعاً- تولي الشيخ صباح بن جابر الحكم

كما ذكرنا من قبل، ازداد دور الشيخ صباح في إدارة شؤون البلاد مع تقدم والده الشيخ جابر في العمر، وازدياد أعباء الحكم ومشكلاته. ولم يحكم سوى سبع سنوات من تاريخ وفاة والده عام 1859 حتى وفاته عام 1866، وخلفه نجله الأكبر الشيخ عبد الله الثاني[1].

تزوج الشيخ صباح من زوجتين فأنجب من الأولى "ابنة جراح الفاضل" ابنه عبدالله الذي حكم الكويت بعده مباشرة، وتزوج من لولوة بنت محمد بن إبراهيم الثاقب، التي أنجبت له الشيخ محمد حاكم الكويت السادس والشيخ مبارك حاكم الكويت السابع الذي أصبح حكم الكويت محصوراً في ذريته وفق الدستور الكويتي، وبذلك تعتبر الشيخة لولوة هي الجدة الكبرى لكل حكام الكويت، وقد توفيت عام 1905.

تعود السيدة لولوة إلى نسب عربي كريم، فآل ثاقب ينتسبون إلى قبيلة عنزة، وربطتهم علاقة قرابة مع آل سعود[2]، وصلات مصاهرة مع آل سعدون شيوخ قبائل المنتفق، وتولوا حكم الزبير أكثر من مرة، وكان من بينهم والد السيدة لولوة وشقيقها.

سار الشيخ صباح على درب أبيه في إدارة شؤون الكويت، ووصف القناعي فترة حكمه القصيرة بأنها "كلها هناء وسعة في المعيشة، ولم

1- أنجب الشيخ صباح ثمانية أولاد هم: عبد الله، وجابر، وجراح، ومبارك، ومحمد، وأحمد، وعذبي، وحمود.

2- كانت لآل ثاقب بن وطبان بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي صلة مصاهرة وقرابة مع جد آل سعود بن مقرن بن مرخان، ومانع المريدي الجد الأكبر لآل ثاقب هو من أسس إمارة الدرعية عام 1446م. انظر مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي (إعداد) وثائق أسر كويتية نجدية، (الكويت: مكتبة البابطين، 2017)، ص 90.

يحـدث فـي أيامه شـيء يكـدر الصفو»[1].

كانت البلاد وقتها قد اكتسبت سمعة طيبة بسبب استقرار أوضاعها وعدالة حكامها، فأصبحت جاذبة للناس من أرجاء نجد الذين قصدوها طلباً للعمل والتجارة وسعياً للرزق، فاتسعت رقعتها وخرجت عن نطاق سورها شرقاً وغرباً، مما أدى إلى وجود الكثير من أهل البادية والأغراب في أسواقها، وهو ما دفع الشيخ صباح إلى إعطاء أهمية أكبر لموضوع الأمن، ووجد في أخيه الشيخ دعيج الرجل المناسب الذي يستطيع تحمل هذه المسؤولية باقتدار وأن يضرب بحزم على يد أي متسلل أو عابث أو مخل بالأمن.

وبالفعـل كان الشـيخ دعيـج الحافـظ الأميـن لأمـن المدينة، فكان يسـير فـي الطرقـات حامـلاً عصـا قصيـرة ذات رأس تسـمى «عجـرة» للاطمئنـان علـى حالـة الأمـن، وعاونـه فـي هـذه المهمـة عـدد مـن حـراس الليـل لا يتجاوز عددهم عشـرة أفراد. وبسـبب كفاءته، اسـتمر في أداء هذا العمل قرابـة أربعيـن سـنة فـي عهـود الشـيوخ -أبنـاء أخيـه- عبـد اللـه ومحمـد ومبـارك[2] حتـى وفاته فـي عام 1901[3]. ومـن بعده، تولى ابنه الشـيخ صباح مسـؤولية الأمـن وحمايـة الأسـواق فـي عـام 1920، واشـتهر باسـم «صباح السـوق»، واسـتمر في تحمل هذه المسـؤولية طوال العشـرين عاماً التالية فـي عهد الشـيخ أحمـد الجابر.

1- يوسف بن عيسى القناعي، مرجع سابق، ص 18.

2- تزوج الشيخ مبارك من الشيخة شيخة ابنة الشيخ دعيج.

3- عبد الله النوري، حكايات من الكويت، (الكويت: الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985) ص ص 117 - 120. تختلف المصادر بشأن تاريخ الوفاة فيذكر البعض أنها في 1911. ويشير عبدالعزيز الرشيد إلى أنها كانت في عام 1897.

ومـن الأحـداث التـي وقعـت فـي عهـد الشـيخ صبـاح قيـام المقيـم البريطانـي الكولونيـل لويـس بيلـي بزيارتيـن للكويـت: الأولـى فـي مـارس 1863، والثانيـة فـي فبرايـر 1865. اسـتغرقت الزيـارة الأولـى ثلاثـة أيـام التقـى فيهـا بيلـي بالشـيخ صباح وحضر مجلسـه. أمـا الثانيـة فكانت لمدة ثلاثـة أسـابيع، فقـد كان بيلـي فـي طريقـه إلـى الريـاض لمقابلـة الإمـام فيصـل بـن تركـي، فأرسـل الشـيخ صبـاح مندوبـاً إليه يخبـره بطلـب بيلي، ويستفسـر عـن إمكانيـة إتمامـه الرحلـة، قضـى بيلـي هـذه الفتـرة منتظراً الموافقـة. وعندمـا وصلتـه، بعـث الشـيخ صبـاح معـه عـدداً مـن رجالـه لإرشـاده سـبل الطريـق وحمايتـه.

قضـى بيلـي عـدة أيـام في مدينـة الجهراء فـي ضيافة يوسـف البدر أحد أكبـر تجـار الخيـول فـي الكويـت، ثـم أرسـل له الشـيخ صبـاح ابنه الشـيخ مبـارك لمرافقتـه إلـى مدينـة الكويـت. كانـت فتـرة إقامـة بيلـي بالكويت كافيـة لأن يتعرف على الشـيخ صباح عن قرب وعلـى أوضاع البلد ورجالها. وكتـب عـدة تقاريـر تتضمـن معلومـات وتفصيـلات مدققـة عمـا شـاهده مثـل المسـافات بين المـدن، وطبوغرافية الأرض، وأنسـاب الخيـل العربية. ومازالـت هـذه التقاريـر مصـدراً رئيسـياً للباحثيـن في شـؤون الكويت في منتصـف القرن التاسـع عشـر.

وصـف بيلـي الشـيخ صبـاح بأنـه "بشـوش، قـوي البنيـة، عليـه وقـار الثمانيـن عامـاً، حسـن المظهر، طيـب القلب، يدير دفة الحكـم بروح الأب تجـاه أبنائـه، هـو لا يأنـف أن ينـزل علـى حكـم القاضـي، إذا خالفـه فيمـا ذهـب إليه. "وكان الشـيخ" يتمتع بصوت جهـوري، وحيوية دافقة، ولا أدل

علـى ذلـك مـن أن أصغـر أبنائـه كان فـي الخامسـة من عمـره[1]».

أمـا بيـت الشـيخ الـذي ورثـه عـن أبيـه الشـيخ جابـر، فقـد وصفـه بيلي بالبسـاطة والتواضع، بل إنه كان -حسـب قوله- «خرباً»، وأن الشـيخ جلس علـى حصيـر. ولعـل بيلـي كان يقارن بشـكل غير مباشـر بين بسـاطة بيت حاكـم الكويـت وفخامـة منزل يوسـف البـدر الذي أقـام به فـي الجهراء.

وخـلال فتـرة زيارتـه، حضـر بيلـي مجلـس الشـيخ صبـاح وسـجل معرفة الشـيخ ورواد مجلسـه بتطـورات الأحـداث فـي أوروبـا، وذلـك مـن خـلال اضطلاعهـم علـى مجلـة عربيـة كانـت تصدر فـي باريـس وهـي «أورينتال باريـس جازيـت»، وظهـر ذلـك فـي النقـاش الـذي دار معه بشـأن سياسـة الحكومـة البريطانيـة تجـاه الدولـة العثمانيـة. وكذلـك بشـأن السياسـة البريطانيـة تجـاه تحريـر العبيـد، ومكافحـة القرصنـة فـي الخليـج[2].

وهكـذا، فقـد كان عهـد الشـيخ صباح امتـداداً لما تحقق فـي عهد والده الشـيخ جابـر وتدعيمـاً لـه حتى وفاتـه في 16 مايـو 1866 عن عمـر يناهز اثنيـن وثمانيـن عامـاً، وتولى الحكم من بعـده نجله الشـيخ عبدالله الثاني الذي اسـتمر عهـده حتى 1892.

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 205.

2- المرجع السابق، ص 207.

المبحث الثاني

الأوضاع الاقتصادية: ركوب البحر وازدهار التجارة

توضح خارطة الكويت أن الحقيقة الكبرى فيها هي الصحراء والبحر، فهي محاطة من الشمال والجنوب والغرب برمال صحراء مقفرة، وتطل على البحر من ناحية الشرق في موقع فريد على رأس الخليج، وكان لهذه الطبيعة الجغرافية أثر كبير على تطور الكويت الاقتصادي، واعتمادها على التجارة باعتبارها النشاط الرئيسي لأهلها.

نشأت الكويت كمركز تجاري، وذلك بحكم موقعها الجغرافي في شمال غرب الخليج على طريق نقل بحري ارتادته السفن، ومينائها المتميز، واتصالها بالقوافل المتجهة إلى صحراء شبه الجزيرة العربية والعائدة منها، ووقوعها «على طرق تجارية قديمة تمتد من الخليج العربي حتى حلب»[1].

نمت الكويت بسرعة في عهد مؤسسها الشيخ صباح الأول، فوجدها العالم الدنماركي كارستن نيبور عامرة وغنية، وقدر عدد سكانها بعشرة آلاف نسمة، وأن لها أسطولاً تجارياً تكون من ثمانمئة مركب شراعي كما ورد في كتابه بعنوان «وصف الجزيرة العربية» الذي صدر عام 1772. وفي عهد نجله الشيخ عبد الله الأول ثاني حكام الكويت، استمر

1- نتاليا نيكولايفينا تومانوفيتش، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر. ترجمة سمير نجم الدين سطاس (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2006) ص203.

نمو التجارة وانتقلت السفن التجارية الأوروبية من البصرة في أعقاب سقوطها في أيدي الفرس بقيادة كريم خان الزندي عام 1775 إلى ميناء الكويت. واستمر ذلك حتى عام 1779 [1].

كتب باكنجهام عام 1816 عن الجزر التابعة للكويت، وشملت: فيلكا التي أكد أنها جزيرة إيكاروس المذكورة في التاريخ الإغريقي والروماني، وجزيرتي مسكان وعوهة، وأشار إلى جزيرة كبر باعتبارها من جزر الكويت[2].

كانت الصورة العامة عن مدينة الكويت أنها مكان تغيب عنه الخضرة على مدّ البصر، وتحاصرها الرمال من كل جانب، وأنها مدينة «متسعة كثيفة السكان» حسب وصف باكنجهام.

وأضاف ستوكلر في 1831 أنه على امتداد ستين ميلاً خارج السور فإن المرء لا يرى أشجاراً بها أو شجيرات سوى مجرد رمال.

وقال فيلكس جونز في 1839: إنه "ليس لدى أهلها خضراوات أو لديهم شيء قليل منها باستثناء البصل لأن المنطقة قاحلة تماماً». وأضاف أنه يوجد في جزيرة فيلكا «عدد مبعثر من أشجار النخيل، تثمر قليلاً وتظل عقيماً، وفي الخارج بضعة ربعان مزروعة تربتها رملية، مغطاة بالطفل شبيهة بتربة جزيرة (خارج)[3] يستنبتون فيها قليلاً من البصل والبطيخ، وكمية ضئيلة من القمح بين الحين والحين، وهم يروون هذه الربعان من مياه آبار كثيرة تظل صالحة خلال فصل المطر، ثم تكون

1- عبد الكريم محمود غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث 1500 - 1918، الجزء الأول العراق والجزيرة العربية (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1960) ص 245.

2- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 199.

3- خارج هي جزيرة إيرانية في شمال شرق الخليج مقابل ميناء بوشهر.

قليلـة القيمة بعـد ذلك»[1].

افتقـدت المدينـة مصـادر المياه الصالحة للشـرب، فيما عـدا بعض الآبار التـي اعتمـد وجـود الميـاه فيهـا علـى سـقوط الأمطـار، وذكـر سـتوكلر أن ماءهـا كان أبعـد مـا يكـون عـن العذوبـة.[2] وسـجل بيلـي في أحـد تقاريره عـام 1866، أنـه «ثمـة اعتقـاد فـي الكويـت بـأن نهـراً قـد مـر في شـمالي الكويـت فـي إحـدى المراحـل التاريخيـة، ولـم أسـتطع العثـور علـى أثـر لهـذه القنـاة الآن لكنني في مناسـبة سـابقة أبحـرت إلى رأس خـور الزبير، وهنـاك وجـدت قنـاة صغيـرة تربـط الخـور بأنهـار البصرة»[3].

ويتنـاول هـذا المبحـث تطـور الأوضـاع الاقتصاديـة فـي عهـد الشـيخين جابـر وصبـاح، فيعـرض لحالـة الأسـواق باعتبارها عصـب الحيـاة التجارية، ثـم للأنشـطة الاقتصاديـة والمهـن التـي اشـتغل بهـا أهالـي الكويـت، ثـم طـرق التجـارة البحريـة والبريـة.

أولاً- الأسواق

اهتـم الشـيخ جابـر بأحـوال السـوق والتجـار، وكان مـن عاداتـه الخروج للاطـلاع علـى حالـة السـوق الـذي كان يعقد خارج البوابة الرئيسـية لسـور المدينـة، ومراقبـة حركة البيع والشـراء بيـن أهل المدينة والبـدو القادمين مـن خارجهـا، والذيـن كانـوا ينصبـون خيامهـم فـي هـذا المـكان، وكان يتدخـل بنفسـه أو مـن خـلال أحـد أعوانـه لحـل أي نـزاع أو خـلاف ينشـأ بيـن البائعين والمشـترين، واسـتمر الشـيخ صباح في انتهاج هذا المسـلك

1- المرجع السابق، ص ص 201، 203.

2- المرجع السابق ص 202.

3- د.عبد المالك خلف التميمي، أبحاث في تاريخ الكويت، (الكويت: دار قرطاس للنشر، 1998) ص 35.

بعد والده[1]. وذكر بيلي في عام 1863 أن الـ«بازار» أو سوق الكويت كان يقصده العرب والعجم، وأرجع ذلك إلى عاملين رئيسين هما: عدل الحكام، واحترام قواعد حرية التجارة[2].

وقام شيخ الكويت بتوفير الأمن في الأسواق حتى يتم البيع والشراء دون تجاوز من أي شخص، وكان أشهر من تولى هذه المهمة هو الشيخ دعيج نجل الشيخ جابر في عهد شقيقه الشيخ صباح، والذي وردت الإشارة إليه تفصيلاً في المبحث الأول.

كانت أسواق الكويت عامرة بالسلع، وحسب بروكس في عام 1829، استوردت الكويت التمور والحنطة من البصرة، والأقمشة والأرز والسكر والخشب والبهارات من الهند، والقهوة من اليمن، والدخان والفواكه المجففة من فارس، والأقمشة والتمور والسمك من البحرين، وذلك للاستهلاك المحلي أو لإعادة تصديرها إلى أماكن أخرى.

وإضافة إلى ما ذكره بروكس، كان الكويتيون يحصلون على «الدبس» من القطيف، والدبس هو عسل التمر الذي يأتي من نوع معين من التمور أطلق عليه اسم « الخنيزي» وهو رطب مشهور بشدة حلاوته[3].

ويذكر بروكس أن الكويت كانت المصدر الرئيسي لاحتياجات شمال ووسط نجد من القمح والقهوة والسلع الضرورية الأخرى. وأضاف أنه يتردد أن قيمة واردات الكويت بلغت 500 ألف روبية، بينما كانت

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 243.

2- المرجع السابق، ص 204.

3- هيئة التحرير، «تجارة السلوق واللؤلؤ فصول من تاريخ العلاقات التجارية الهندية مع القطيف»، مجلة الواحة، (بيروت)، العدد 1 (أكتوبر 2007) البحث متاح إلكترونياً على موقع المجلة، ولا يحمل أرقام صفحات.

صادراتها أقل من 100 ألف روبية[1]، ويمكن تفسير هذا التفاوت بين الواردات والصادرات بأن الأولى شملت جزءاً كبيراً من السلع التي أُعيد تصديرها مرة أخرى، وأنها تمت لحساب تجار من غير أهالي الكويت.

وفي عام 1831 وصل ستوكلر إلى الكويت على ظهر البغلة (الناصري) قادماً من بومباي، وسجل أن السفينة حملت الجلود والحصير.

وفي عام 1839، زار فيلكس جونز ميناء الكويت وجزيرة فيلكا، وكتب أن فواكه أهل الكويت تتألف من «البطيخ الذي ينبت عندهم، ومن التمر والحمضيات والرمان والشمام، وهذه يحصلون عليها من بوشهر والبصرة»، وأنهم يشترون "الحنطة والشعير والذرة التي يحصلون عليها من البصرة والهند، والأرز من منجلور (وهي مدينة في الهند)". وأضاف أن أهالي الكويت كانوا يحصلون على ألواح خشب الساج الذي يستخدم في بناء السفن من بومباي، ونوع آخر من الخشب الصلب الذي يستخدمونه كدعائم وسنادات من مسقط.

وبخصوص اللحوم، كان أهالي الكويت يشترون الماشية والدواجن من البدو المقيمين بالقرب من أطراف المدينة والخراف من القبائل التي أتت للتجارة في سوق الكويت، وحسب تقدير فيلكس جونز، انخفض سعر الخروف إلى ما يوازي دولاراً أمريكياً واحداً في موسم التجارة وارتفع إلى دولارين عندما قل عدد المعروض من الخراف.

وأضاف بيلي في تقرير له عام 1863، أن الكويت استوردت الأقمشة والأرز والقهوة والبهارات وخشب الساج من ملبار وبومباي. وأنها صدَّرت الصوف بقيمة 40000 روبية، والتمور بقيمة 60000 روبية، وبضائع

1- عارف مرضي الفتح، مرجع سابق، ص 136.

أُخرى بحوالي 40000 روبية. والأرجح أن تلك الأرقام التي أوردها بيلي تضمنت جزءاً كبيراً من تجارة إعادة التصدير (الترانزيت).

واختلف الرأي حول ما إذا كان شيخ الكويت قد فرض رسوماً على السلع القادمة من الخارج، فذكر ستوكلر أنه فرض رسماً قدره 2 % على جميع الواردات، بينما سجل الكابتن هينيل المقيم البريطاني في بوشهر عام 1841 [1]، أن شيخ الكويت لم يفرض رسوماً جمركية بشكل عام باستثناء الرسم المفروض على سلع البدو القادمين إلى أسواق المدينة للاتجار فيها. أما الحركة التجارية في ميناء الكويت فهي حرة تماماً، والدخل الذي يحصّله الشيخ لا يتجاوز 3000 دولار، وهي نفس المعلومات التي كررها كمبال الذي خلفه في منصبه في تقرير له عام 1845.

أما بيلي، فقد أورد أنه لم يلحظ وجود ضرائب أو رسوم على الحركة التجارية في الكويت، فيما عدا ما يدفعه التجار من مال للحاكم كمساهمة منهم في تحمل تكلفة إدارة المدينة وحفظ الأمن فيها، وقدر بيلي أن حصيلة هذه الأموال بلغت 20 ألف ريال عثماني[2].

كان الشراء والبيع في الأسواق يتم بين تجار ينتمون إلى قبائل مختلفة ومناطق جغرافية متباعدة، وحكم العلاقات بينهم قيم الصدق والالتزام بالعهود، ويدل على ذلك الرسالة الموجهة من راشد الدخيل إلى عبدالعزيز الماضي "من محفوظات علي غلوم الرئيس"، المؤرخة في 25 أبريل 1870، والتي أشار فيها إلى أنه عند وصوله الكويت أخبره بعض تجارها بأن عليه ديناً مقداره 2600 روبية اشترى بها والده في

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ص 229، 230.
2- المرجع السابق، ص ص 293 -297.

العام الماضي 15 رأساً من الخيل، فأخبرهم بأن أغلب هذه الخيول قد نفقت، وأن العملية انتهت «بخسارة كلية»، وأن كمية القهوة التي بحوزته لا تخصه وإنما يملكها ابن ماضي وابن مرزوق وإبراهيم الفهد، وطلب منهم مهلة لسداد الدين، فقبل تجار الكويت عذره، وحسب ما ورد في الرسالة فإنهم «قالوا: أنت رفيقنا من يمناك إلى يسراك»، ولم يترددوا في تزويده ببضاعة أخرى للمتاجرة بها في أسواق بغداد وسوق الشيوخ والزبير على أن يدفع ثمنها لاحقاً[1]. ومع أن تاريخ هذه الرسالة يعود إلى مطلع عهد الشيخ عبد الله الثاني حفيد الشيخ جابر فإنها تشير إلى الأجواء التي سادت الأسواق والتجارة في الكويت في تلك الفترة.

وهكذا، فإن سياسة حرية التجارة التي أرساها الحاكم الثاني للكويت الشيخ عبد الله بن صباح استمرت في عهد ابنه جابر وحفيده صباح دون تغيير أساسي، باستثناء قيام الشيخ صباح في عهد والده بوضع رسوم على الحوانيت لإنفاق حصيلتها على رواتب حراس السوق[2].

وكانت هناك محاولة أخرى من الشيخ صباح لفرض رسوم على ما يتم تصديره من الكويت، فاختلف معه التجار، لأن "الرسم على الأموال الخارجة مضرّ بمصلحة التجارة ومُعوق لها، وقالوا له: إن كنت في حاجة إلى الأموال فما عندنا شيء يعز عليك فانصاع لإرشادهم»[3].

1- هيئة التحرير، على هامش تجارة الخيل والقهوة في الكويت، (وثيقة من محفوظات علي غلوم الرئيس)»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 27، (يوليو 2009)، ص 31.

2- محمد عبدالهادي جمال، أسواق الكويت القديمة (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2004) ص53.

3- يوسف بن عيسى القناعي، مرجع سابق، ص 23. ونفس الواقعة في عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 129.

وفي نزول الشيخ صباح عن رأيه وقبوله مشورة التجار أكبر دليل على العلاقة الوثيقة التي ربطت شيخ الكويت بالتجار والأهالي، وحرصه على ازدهار التجارة التي مثلت أحد المصادر الرئيسية لدخول أهالي الكويت من ملّاك السفن والعاملين عليها وكبار التجار الذين يشترون السلع من الخارج وصغار التجار الذين يبيعونها في الأسواق.

ثانياً- الأنشطة الاقتصادية

ارتبطت الأنشطة الاقتصادية لأهالي الكويت بالبحر، فكان منها صيد السمك، والغوص على اللؤلؤ والتجارة. كان الغوص على اللؤلؤ مهنة أغلب أهالي الكويت، واجتذبت أعداداً كبيرة من الرجال من مختلف أنحاء نجد والخليج الذين قدموا للعمل في موسم الغوص على اللؤلؤ.

وتطورت طقوس وعادات تتعلق بهذه المهنة. فكانت رحلة الغوص تخرجُ تحت قيادة النوخذة وتضم «المقدمي» أو المجدمي، وهو رئيس البحارة ونائب النوخذة، و"السكوني" الذي يمسك بدفة السفينة، و«الغيص» وهو من يقوم بالغوص بحثاً عن المحارة، و"السيب" ومهمته إنزال الغيص إلى البحر بواسطة حبال وسحبه إلى أعلى بعد انتهاء مهمته[1]، و"الجلاس" الذي يفتح المحار، و"النهام" وهو مطرب السفينة. وذلك إضافة إلى "الطباخ"، و"القلاف" أي النجار، و"التبابة" وهُم الصبية الذين يعملون على ظهر السفينة لاكتساب الخبرة ويقومون ببعض الأعمال الصغيرة. وتراوح عدد البحارة في الرحلة بين 30 إلى أكثر من 100 شخص حسب حجم السفينة، وأطلق الكويتيون

1- كانت أرجل الغاصة تُربط بقطع من الحجارة لضمان نزولهم إلى قاع البحر، وبعد انتهاء مهمتهم يتخلصون منها لتيسير شدهم إلى الأعلى.

اسـم «المحمـل» علـى السـفينة، واسـم «الركبـة» علـى يـوم بـدء الرحلـة، واسـم "القفّـال" علـى يـوم عودتهـا مـن البحر.

كانـت سـفينة الغـوص مُجتمعـاً صغيـراً ارتبـط فيـه الجميـع بعضهـم ببعـض تحـت قيـادة النوخـذة الـذي احتفـظ بعلاقـة الأبـوة مـع بحارتـه، وكان النواخـذة يُقرضـون البحارة قبـل الرحلة حتى يُمكـن لعائلاتهم الوفاء باحتياجـات المعيشـة فـي فتـرة غيـاب ذويهـم.

عرفـت الكويـت كثيـراً مـن الصناعـات والحـرف اليدويـة الضروريـة كالنجـارة والحـدادة، وصناعـة الحلـي لزينـة المـرأة. ومن الحـرف القديمة فـي الكويـت صناعـة المسـامير التي اسـتخدمت فـي بناء السـفن وأدوات الهـدم والبنـاء كالمطـارق والفـؤوس و"القداديـم"، وهـي جمـع قـادوم، والسـكاكين و"الكلاليـب" والمفـرد كلّاب أو جـلّاب، ويسـتخدم لغلـق الأبـواب والنوافـذ، و"الملاقـط" جمـع ملقـاط، واسـتخدمت فـي حمـل الجمـر وتحريكـه، و"الباورة" وهي المرسـاة أو الأنجـر، وتُصنع من الحديد، و"المراكـي" أو "مراكـي القـدر"، وهـي عبـارة عـن إطـار مُسـتدير مـن الحديـد يُرفـع علـى ثلاث أرجـل أو أربع، ويوضـع القدر فوقـه وتحته النار، و"الحـدوات" جمـع حـدوة بمعنـى نعـال أو أحذيـة الخيـل. وكان لهـذه الأدوات سـوق خـاص بهـا بالقـرب مـن مسـجد السـوق الكبيـر.

ومـن الحـرف أيضـاً صناعـة القـدور والصحـون وأباريـق القهـوة مـن النحـاس علـى اختـلاف أنواعهـا وأحجامهـا، وحياكـة الملابـس والعبـاءات للرجـال والنسـاء. وكان أغلبهـا يتـم تصنيعـه مـن غـزل البادية،أمـا الفاخرة منهـا فاعتمـدت علـى غـزل رفيع مسـتورد من مدينـة غيـلان أو جيلان في

فارس، أو من مدينة الدورق وهي إحدى قرى الأحواز، ومن البصرة[1].

وفي عام 1848، تمت إقامة أول «كاركة» في الكويت، وهي ورشة أو مصنع صغير لطحن السمسم وصناعة «الهردة» أي الطحينة وعمل الرهش وهي حلاوة تصنع من الهردة والدبس والسكر، وكان مكانها في سوق التجار[2].

كانت التجارة هي المصدر الرئيسي للثراء، وعرفت الكويت في نهاية القرن الثامن عشر والسنوات التالية عدداً من التجار الأثرياء ربما كان أكبرهم وأشهرهم أحمد بن رزق[3]، وهو أول من جلب الأخشاب من الهند لصناعة السفن الشراعية، والذي كتب عنه الشيخ عثمان بن عبدالله راشد السند مؤلفاً بعنوان «سبائك العسجد في حياة الشيخ أحمد بن رزق الأسعد» الذي طبع في الهند عام 1897، والذي ذكر فيه أن أحمد بن رزق قام بتعمير مدينة الزبارة، ثم انتقل إلى الكويت، وبنى قصراً كبيراً له في المنطقة التي تسمى الآن «أم قصر» في عام 1816 [4]. كان محباً للعلم والأدب واشتهر بالإحسان وأعمال الخير

1- عبد الله خالد الحاتم، من هنا بدأت الكويت، الطبعة الثانية (الكويت: مطبعة دار القبس، 1980) ص ص 99، 100. وكانت الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت في دمشق عام 1962.

2- من ذكريات يوسف بن علي إسماعيل جمال، جاسم عباس أشكناني، "صفحات من الذاكرة"، الجزء الثاني، ملحق جريدة القبس، بتاريخ 2010. متاح إلكترونياً.

3- انتقل والده الشيخ رزق من البصرة في أعقاب الاحتلال الفارسي لها إلى الكويت للإقامة فيها عام 1774 في عهد الشيخ عبدالله الأول ثاني حكام الكويت ووالد الشيخ جابر. وكان صاحب ثروة طائلة دعمت الأنشطة التجارية في الكويت، ويشير أحد الباحثين إلى أنه قام ببناء قلعة الزبارة. جلال بن خالد الهارون الانصاري، «مراجعة الموروث التاريخي الخليجي لثلاثة قرون ماضية الهتوب نموذجاً"، مجلة الواحة، العدد 41، (أكتوبر 2007) متاح إلكترونياً على موقع المجلة، ولا يحمل أرقام صفحات.

4- عبد المحسن الخرافي، مربون من بلدي، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1998) ص 87.

ومساندة الضعفاء والمحتاجين.

وتشير المصادر والوثائق التي احتفظت بها بعض الأسر الكويتية العريقة إلى مظاهر النشاط الاقتصادي والتجاري في الكويت وفي مناطق البصرة الخاضعة للحكم العثماني. فخلال القرن التاسع عشر، قام الكويتيون بتعمير وزراعة مناطق واسعة امتدت من جنوب البصرة إلى الفاو على شط العرب، وحرصوا على تسجيل ممتلكاتهم لدى كل من السلطات العثمانية وقاضي الكويت.

ومن النماذج الدالة على ذلك، الوثيقة الصادرة عن "مجلس الشريعة الغراء في البصرة" في 10 أغسطس 1829، والتي نصت على أن الحاج سليمان بن حمد الفداغ وأخواته باعوا إلى جد أسرة آل صقر الحاج صقر محمد آل غانم ومحمد بن شعيب قطعة أرض مزروعة بالأرز وعلى متونها النخيل تقع في أرض الخست من أراضي الدواسر ومشتملاتها من ممرات وسواقٍ ومشارب بيعاً شرعياً صحيحاً، هذه الأرض تحدها أرض يملكها محمد بن غانم. ومع وجود هذه الوثيقة التي تثبت شراء الأرض، فقد حرص المشترون على تسجيلها عند الشيخ محمد عبد الله العدساني قاضي الكويت في 10 نوفمبر من نفس العام.[1]

ومنها الوثيقة المؤرخة في 5 أكتوبر 1838، والتي سجلت شراء يوسف بن صقر بن محمد آل غانم قطعتي أرض من عبد الرحمن أفندي بن طالب باشا نقيب أشراف البصرة باعتباره وصياً على السيدة زاكية

1- هيئة التحرير، "وثائق الصقر إضافات جديدة لتاريخ وطن"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 48 (أكتوبر 2014) ص ص 6-5. ود.فيصل عادل الوزان، تجارة النقل البحري في الكويت من خلال أسرة حمد عبدالله الصقر دراسة وثائقية (1871 - 1930) (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2019)، ص15.

بنت الحاج يوسف بمبلغ 600 قرش عثماني. وهي الأرض الواقعة في الخست بمنطقة الدواسر والمزروعة أرزاً ونخيلاً. وقام بتسجيل العقد أيضاً القاضي محمد العدساني[1].

ومنها كذلك الوثيقة التي تعود إلى 15 سبتمبر 1861 -أي في عهد الشيخ صباح- وهي إقرار من سليمان بن إبراهيم العبد الجليل باستبدال الدكان الذي يمتلكه إبراهيم العبد الجليل بالأرض الخراب التي كانت وقفاً لمسجد العبد الجليل، «وذلك لأن الدكان أصلح وأنفع». والوثيقتان المحررتان في 19 سبتمبر 1864، المتعلقتان بتوزيع تركة إبراهيم العبد الجليل على ورثته[2].

ثالثاً- التجارة مع الخارج

كتب باكنجهام أن مدينة الكويت لها ميناء عظيم، وأنه "لا يوجد ميناء يلي القطيف شمالاً، له أهمية تذكر، سوى ميناء القرين"، وأن أغلب سكان الكويت يعملون بالتجارة سواء في الداخل أو مع الخارج، ويمارسون كل الأنشطة التجارية المعروفة في منطقة الخليج[3]. وأضاف بروكس أن للكويت تجارة عظيمة تختلف عن غيرها من البلاد.

ويمكن التمييز في النشاط التجاري لأهل الكويت بين التجارة البحرية التي امتدت لتصل إلى موانئ الساحل الشرقي لأفريقيا والهند، والتجارة البرية عبر الصحراء.

1- المرجع السابق، ص18.

2- هيئة التحرير، «وثائق العبد الجليل،» رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 42 (أبريل 2013) ص 5.

3- كانت الخرائط البحرية الإنجليزية تطلق اسم «القرين» على ميناء الكويت. انظر أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 199.

وبخصوص التجارة البحرية، ازدهرت في عهد الشيخ جابر التجارة ازدهاراً كبيراً، وتولى صناع السفن بناء السفن الكبيرة من طراز "البغلة" و"البتيل". وكان ذلك نقطة تحول في نشاط التجار الكويتيين، فقد مكنتهم تلك السفن من الوصول إلى موانئ الهند واليمن مباشرة، فامتنعت عن التوقف في ميناء مسقط حتى لا تدفع الرسوم التي فرضتها السلطات العُمانية فيه.

كانت السفن تسافر إلى الهند محملة بالتمور والخيول وتعود بالأخشاب اللازمة لصناعة السفن، وكان من الصعب عليها دخول شط العرب والخروج منه وهي محملة، فكانت تفرغ حمولتها القادمة من الهند في ميناء الكويت لكي يتم تحميلها على سفن أصغر تراوحت حمولتها بين 50 و60 طناً لنقلها إلى موانئ الخليج الشمالي. وبالعكس قامت السفن الصغيرة بنقل السلع من موانئ الخليج إلى الكويت لتحميلها على السفن الكبيرة ونقلها إلى الهند.

ومن الوثائق المتصلة بالتجارة في عهد الشيخ جابر تلك التي كتبها نصف بن راشد بن نصف في 19 يناير 1858، والخاصة ببضاعة ملك محمد بن عبد الرسول حملها من «بندر بمبي» (يقصد بومباي) إلى «بندر بوشهر» في سفينة من نوع الشوعي تسمى «المصفي»، وتحدد الوثيقة «النول» أو الأجرة المستحقة له مقابل هذا العمل؛ 2 قران، وهي عملة فارسية، وكانت البضاعة «بقشة واحدة» أي طرد واحد، حمل علامة "مال 512"، وتم تحرير هذا الاتفاق في نسختين إذا استخدمت إحداهما بطلت الأخرى. وفي أسفل الورقة الختم الخاص به

وهـو عبدة نصـف بن راشـد[1].

ويقـدر الباحثـون أن أسـطول الكويـت التجـاري شـغل المرتبـة الثانيـة بعـد أسـطول مسـقط فـي منطقـة الخليـج. ونشـطت السـفن الكويتيـة فـي «التجـارة العابـرة» أو الترانزيـت، فكانـت تنقـل السـلع والبضائـع من البحريـن والزبـارة إلـى مينـاء الكويت تمهيـداً لنقلهـا عبر القوافـل البرية، وكان مـلّاك تلـك المـؤن والبضائع يفضلـون ذلك لكي يتجنبوا دفع الرسـوم الباهظـة التـي فرضتهـا السـلطات العثمانيـة فـي مينـاء البصـرة.

وحسـب تقديـر بيلـي فـي عـام 1863، فإنـه كان هنـاك ثلاثـون سـفينة كويتيـة تبحـر إلى بومبـاي مرة كل عام، وكان متوسـط حمولة كل منها مئة طـن. كان منهـا مـا ينقـل السـلع إلـى الكويـت وموانـئ الخليج ومـا ينقلها إلـى السـاحل الشـرقي لأفريقيا. وتـدل على ذلك إحدى وثائق أسـرة الخالد المؤرخـة فـي 16 ديسـمبر 1861، والتـي سـجلت أن التاجـر خالـد الخضير سـلم النوخـذة محمد بن حسـين العسعوسـي مبلـغ 400 روبية لتسـليمها إلـى وكيلـه مشـعان الخضيـر فـي بنـدر مليبار لشـراء سـلع وبضائـع، ونقل جانـب منهـا إلـى «دار السـلام» على السـاحل الشـرقي لأفريقيا[2].

وحسـب كثيـر مـن الكتابـات، فـإن السـفن الكويتيـة بعـد تجهيزهـا بالبضائـع كانـت تتجـه إلـى مينـاء البصـرة للحصـول علـى احتياجاتهـا مـن التمـور، ومنهـا كانـت الريـاح الموسـمية تدفعهـا عبـر الخليـج تجـاه ميناء مسـقط، ثـم تواصـل رحلتهـا تجـاه موانئ شـرق أفريقيـا. ويُعتقد أن سـفن

1- د.عبد الله يوسف الغنيم، "قراءة في وثائق أسرة النصف"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد51 (يوليو 2015) ص4 - 6.

2- هيئة التحرير، وثائق أسرة العسعوسي، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد20، (أكتوبر 2007) ص3.

التاجر أحمد بن رزق كانت من أوائل السفن الكويتية التي تاجرت مع شرق أفريقيا، واشتهرت عائلات آل معرفي والشايع والعبدالجليل بالتجارة في تلك الأرجاء.

وارتبط نمو التجارة ببناء السفن الشراعية، وحسب تقدير باكنجهام كان يوجد في الكويت عام 1816، مئة سفينة متنوعة الأحجام من صغيرة وكبيرة، وتعددت أشكالها وأحجامها، فكان منها الجالبوت والدنكية والبتيل والداو والبغلة، وليس مجالنا هنا الوصف التفصيلي لتلك السفن، ويكفي أن نذكر أن «الدنكية» تتسم بأن مؤخرة السفينة كانت أعلى جزء منها، وكانت البضائع المنقولة عليها تُغطى حتى لا تتلفها مياه الأمطار[1].

أما السفينة من نوع «الداو» فقد تراوحت حمولتها ما بين 150 و250 طناً، وتميزت بوجود "دهليز طويل ناتئ من مقدمة السفينة". وبخصوص السفينة «البغلة»، فقد اتسمت بسعة حمولتها واستخدمت لنقل المؤن والأفراد، وذكر ستوكلر أن حمولتها تراوحت بين 100 و200 طن.

وكان تقدير بروكس عام 1829، أن أهالي الكويت امتلكوا 15 سفينة كبيرة من نوع البغلة والداو، التي تراوحت حمولتها بين 100 و400 طن، و20 سفينة من طراز البتيل والبغلة، التي تراوحت حمولتها بين 50 و120 طن، و150 سفينة أخرى تراوحت حمولتها بين 15 و150 طناً. وذكر أن هذه السفن تعمل في مياه الخليج والبحر الأحمر، وتصل إلى موانئ الهند.

1- ومن الطريف أن الكابتن جينور حذر الأوروبيين في كتاب له عام 1791 من السفر على هذا النوع من السفن لأنها -حسب قوله- رديئة الصنع وغير مريحة، وأن ربانها كان يتحكم في إبحارها بصعوبة بالغة.

أما تقدير فيلكس جونز الذي زار فيلكا عام 1839، فقد ذكر أن أهلها امتلكوا 15 أو 16 سفينة من نوع البغلة، ونحو 45 - 50 قارباً صغيراً مصنوعة من سعف النخيل تستخدم في صيد الأسماك[1]. وكان تقدير الكابتن هينيل المقيم البريطاني في الخليج الذي زار الكويت عام 1841، أن الكويتيين امتلكوا 31 بغلة وبتيلاً، تتراوح حمولتها بين 150 و300 طن، وهي السفن التي كانت تبحر إلى الهند، وعدد 50 سفينة أصغر اشتغلت بالتجارة مع موانئ الخليج، و350 قارباً صغيراً تستخدم في الغوص على اللؤلؤ. وجدير بالذكر أن كمبال الذي خلف هينيل في منصبه أورد نفس الأرقام في تقرير له عام 1845.[2]

وقدم ستوكلر وصفاً تفصيلياً لرحلة السفينة «البغلة» –وكان اسمها الناصري[3]- التي استقلها من بومباي في 18 فبراير 1831، ووصلت الكويت في 4 أبريل من نفس العام، أي أن الرحلة استغرقت خمسة وأربعين يوماً. كتب عن أوضاع البحارة عليها فذكر أن «البغلة مركب كبير .. وأما مؤخرتها فهي مرتفعة، وأما مقدمتها فمدببة، وبها قمرة واسعة كبيرة قائمة على سطح مائل، وبها قاعات ونوافذ بالمقدمة، وبها شراعان مربعان كبيران، وأحيانا يكون شراع في مقدمتها.. والبغلة المسماة (الناصري) التي حجزت عليها سفرتي في مقابل مئة وخمسين روبية، كان بحارتها نحو أربعين أو خمسين من أهل القرين أو الكويت

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 203.

2- انظر في هذه التقديرات المرجع السابق، ص ص 272، 291 - 293.

3- امتلك هذه السفينة عائلة بن ناصر التي كان لديها بغلة أخرى هي «السليماني». كانت حمولة الناصري تقدر بـ255 طناً، قام بصنعها أستاذ الكويت الكبير حجي سليمان وغطى أسفلها بالنحاس الأصفر.

الواقعة على الشاطئ الغربي للخليج. أما قائد السفينة[1] فكان «نوخذة» أنيقاً في مقتبل العمر. وكان البحارة يبدون احتراماً لهذا القائد أشبه ما يكون باحترام الأبناء لسلطة والدهم، وكانوا يمزجون طاعتهم لأوامره بعلامات من الاحترام تبدو غريبة كل الغرابة لأجنبي إنجليزي مثلي..»[2].

والحقيقة أن ستوكلر قدم وصفاً دقيقاً للسفينة إلا أنه لم يكن دقيقاً بالنسبة لشكل أشرعتها، فأشرعة السفن الكويتية كانت مثلثة وليست مُربعة كما كان الحال في السفن الأوروبية الشراعية.

وأضاف ستوكلر أن بحارة السفينة تمتعوا بالمهارة في الملاحة حتى بالمقاييس الأوروبية، وتحلوا بالانضباط والجدية في العمل والبعد عن المجاملات، واتسموا بروح المرح التي تجلت عندما كانوا يقومون بدق الطبول وغناء أهازيج البحر. وسجل ستوكلر أنه عند وصول السفينة ميناء الكويت أطلقت مدافعها عدة طلقات تحية للمدينة. وأنه عقب وصوله، التقى بصاحب «البغلة» عبد المحسن في منزله وتناول معه القهوة والحليب والخبز والحلوى، ثم طاف بشوارع المدينة. أقام ستوكلر في الكويت لمدة أربعة أيام ثم غادرها متجهاً إلى البصرة على ظهر سفينة من نوع «البقارة».

لقد اكتسب البحارة الكويتيون خبرة واسعة وذاع صيتهم في الخليج. ووصفهم باكنجهام بأنهم يتسمون بالحكمة والمهارة والحزم والشجاعة[3]. وسجل بروكس أن سكان الكويت يحبون الملاحة وركوب البحر. أما بيلي فقد وصفهم بالمهارة والسمعة الطيبة وأن عددهم بلغ 4000 بحار.

1- هو عبد المحسن بن ناصر.

2- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 272.

3- المرجع السابق، ص 199.

وهكذا، فبعد وفاة الشيخ جابر، وحسب تقدير بيلي «كانت الكويت أهم بلدة في الخليج الفارسي (كما ورد في الأصل) تجذب مئات السفن بسبب طقسها الصحي على شدته ووداد أهلها ومراسيها الرائعة».

وارتبط ركوب البحر بأسماء عدد من الأسر الكويتية القديمة، ومنها أسرة الياقوت التي سكنت منطقة «جبلة» قبل عام 1820، وكان أبناؤها نواخذة غوص وتجارة. كان منهم النوخذة عبد الله بن محمد الياقوت وابنه عمر بن عبد الله الياقوت. وكان للأسرة ديوانية التقى فيها التجار والنواخذة لعقد الصفقات وبيع محصول اللؤلؤ[1].

ومنها أسرة العسعوسي التي ضمت عدداً كبيراً من ملاك السفن ونواخذتها، ومن أقدم الوثائق الدالة على ذلك شهادة مؤرخة في 2 مارس 1859، وثقت ملكية النوخذة حسين بن محمد العسعوسي -الذي سبقت الإشارة إليه- كنوخذة ومالك للسفينة البغلة المسماة "فتح المبارك"، وكان ذلك في العام الأخير لحكم الشيخ جابر[2].

ومنها أسرة النصف التي عمل رجالها بالتجارة والنقل البحري، وامتلكوا عديداً من السفن التي وصلت إلى شواطئ الهند، وكان من أبنائها في عهد الشيخ جابر النوخذة نصف بن راشد النصف.

وأسرة العثمان التي قدم عميدها عبد العزيز بن عثمان إلى الكويت عام 1857، مع أخيه عبد الله وأخته هيا، وعمل كل من عبد العزيز وعبد الله بمهنة النوخذة وقيادة السفن[3].

1- عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، التاجر الأسوة في كويت الماضي، الجزء الأول (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2018) ص306.

2- وثائق أسرة العسعوسي، مرجع سابق، ص 3.

3- عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، عائلة العثمان مدرسة السفر الشراعي في الكويت

وأسـرة العبـد الجليـل التـي اشـتهر منهـا النوخـذة إبراهيـم بـن سـليمان العبـد الجليـل، الـذي كان مـن أقـدم وأمهـر نواخـذة الكويـت، وكان مـن أوائـل النواخـذة الذيـن قـادوا سـفنهم إلـى موانـئ الهنـد وخليـج البنغال، وتخـرج علـى يديـه كثيـر مـن النواخـذة[1].

وأسـرة الصقـر التـي اشـتهر منهـا في عهـد الشـيخ جابر النوخذة يوسـف بـن محمـد الصقـر، الـذي اشـتغل بالتجـارة مـن عـام 1837 علـى سـفينته «البغلة» المسـماة «الوفرة» أو «الوفري»، فكان يتاجر في التمور فيحملها مـن العـراق لبيعهـا فـي الهنـد. وفـي حوالـي عـام 1845، تعرضت سـفينته المحملـة بالبضائـع للغـرق بسـبب الأعاصيـر قبالـة ميناء كلكتـا الهنـدي. واختلفـت الروايـات حـول مصيـره ما بين أنـه نجا من هـذه الحادثة أو أنه مـات غرقـاً تـاركاً وراءه أبنـاءه سـليمان وعبـد الله وراشـد ومبارك[2].

اشـتهر نواخـذة الكويـت بمهارتهـم فـي ركـوب البحـر وانتهـاج السـبل البحريـة الآمنـة والابتعـاد عـن مناطـق المخاطـر والأنـواء، واسـتفادوا فـي ذلـك بالنصائـح والإرشـادات التـي تناقلهـا النواخـذة جيـلاً بعد جيـل. وكان مـن أشـهر مـا اعتمـدوا عليـه "المنظومتـان الشـعريتان" اللتـان كتبهمـا المـلاح والشـاعر اليمنـي الشـهير سـعيد بـن سـالم باطايـع، الـذي نبغ في فنـون البحـر. تناولـت المنظومـة الأولـى التـي وضعهـا عـام 1802 الطريق الملاحـي مـن ميناء سـيحوت[3] إلـى جزيرة زنجبـار شـرق أفريقيـا. والثانية فـي عـام 1805 فـي وصـف الطريـق الملاحي من ميناء مسـقط إلـى ميناء

(الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2003) ص82، ص 110.

1- مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، مرجع سابق، ص164.

2- د. فيصل عادل الوزان، مرجع سابق، ص24.

3- سيحوت مدينة يمنية تتبع محافظة المهرة.

المخـاء باليمن[1].

تـداول نواخذة الكويـت هاتين المنظومتين حفظاً وكتابة، واسـتعانوا بها مـع النوالـي (الخرائـط البحريـة) فـي طريقهـم إلى شـرق أفريقيـا واليمن، وذاع صيـت المنظومتيـن لدقـة المعلومـات الملاحيـة والفلكيـة الـواردة فيهمـا واسترشـادهما بالأماكـن والمعالـم البحريـة والبريـة التـي عرفها كل نوخـذة آنذاك.

لذلـك، اعتمـد عليهـا النوخذة الشـيخ عيسـى بـن عبد الوهـاب القطامي الـذي توفـي عـام 1929 فـي إعـداده كلاً مـن "دليـل المحتـار فـي علـم البحـار"، و"المختصـر الخـاص للمسـافر والطـواش والغـواص"، وقـد حرص علـى كتابتهمـا باللهجـة الكويتيـة حتـى تكـون مفيـدة لأكبـر عـدد مـن العامليـن بالبحـر[2].

أمـا بخصـوص التجـارة البريـة، فقـد ازدهـرت الكويـت كمركـز للقوافـل البريـة التـي نقلـت السـلع مـن الميناء بـراً إلى البـلاد المجـاورة وفي قلب الصحـراء وصـولاً إلـى الشـام وحلب. كانـت السـلع تنقل على ظهـور الإبل والبغـال والحميـر، واختلـف حجـم القوافـل كمـا اختلـف عدد الأيـام التي اسـتغرقتها في السـفر من حلب إلى الكويت، فتراوحت مدة سـفر القافلة الكبيـرة مـن 45 إلـى 70يومـاً، بينمـا قلـت المـدة للقوافل الأصغـر والأكثر سـرعة إلـى حوالـي 25 يومـاً. واتخـذ أهالـي الكويـت الإجـراءات الكفيلـة بتأميـن القوافـل وضمـان وصولهـا إلى مبتغاهـا دون اعتـداء أو أذى، فكان

1- ميناء المخاء هو ميناء يمني قديم كان يقع على الساحل الغربي لمدينة المخا، ولم يتبق منه إلا حجارة مطمورة بالرمال.

2- محمد علوي عبد الرحمن باهارون، الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايع، (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2012) ص ص 34، 42-41، 53 - 54.

هنـاك مجموعـة مـن الحـراس المسـلحين لمرافقـة القافلـة، وقامـوا بدفـع مبالـغ مـن المـال أو تقديـم هدايا لشـيوخ القبائـل التي مـرت القوافل في أراضيهم.

وكان مـن طـرق التجـارة المهمـة في هـذا الوقـت الطريق بيـن الكويت والزلفـي، الـذي ربـط بيـن الشـمال الشـرقي للجزيـرة العربيـة والزلفـي، وأصبحـت هـذه المدينـة هي البوابـة النجدية تجـاه الكويت، وشـمل هذا الطريـق دروبـاً متعـددة، فـكان منهـا الطريـق الـذي يمُـر بالجهـراء ومنهـا إلـى الدبدبـة فالصمـان إلـى أن يصـل إلـى الزُلفـي ومنهـا إلـى القصيم.

ونشـط التجـار الكويتيـون فـي أرجـاء نجـد، وأقامـوا علاقـات وثيقـة مع مدنهـا. ويـدل علـى ذلـك مـا ذكـره الكابتـن ج. فورتـر سـادلير فـي وصفـه لرحلتـه مـن القطيـف علـى مياه الخليـج إلى ينبـع على البحـر الأحمر في عـام 1819، عـن أهميـة بلـدة عنيـزة[1] بسـبب مـرور القوافـل مـن البصـرة والكويـت والقطيـف والأحسـاء والدرعيـة عليهـا. وأنـه التقـى فـي شـقرا[2] وعنيـزة «بالعديـد مـن تجـار الكويـت وزبيـر الذيـن ينتمـون إلـى قبيلـة العتـوب»[3].

وبـرزت أسـماء عـدد مـن الأسـر الكويتيـة التـي عملـت بالتجـارة، فـكان منهـا أسـرة عبـد الجليـل التـي رحلـت مـن حوطـة سـدير فـي نجـد إلـى الكويـت فـي الثلـث الأخيـر من القـرن السـابع عشـر، وقامت ببناء شـبكة

1- مدينة تجارية قديمة في القصيم، ويوجد حالياً محافظة في المملكة العربية السعودية باسم عنيزة.

2- مدينة تجارية قديمة، ويوجد حالياً محافظة في المملكة العربية السعودية باسم الشقراء.

3- الكابتن ج.فورتر سادلير، مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج (العربي) إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام 1819، ترجمة أنس الرفاعي وتقديم عباس منصور (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013) ص93.

مـن العلاقـات التجاريـة مـع عـدد كبيـر مـن الموانـئ والمدن فـي منطقة الخليـج والهنـد، وامتلكـت عـدداً مـن السـفن التجاريـة التـي كانت ترسـو فـي نقعـة العبـد الجليل، والتـي تعتبر من أقـدم وأكبر النقع فـي الكويت.

كان سـليمان بـن إبراهيـم العبـد الجليـل أول مـن بنـى السـفن التـي خصصـت لنقـل الخيـول، وأطلـق عليهـا اسـم البغلـة أو السـفَارة. أمـا ابنـه إبراهيـم الـذي ولـد فـي الكويت عـام 1784 وتوفي عـام 1864، فقد كانت لـه تجـارة رائجـة مـع قبائـل العقيـلات[1] فـي نجد.

ومنهـا، أسـرة العتيقـي، وكان لأبنائهـا معامـلات تجاريـة بيـن الكويـت والزبيـر، ويـدل علـى ذلـك «مخالصـة الحسـابات» بيـن الحـاج عبدالعزيـز حمـد بـن سـيف العتيقـي والشـيخ محمـد الثاقـب التـي حررهـا الشـيخ أحمـد بـن عثمـان بـن جامـع قاضـي الزبيـر بتاريـخ 1856، والتـي أشـارت إلـى قيـام عبـد اللـه بـن محمـد الثاقـب بتسـديد مسـتحقات العتيقي إلى وكيلـه فـي الزبيـر. ومـن المُرجـح أن هـذه التعامـلات كانـت فـي تواريـخ سـابقة لأن الشـيخ محمـد الثاقـب كان قـد توفـي قبـل هـذا التاريـخ[2].

وإلـى جانب العرب، اشـتغل عدد مـن الهنود بالتجارة، واعتبرهم الشـيخ جابـر خطـراً علـى تجـار الكويـت لأنـه بحكـم اعتبارهـم رعايـا بريطانيين، كانـت لهـم أفضليـة ومعاملـة متميـزة وإعفـاءات مـن الضرائـب في بعض الموانـئ، ولأنهـم كانـوا يرسـلون الأربـاح التـي يجنونهـا مـن تجارتهـم فـي الكويـت إلـى بلادهـم أولاً فـأولاً. لذلـك، وضـع الشـيخ حـداً أقصـى لعـدد

1- من القبائل النجدية العريقة يرجع أصلها إلى عنيزة سكنت في القصيم وحائل، واشتهرت بتجارة الخيول والإبل والأغنام والسمن.

2- مكتبة البابطين للشعر العربي، مرجع سابق، ص220.

الهنـود الذيـن يُسـمح لهـم بالإقامـة والعمـل بالتجـارة فـي الكويت[1].

أمـا بالنسـبة لتجـارة الخيـول مـع الهنـد، فقـد ازدهرت فـي بدايـة القرن التاسـع عشـر بسـبب احتيـاج القـوات البريطانيـة لهـا في حربها للسـيطرة علـى شـبه القـارة الهنديـة. وكان لتجـار الخيـول مـن أهالي الكويـت وكلاء مـن قبائـل شـمَّر وعنـزة وأخـرى في نجـد، الذين قامـوا بجمـع المعلومات عـن سـلالات الخيـول، وشـرائها وإحضارهـا إلـى الكويـت. وكانـت الخيـول تنقـل علـى متـن السـفن التـي صنـع بعضهـا لهـذا الغـرض خصيصـاً، والتي تكونـت مـن دورين حتى تتسـع لأكبـر عدد منهـا. ووفقاً لتقديـر باكنجهام عـام 1816، فـإن حمولـة السـفينة تراوحـت بيـن 80 و100 جواد.

وكان أشـهر مـن اشـتغل بهـذه التجـارة فـي عهد الشـيخين جابـر وصباح كل مـن يوسـف بـن عبـد المحسـن البـدر (1800 - 1880)، ويوسـف عبـد الـرزاق الصبيـح (1800 - 1875). وبخصـوص البـدر، فقـد ولـد في الكويت واشـتغل بتجـارة الخيـول العربيـة الأصيلـة فعـرف أنواعها وبرع فـي تربية سـلالتها، فتوسـعت تجارتـه حتـى أصبـح واحداً مـن أكبر تجـار الخيول في منطقـة الخليـج. امتلـك البدر مزرعتيـن إحداهما في الجهـراء والأخرى في "أبـو حليفـة"[2]، واسـتخدمهما لتجميـع الخيـول التـي اشـتراها مـن الباديـة لأخـذ قسـط مـن الراحة فترة ثـم نقلها إلى مينـاء الكويت تمهيداً لشـحنها على السـفن.

كان يوسـف البـدر خبيـراً بسـلالات الخيـول العربيـة، وامتلـك بعضـاً من

1- نورة محمد القاسمي، الوجود الهندي في الخليج العربي 1820 - 1947 (الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام، 1996) ص ص 123 - 124.

2- تقع الآن في محافظة الأحمدي، وأسميت بهذا الاسم نسبة إلى نبات كان ينمو فيها، وسمي "الحلفاء" أو "حنيفا" أو "الكفتا".

أفضلها وأكثرها نقاء، وذلك وفقاً لما ورد في كتاب "أصول الخيول العربية" الذي أعدته لجنة فنية بتوجيه ورعاية من والي مصر عباس حلمي باشا حفيد محمد علي باشا، والذي استمرت فترة حكمه من 1848 - 1854، فأوفد فريقاً قام بزيارة الحجاز ونجد وحلب والشام والعراق والهند للبحث والتقصي في أصول الخيول العربية وأنسابها، وذلك من واقع المشاهدة والمعاينة وسؤال ملاكها. وورد في هذا الكتاب أن بعضاً ممن قابلهم الفريق أشاروا إلى قيام يوسف البدر باقتناء خيول عربية أصيلة رفيعة النسب[1].

أما بالنسبة ليوسف الصبيح، فقد ولد في إحدى بلدات نجد ثم قدم إلى الكويت طلباً للرزق واستقر بها، وعمل بالتجارة فاتسعت تجارته وزادت ثروته التي استثمرها في تجارة الأراضي ومزارع النخيل وامتلك عدة سفن استخدمها لنقل الخيول والبضائع إلى الهند.

وسجل باكنجهام أن عدد الخيول التي تم تصديرها من البصرة والكويت إلى بومباي ومدراس وكلكتا سنوياً بلغ 1500 حصان، كان إجمالي ثمنها 900000 أو مليون روبية، مما جعلها تجارة وفّرت أرباحاً كبيرة للعاملين فيها. وكان تقديره أن الربح الصافي للتاجر بعد سداد كل المصروفات تراوح بين 100 - 300 روبية حسب سلالة الخيل ومكان البيع، فكان السعر في مدينة كالكتا -وهي مركز الحكم- أعلى منه في بومباي.[2]

1- هيئة التحرير، «وثائق من تاريخ الخيول الأصيلة في الكويت»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 53 (يناير 2016) ص5 - 6.

2- هيئة التحرير، «تجارة الخيول العربية في الكويت وتصديرها»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 8 (سبتمبر 2004) ص13 - 15.

وأسـهب بيلـي فـي الحديـث عـن تجـارة الخيـل، فأشـار فـي تقريـره عن زيارتـه الأولـى للكويـت عـام 1863، إلـى أنـه زار منطقـة الجهـراء وشـاهد أماكـن تجمـع الخيـول النجديـة فيهـا، وأن الكويـت تُصَـدِّر أفضل سـلالات الخيـول العربيـة إلـى الهنـد. وفـي تقريـر آخـر عـن نفـس الزيارة، قـدر أن عـدد الخيـول التـي صدّرتهـا الكويت بلـغ 800 حصان في هـذا العام، 600 منهـا تنقـل مُباشـرة مـن الكويـت، و200 مـن خـلال البصرة.

ويرسـم الباحثـان البريطانيان فيسـي وغرانت صورة الأوضـاع الاقتصادية فـي الكويـت خـلال فتـرة حكم الشـيخين جابر وصبـاح بقولهمـا إن "هذه المدينـة تعتبـر مثـالاً نموذجيـاً علـى الازدهـار التجـاري رغم افتقـاده لكل المميـزات تقريبـاً باسـتثناء مينائهـا العظيـم.. وبحلـول منتصـف القـرن التاسـع عشـر نرى في الكويت مجتمعاً يتميز بالنشـاط والتلاحم اسـتفادت تجارتـه مـن السـلام البحـري الـذي رعتـه بريطانيـا. كمـا أن قطـاع اللؤلـؤ الـذي لعـب أسـطول الكويـت دوراً مهمـاً فيـه كان قـد حقـق نمـواً كبيـراً.. وبحلـول عـام 1860 كان أسـطول الكويـت التجـاري قـد صار أكبر أسـطول فـي الخليـج وتجـاوز حجمـه حتى أسـطول البحريـن، وفي السـتينيات من القـرن الماضـي (يقصـد القـرن التاسـع عشـر) كان المستكشـف البريطاني وليـام بالغريـف محقـاً حين وصف الكويت بأنها أنشـط مينـاء في الخليج. وفـي هـذا إنجـاز باهـر لدولـة لا تملـك مـن المـوارد الطبيعيـة غيـر مهارة أهلهـا وجهدهم»[1].

1- وليام فيسي وجيليان غرانت، الكويت في عيون أوائل المصورين، (لندن: مركز لندن للدراسات العربية، 1998)، ص11.

المبحث الثالث

الأوضاع الاجتماعية: التضامن والتسامح والانفتاح

لعل أقدم وصف لمدينة الكويت في فترة حكم الشيخ جابر، هو ما كتبه باكنجهام في عام 1816، الذي ذكر أنها مدينة متسعة. أما الوصف الأكثر دقة، والذي جاء بعد ملاحظة ومشاهدة، فهو ما كتبه ستوكلر في عام 1831، وقد وصفها بأنها تمتد بطول ميل واحد وبعرض ربع ميل، والأرجح أن هذا التحديد جاء بعد قيامه بقياس المكان بنفسه خلال تجوله فيها.

وأحاط بالمدينة سور، وهو السور الثاني الذي بناه الكويتيون عام 1814، ورُمم في عام 1845 في عهد الشيخ جابر[1]. وحسب وصف ستوكلر، بُني السور من الطين وعرضه نحو قدم، وتلاه خندق، وبلغ طوله حوالي 2300 متر، ضمت مساحة ما يقرب من 274 كيلومتر مربع. امتد السور من شاطئ البحر في الغرب من المنطقة التي أقيم فيها بيت آل البدر، ماراً بمسجد الملا سعيد، ثم اتجه نحو الشرق حتى براحة السبعان فالصنقر بالقرب من مسجد ابن فارس[2].

1- هناك اختلافات كبيرة بشأن تاريخ بناء السور الأول ما بين أعوام 1760، و1770، و1789. وتاريخ بناء السور الثاني ما بين 1798، و1811، و1814. أما السور الثالث فهناك اتفاق على أنه في عام 1920، وقد أخذت بالتاريخ الوارد على موقع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

2- عبدالله خالد الحاتم، مرجع سابق، ص ص 212 - 214. و"أسوار الكويت راسخة في الذاكرة والوجدان وشاهدة على تاريخ البلاد وتكاتف أهلها" مقال بثته وكالة الأنباء الكويتية كونا بتاريخ 18 - 1 - 2011. متاح إلكترونياً.

وتختلف المصادر حول عدد دروازات (بوابات) السور ما بين خمس وسبع وثماني وتسع. ويُمكن تفسير هذا الاختلاف بأن عدد الدروازات تغير من سنة لأُخرى بإضافة دروازات جديدة. ويتردد في هذا الشأن أسماء دروازات: الفداغ، وعنزة أو السبعان، ودهيمان الصنقر، والعبد الرزاق، ومحلة المطبة، والبدر، وابن بطي، والمديرس والقروية.

وصف ستوكلر بيوت الكويت بأنها كانت تبنى من الطين والحجارة، ثم «تكسى واجهاتها من الخارج بطبقة خشنة من الملاط»[1]. وأشار فيلكس جونز في عام 1839، إلى أن المواد اللازمة لبناء البيوت وأهمها الحجارة والكندل توافرت بكثرة. أما بيلي فذكر أن بيوت المدينة كانت مبنية من الحجارة الخالصة أو من الحجارة والطين معاً، وأن شوارعها واسعة مقارنة بشوارع مسقط وبوشهر.

وبخصوص ميناء الكويت، فقد وصفه باكنجهام بأنه ميناء عظيم في الشمال الغربي من الخليج، وأنه بعد القطيف لا يوجد ميناء له قيمة تذكر سوى هذا الميناء، وذلك لأنه يقع على خليج ملائم لرسو السفن[2]. ووفقاً لخريطة للكويت عام 1867، فقد أحاط بجون الكويت «مرقب مستدير» كان يقع بالقرب من منطقة «المسيلة» حالياً، ويشير تعبير المرقب إلى بناء مرتفع من الطين يستخدم للمراقبة والحراسة، وكان عادة على أطراف المدن القديمة في الجزيرة العربية. وشمالاً ظهر مرقب آخر مربع الشكل.

ووفقاً لنفس الخريطة أيضاً، امتد ساحل الكويت الذي تكوّن من

1- تشير الكلمة إلى خليط من الكلس والرمل يضاف إليه الماء ويستخدم في البناء لتماسك الحجارة أو دهان الجدران به.

2- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 201.

الرمـال والصخـور على امتداد المنطقة بيـن "رأس الأرض» و"رأس عجوزة"، وغـرب رأس عجـوزة بـدت مدينـة الكويت في شـكل مربعـات مظللة، كما ظهـرت جزيـرة القريـن التـي تقع عند سـاحل الشـويخ حالياً، وفـي جنوبها الغربـي كانـت منطقة رسـو السـفن، وظهـر رأس البخش كآخـر نقطة على السـاحل الجنوبـي لجـون الكويـت، وفـي شـماله سـجلت الخريطـة اسـم "دوحـة كاظمة"، وفي الشـمال الشـرقي لجون الكويت ظهـر خور الصبية.[1]

ونظـراً لأن الكويـت محاطـة بالصحـراء، هاجمـت بعـض قبائـل الباديـة المدينـة مـن آن لآخـر. ولذلـك، أمـر حـكام الكويـت بعـدم دخـول أي فرد للمدينـة حاملاً سـلاحه، وأن عليـه تركـه خـارج السـور حفاظاً علـى الأمن.

كانـت الحيـاة فـي الكويـت فـي مجملهـا بسـيطة، وبعيـدة عـن البـذخ والتـرف الـذي عرفتـه مـدن أخـرى كالبصـرة العثمانيـة. فاسـتخدم أهلهـا «جـرار الفخـار» المعروفـة وقتهـا باسـم «الجحلـة» لحفـظ الأرز والطحين مـن التلـف، وأوانـي الماء[2]. وكانـت منازل الميسـورين تضـاء بالزيوت مثل زيـت السمسـم وزيـت الزيتـون وزيـت النارجيـل (جـوز الهنـد).

يتنـاول هـذا المبحـث مظاهـر الحيـاة الاجتماعيـة، فيعـرض لتطـور عدد السـكان وأهـم التقاليـد السـائدة وقتـذاك، وبنـاء المسـاجد ومـا ارتبـط به مـن أعمـال البـر والوقف، ونشـأة «الكتاتيـب» التي قامت بتعليـم الأطفال مـن ذكـور وإنـاث، وأوضاع الصحـة وممارسـات التطبيب، والشـعراء الذين اشـتهروا خـلال فتـرة حكم الشـيخين جابـر وصباح.

1- هيئة التحرير، «الكويت في الخرائط الملاحية»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 28، أكتوبر 2009، ص25.

2- مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، مرجع سابق، ص 171.

أولاً- السكان ومظاهر الحياة الاجتماعية

1. تطور عدد السكان

أشار باكنجهام في عام 1816 إلى أن مدينة الكويت كانت مكتظة بالسكان، وهو تعبير مرسل، بينما قدَّر ستوكلر في عام 1831 عدد سكانها بأربعة آلاف نسمة، وهو تقدير منخفض مقارنة بتقديرات أخرى في فترات سابقة، ويرجع ذلك إلى الآثار المدمرة لوباء الطاعون الذي انتشر في الكويت في هذا العام، والذي سوف نعرض له تفصيلاً في الجزء الخاص بالصحة من هذا المبحث.

وتكفي الإشارة هنا إلى ما كتبه يوسف القناعي في هذا الشأن من أن هذا الوباء «فتك بالكويت فتكاً ذريعاً بحيث إن أغلب البيوت خلت من سكانها، بل عجز الناس عن وضع موتاهم في المقابر فأخذوا يدفنونهم في بيوتهم»[1]. وجدير بالذكر، أن هذا الوباء انتشر في فصل الشتاء عندما كانت سفن الكويت الكبيرة التي تتاجر مع الهند في عرض البحر. عاد الرجال الذين كانوا على متنها ليعرفوا حجم الكارثة وأن هناك أسراً انقرضت تماماً، وأنهم فقدوا الزوجات والأبناء فذهبوا يتزوجون من النساء في البلدان القريبة كالزبير ومدن نجد الأخرى، وأصبح هؤلاء هم القوة التي بعثت الحيوية من جديد في المجتمع الكويتي.

ويؤكد صدق هذا التحليل أن تقدير المقيم البريطاني في الخليج كمبال في تقرير له في يناير 1845، أن الكويت هي نموذج للنجاح التجاري، وأن عدد سكانها بلغ 25 ألف نسمة. ثم عاد في تقرير آخر

1- يوسف القناعي ، مرجع سابق، ص 64.

لـه فـي شـهر فبرايـر مـن نفـس العـام ليقلـل مـن تقديـره لعـدد السـكان ليكـون 22 ألفـاً. وفـي نفـس الاتجـاه، كانـت تقديـرات المقيـم البريطانـي بيلـي عقـب زيارتـه الثانيـة عـام 1865، فذكـر فـي أحـد تقاريـره أن عـدد سـكان الكويـت هـو 20 ألف نسـمة، ثـم غيّر هـذا التقدير فـي تقرير آخر فـي نفـس العـام ليكون 15 ألف نسـمة، ولم يفسـر بيلي أسـباب الاختلاف بيـن التقديرين.[1]

انحـدر أهـل الكويـت مـن أصـول قبليـة نجديـة، وإلـى جانـب الأغلبيـة العربيـة المسـلمة عاشـت مجموعـات مـن الفـرس والأفارقـة الذيـن قدموا طلبـاً للـرزق، وعـدد محدود مـن النصارى مـن جنوب العراق وبـلاد فارس.

سـاد المجتمـع الكويتـي في القرن التاسـع عشـر منـاخ التسـامح الديني، فيذكـر بيلـي فـي تقريـر له بتاريـخ 15 مايـو 1866، أنـه «يتمتع السـكان.. بكامـل حقوقهـم الدينيـة» وحريـة ممارسـة الشـعائر الدينيـة، ولـم تفرض عليهـم ضرائـب خاصـة. وسـجل بيلـي الـذي أقـام لعـدة أيـام فـي ضيافـة يوسـف البـدر أن مضيفـه كان ملماً بالديانات الأخـرى وبقواعدها وأصولها.

ولعـل مـن أهـم شـواهد تسـامح الكويتييـن وعلمائهـم، عـدم انجذابهـم إلـى الأفـكار المتشـددة وقتـذاك، ومعارضـة الشـيخ عثمـان بن سـند، وهو مـن أشـهر علمـاء الكويت في القرن التاسـع عشـر لأفـكار الغلو والتشـدد. وهكـذا، لـم تكـن توجـد آيـة مظاهـر للتمييـز بيـن سـكان الكويـت، وأنـه لـم يكـن هنـاك مـا يبرر اتبـاع حـكام الكويت أي سياسـة خاصة تجـاه غير المسلمين.

كانـت الكويـت منفتحـة علـى الآخريـن، لذلـك، فمـن الغريـب أن يذكـر

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 204.

ستوكلر الذي زار الكويت عام 1831، أنه ربما يكون أول أجنبي زارها وشاهده أهلها من مدة طويلة، وهو قول غير صحيح لأن الوكالة البريطانية انتقلت إلى الكويت مرتين: الأولى في نهاية القرن الثامن عشر، والثانية في عام 1821، أي قبل وصوله بعشر أعوام، ثم إنه لا يتسق مع كون الكويت مركزاً تجارياً سافرت سفنها إلى موانئ الخليج الأخرى وشرق أفريقيا والهند.

2. الجلوات (الهجرات) إلى الكويت

اتسم المجتمع الكويتي في عهد الشيخ جابر بالتغيير الاجتماعي، وشهد عملية انتقال وهجرات من مختلف أنحاء نجد إليه، كان من أهمها الزلفي والمجمعة والحوطة. ويرجع ذلك إلى تعرض نجد في القرن التاسع عشر لفترات من القحط والجفاف بسبب عدم سقوط الأمطار. وكان من شأن ذلك، أن "جفت الآبار والمزروعات وتداعت الثروة الحيوانية إلى الهزال والمرض"[1]. إضافة إلى النزاعات والحروب الطاحنة بين القبائل، واضطرار كثير من العائلات للترحال إلى الزبير أو شرقي الجزيرة العربية أو الكويت.

كما كانت هناك هجرات مؤقتة ارتبطت بمواسم الغوص على اللؤلؤ والتي شهدت مجيء أعداد من الشباب والرجال الأشداء للمشاركة في الإبحار والغوص طلباً للرزق. وعندما ينتهي موسم الغوص كان يعود بعض هؤلاء إلى قراهم وبلداتهم، ويختار آخرون الإقامة في الكويت.

1- حسب رواية الأستاذ عادل العبد المغني حول أسباب هجرة أجداده من قرية حرمة بنجد إلى الكويت عام 1850 في: حمد عبد المحسن الحمد، الكويت والزلفي هجرات وعلاقات وأسر، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010) ص33.

وكان من أشهر من تردد على الكويت في هذه الفترة، الشاعر رشيد العلي الحمد[1]، الذي ولد بالزلفي عام 1808، وتوفي بها في عقد الثمانينيات. قصد الكويت للعمل بالتجارة والغوص على اللؤلؤ وترك فيها ذرية كبيرة.

ومنهم سعود محمد المطلق العصيمي من أهالي الزلفي، الذي بدأ قدومه إلى الكويت في حوالي عام 1850 للعمل في موسم الغوص على اللؤلؤ[2].

كانت الزلفي أهم مصدر للهجرات والانتقال إلى الكويت، وهو ما أُسمي بالجلوات. ويمكن تفسير ذلك بوجود طريق للقوافل ربط بين البلدين. وتنحدر أصول عديد من الأسر الكويتية المعروفة إلى الزلفي كالحمد والشايع والحميدي والعثمان والعصيمي والفلاح والبدر والغنام والخرافي والسداح.

وبالنسبة لأسرة البدر، فقد استقر أجدادها بالكويت في القرن السابع عشر، وكان من أشهر أبنائها يوسف بن عبد المحسن بن عثمان بن محمد البدر -أشرنا إليه في المبحث السابق- الذي ولد بالكويت عام 1800، واشتغل بتجارة الخيول، وكان من أشهر تجار الكويت وأغناهم، وتوفي عام 1880. اشتهر بالكرم ومساعدة المحتاجين والثقة بالآخرين، وكان مثالاً للتاجر الأمين، ويروى عنه أنه في عهد الشيخ جابر قدم إلى الكويت جماعة من «المهرة» من اليمن يسألون عنه، وعندما التقاهم طلبوا منه قرضاً بمبلغ ثمانين ألف ريال لتوظيفها في تجارتهم،

1- وهو رشيد بن علي بن حمد بن رشيد بن حمد بن راشد بن صالح الأسعدي العتيبي. وكان والده علي الحمد أكبر قائد للقوافل التجارية بين نجد والكويت وجنوب العراق.

2- المرجع السابق، ص 85.

فأعطاهم ما طلبوه دون معرفة سابقة ودون أن يطلب منهم سنداً لإثبات القرض، وعندما تكللت تجارتهم بالنجاح عادوا إليه ليردوا له قيمة القرض مضافاً إليه نصيبه من الربح، فقبل منهم ما كان قد دفعه لهم دون زيادة[1].

وفي نفس عام مولد يوسف البدر -1800- قدم إلى الكويت علي السداح الجد الأكبر لعائلة السداح، وكان معه قدر من المال اشترى به أرضاً وبنى عليها مسكناً، واشتغل بدباغة الجلود التي شملت إزالة الشعر من جلد الحيوان وترطيبه حتى يصلح لصناعة القِرب وبيعها. وعمل بتجارة الجلود مع نجد، وواصل ابنه محمد العمل في مجال الجلود[2].

وبخصوص أسرة الشايع، فقد قدم حمود بن أحمد بن علي الشايع مع زوجته وولديه محمد وعلي في وقت ما بين عامي 1820 - 1830، وامتدت رحلتهم إلى شرق الزلفي فحفر الباطن فالرقعي شرقاً إلى الكويت. كان له بيتان؛ أحدهما في الكويت في منطقة المرقاب، والآخر في الزلفي، واشتغل بالتجارة وتوفي عام 1896، ودفن بمقبرة نايف[3].

وبشأن أسرة الخرافي، فقد قدم حسين عبد المحسن الخرافي إلى الكويت عام 1852، وأقام في مسكن بالقرب من السوق الداخلي وبجوار مسجد الفهد، عمل بالبحر والتجارة، وعندما استقرت أوضاعه، استدعى والدته وإخوته فلاح وناصر وأحمد، واشتغلوا جميعاً بالتجارة

1- عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، التاجر الأسوة في كويت الماضي، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 201.

2- نص الحديث في: جاسم عباس أشكناني، صفحات من الذاكرة، الجزء الثالث 2011، ملحق القبس 56، متاح إلكترونياً، ص ص 80، 81. هناك رواية أخرى بأن علي السداح قدم إلى الكويت عام 1850 وتوفي عام 1899 في: الحمد، مرجع سابق، ص70.

3- جاسم عباس أشكناني، مرجع سابق، ص 62.

مـع العـراق والهند[1].

وإضافـة إلـى هـؤلاء، قـدم أيضاً علي محمـد حمد الزمامي، الذي اشـتغل بتجـارة الخيـول، وسـكن أولاً فـي منطقة الجهـراء، وفيها ولد ابنـه عبد الله عام 1860 [2].

كمـا قـدم إلى الكويـت مهاجرون من أرجـاء الجزيرة العربيـة، كان منهم مـن الزبيـر الخشـرم، التـي كانـت أسـرة ميسـورة.[3] ومـن سـدير، قـدم كبير عائلـة السـديراوي في عـام 1845، وسـكن في «جبلة» بالقرب من مسـجد مديـرس. ومـن شـرق المدينـة المنـورة، قـدم الجـد الأكبـر هـلال المطيري عـام 1850، ومعـه جماعة من أهله الذين امتهنـوا الرعي والغوص والتجارة فـي البحـر، وسـكنوا في فريج الشـرق بالقـرب من فريج النصف. وحسـب روايـة عبـد العزيـز خالـد المخلـد المطيـري، فإن جـده ولـد بالكويت عام 1855، وعمـل بالغـوص علـى اللؤلؤ وأصبح طواشـاً[4].

ومن البحرين، قدم أجداد آل عصفور الذين سكنوا الكويت في فريج شرق. واشتهرت الأسرة بالتجارة وركوب البحر، وكان منها كثير من ملاك ونواخذة سفن الغوص على اللؤلؤ والتجارة فيه[5]. ومن البحرين أيضاً، قدم

1- المرجع السابق، ص58 . وفيصل عادل الوزان، "تجارة الصوف والجلود في الكويت من خلال وثائق الخرافي والسديراوي"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 71 (يوليو 2020) ص ص 17 - 18.

2- الحمد، مرجع سابق، 55 - 85.

3- عبد الله بن إبراهيم بن الفعلاس، تاريخ الزبير والبصرة مع إشارات إلى تاريخ الكويت والأحساء (دجلة: دار الخزام للنشر والتوزيع، 2006) ص33.

4- جاسم عباس أشكناني، صفحات من الذاكرة، الجزء الأول 2009، ملحق القبس 52، ص134. متاح إلكترونياً.

5- خالد النزر، "آل عصفور في إقليم البحرين 2/2"، مجلة الواحة، العدد 37 (بيروت، نوفمبر 2007) متاح إلكترونياً على موقع المجلة، ولا يحمل أرقام صفحات.

علي الخباز في وقت ما بين 1810 - 1815، والذي كان حسب رواية ابن حفيده أحمد سيد عمران الموسوي خبازاً، فقد كان لديه «مدار كبير لطحن القمح ومخبز اشتغل فيه عدد من العمال في البحرين، وعندما انتقل إلى الكويت نقل معه عماله ومخبزه. وأقام مسكنه في براحة المجيبل بالقرب من مسجد النصف على ساحل البحر»[1].

كذلك قدم من البحرين الشيخ عبد الجليل الطبطبائي في عام 1842. كان قد ولد في البصرة عام 1776، وعاش في الزبارة والبحرين حتى قدومه إلى الكويت، فاستقر بها لحين وفاته عام 1853. كانت له إسهاماته البارزة في مجالات العلم والتعليم والشعر والأدب، وهو ما يظهر في أكثر من مكان بكتابنا هذا، وترك وراءه أسرة لها مكانتها الاجتماعية في الكويت.

وفي هذه الفترة، سادت تسمية القادمين من بلد أو منطقة ما باسمها، فسُمّي الذين قدموا من منطقة الحوطة في نجد باسم «أهل الحوطة» الذين اشتغلوا بالبناء والعتالة. وسُمّي القادمون من البحرين باسم «البحارنة»، واشتغلوا ببناء السفن وعرفوا بالقلاليف، فقد كانت صناعة السفن وبنائها تعرف بمهنة القلافة.

ومن الأحداث التي وقعت في عهد الشيخ جابر، أنه ذات يوم نشب شجار بين (حوطي) و(بحراني)، وتدافع كثير من أهل الحوطة والبحارنة لنصرة المتخاصمين. وفي خضم هذا التدافع، ضرب أحد البحارنة بفأسه أحد الحوطيين فجرحه في رأسه، فما كان من أهل الحوطة إلا أن وضعوا جريحهم في نعش فساروا به إلى الشيخ. وفي نفس الوقت ذهب إليه

1- نص الحديث في جريدة الأنباء بتاريخ 22 - 5 - 2010.

البحارنـة يشـكون فيه اعتداء أهـل الحوطة عليهم.

كان الشيخ يعرف أن البحارنة أهل سلم، وأنهم لا يثيرون المشكلات ولا يعتدون على أحد إلا رداً على ما يقع عليهم من اعتداء. وكان في نفس الوقت حريصاً على استجلاء الحقيقة، فقام بالكشف عن وجه الحوطي المصاب، ووضع يده على رأسه فتوقف النزيف، فأدرك أن الجرح سطحي مسّ الجلد ولكن لم يصل إلى العظم. وقبل أن يبدي رأيه طلب من المتخاصمين الاختيار بين قبوله حكماً يرتضون بحكمه أو أن يحيل الموضوع إلى القاضي الشرعي، فارتضى الفريقان حكم الشيخ.

وكمـا روى الحـاج أحمـد بن يعقـوب المحميد، فإن الشـيخ قال: "حكمي أن هـذه الفلعـة (وهي الشـجة بالرأس) لا تسـاوي أكثر من ريـال"، (الريال عملـة فضيـة متداولـة فـي ذلـك الزمـان وزنهـا 30 جراماً تقريباً). ثـم قال: "خـذوا صاحبكـم يـا أهـل الحوطـة، واعلمـوا أن دك الفلعة تمـرة وملحة"، (ومعنـى الـدك: الحشـو، والكلمة كناية عن العلاج). يرشـدهم إلى أن التمر والملـح عـلاج للجـرح الـذي يكـون فـي الـرأس، وقـال: "فليقبضـوا الريـال، وليعالجـوا صاحبهـم بالتمـرة والملـح، وليحمدوا الله على السـلامة».

ثـم دعـا الشـيخ الجميـع إلـى الالتـزام بالهـدوء والسـكينة والحـرص على عـدم الإسـاءة بعضهـم إلـى بعـض، «فالإسـاءة سـبب الشـقاق، والشـقاق يذهـب بالاسـتقرار، وإذا ذهـب الاسـتقرار حلت محله الفوضـى، والفوضى خـوف وانقطـاع رزق». ثـم وجـه كلامـه إلـى أهـل الحوطـة بأنه فـي حالة عـدم قبولهـم بحكمـه، فإنـه سـوف يبحـث عـن أصـل المشـكلة ومـن هو المعتـدي الأول -وهـو يعلـم أنـه منهـم- وسـوف يعاقبـه علـى فعلته[1].

1- عبد الله النوري، حكايات من الكويت، مرجع سابق، ص ص 35 - 38.

3. العادات وأنماط الحياة اليومية

ساد المجتمع الكويتي الشعور العام بالمساواة بين الجميع، وكانت الاختلافات بينهم على أساس «المكانة القبلية» وليس المال أو الثروة، وذلك وفقاً لتقاليد القبائل العربية، أي أن المكانة الاجتماعية ارتبطت بالأصل القبلي. وانتمت أغلب العائلات الكويتية القديمة إلى قبائل عنزة، وبني خالد، وشمّر، والعجمان، ومطير، والعوازم، والعتبان، والرشايدة، وقبائل أخرى..

ولم يظهر هذا الاختلاف في المكانة في الزي أو المهنة، فقد ارتدى الكويتيون زياً مشتركاً، وعملوا في كل المهن. ولم يكن هناك تمييز بين الغني والفقير، أو بين الأعيان وجمهرة الناس في أنماط الحياة، بل انخرطوا جميعاً في سائر مجالات الصيد والغوص والتجارة.

ويمكن تفسير الطابع «اللاطبقي» للمجتمع التقليدي الكويتي في هذه الفترة بعدة عوامل، وهي أن الكويت كانت مدينة صغيرة يعيش سكانها على رقعة جغرافية محدودة، مما أدى إلى التعارف والاختلاط بين سكانها، وأنه ترتب على غياب الزراعة عدم ظهور طبقة ملاك الأرض، والتي كان لها في المجتمعات الأخرى دور حاسم في بلورة مشاعر عدم المساواة الاجتماعية بين الطبقات، وأن الانتماء القبلي «العابر للطبقات» دعم الشعور بالمساواة، ففي كل قبيلة كان الأغنياء ومتوسطو الحال والفقراء. وكان من شأن ما تقدم، أن المال والثروة لم يصبحا معياراً للتمايز الاجتماعي[1].

1- Mohammed Alajmi, History of Architecture in Kuwait: the evolution of Kuwaiti Traditional Architecture prior to the Discovery of Oil, PHD Dissertation Submitted to University of Nebraska, 2009.PP.29-30.

كان الرجال يجتمعون في "المجالس" أو الديوانيات التي عقدت في منازل الأعيان وكبار التجار. وكانت هذه الديوانيات مجالاً لتبادل الأخبار، وخصوصاً أخبار الحروب والغارات التي شهدتها إمارات ومشيخات شبه الجزيرة العربية والخليج، واللقاء مع الزائرين من خارج الكويت، والسمر، وإلقاء الشعر.

وكان من المجالس الشهيرة في عهد الشيخين جابر وصباح، مجالس البدر والصبيح والصقر والخالد، وكان منها أيضاً مجلس عبد النبي بن معرفي الجد الأكبر لعائلة آل معرفي[1]. وكان من المعتاد أن تقدم «القهوة» في الديوانيات، وتفنن الكويتيون في صناعة الأقداح الجميلة لشربها. وظلت القهوة هي الشراب الوحيد الذي عرفه الكويتيون حتى مطلع تسعينيات القرن التاسع عشر عندما عرفوا الشاي.

أما النساء، فقد تزاورن بين بعضهن وخصوصاً في نطاق الفريج الواحد. وكان للمرأة دورها المهم في الحفاظ على كيان الأسرة، وشراء احتياجاتها من الأسواق، وحمل مياه الشرب إلى المسكن وخصوصاً في فترات تغيب الرجال خلال موسم الصيد على اللؤلؤ، والرحلات البعيدة إلى الهند وزنجبار.

واشتهرت في هذا الوقت لعبة الدامة، وهي لعبة شعبية قديمة مارسها الشباب والرجال في الشوارع وفي الديوانيات وفي السفن الشراعية في البحر. وتُلعَب بقطع مخصوصة من الخشب على قطعة صغيرة من القماش، على نحو قريب من لعبة الشطرنج. كانت اللعبة معروفة أيضاً في إمارات الخليج الأخرى، وما زالت معروفة حتى الآن

1- عبد الله بن خالد الحاتم، مرجع سابق، ص 223.

كجـزء مـن التـراث الشـعبي الخليجي.[1]

لـم تكـن هنـاك أماكـن عامة يلتقي فيهـا أبنـاء المدينة، وربمـا كان أقدم هـذه الأماكـن مقهـى «أبـو ناشـي» أو «بوناشـي» أو مقهـى التجـار كمـا أسـماه البعـض لوجـوده داخـل منطقـة السـوق. ويرجـع تاريخ إنشـاء هذا المقهـى إلـى عهـد الشـيخ عبـد اللـه الأول والد الشـيخ جابر، حيث أسسـه مبـارك بوناشـي الـذي قدم إلـى الكويت من الأحسـاء. وتكـوّن المقهى في البدايـة مـن «دكتيـن» مبنيتيـن مـن الطيـن والصخـر علـى جانبـي مدخـل المحـل، وبينهمـا «كـور» أي حفـرة صغيـرة للفحـم ودلـة القهوة.

وكان الشـيخ عبـد اللـه يلتقي فيـه بالأعيان والتجار وعمـوم الناس، ويحل لهـم مشـكلاتهم، وكانـت القوافـل القادمـة مـن نجـد وغيرهـا مـن الأنحـاء تنـوخ بجمالهـا وبضائعهـا فـي هـذا المـكان. واسـتمر الشـيخ جابـر علـى سـيرة والـده، ويـدل علـى ذلـك قـول أحد الشـعراء :

يا عــابر الشـــــام عابــر سلم لي على الشيخ جابر

فـــي قهـــوة الشـــاذلية

ويشـير تعبيـر قهـوة الشـاذلية إلـى مقهـى بوناشـي الـذي قـدم لـرواده قهـوة حملـت هـذا الاسـم.

واسـتخدم الشـيخ دعيـج بن جابـر -الذي تولى مسـؤولية الأمـن في عهد شـقيقه الشـيخ صباح، والذي أشـرنا إلـى دوره في المبحـث الأول- المقهى أحيانـاً مقـراً لمجلسـه[2]، التقـى فيه مـع أصدقائـه ومعارفه وتبادلـوا الأخبار

1- تضمنت ليالي الشارقة الثقافية في أبريل 2016 مسابقات في لعبة الدامة. جريدة البيان بتاريخ 13 أبريل 2016، متاح إلكترونياً.

2- عبد الله زكريا الأنصاري، فهد العسكر حياته وشعره (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف،

وناقشوا الموضوعات التي كانت مثار اهتمامهم.

واستمر هذا المقهى طوال عهد الشيخ جابر ومن خلفه من الشيوخ حتى الشيخ أحمد الجابر الذي تولى الحكم عام 1921. فبعد وفاة بوناشي، ولم يكن له أولاد، خلفه في إدارته المقهى أحد عماله، وهو خليفة بن شريدة من الأحساء أيضاً، وصار يسمى خليفة بوناشي، وتختلف الروايات حول من خلفه في هذا العمل، فيذكر عبد الله خالد الحاتم أنه ابنه فيصل، بينما يذكر حسين ناصر خليفة بن شريدة النجار بوناشي أنه والده ناصر، الذي قام بتطوير المقهى وقدم فيه الشاي والحليب والأعشاب.

ونتيجة لتوسع مدينة الكويت، أزيلت منطقة المناخ ونقل المقهى إلى السوق الداخلي ثم بعد ذلك إلى ساحة الصفاة. وحسب تعبير العم حسين بوناشي، «إنه بعد تجديد السوق الداخلي الحالي، قامت الحكومة بإعطائي هذا المقهى الحالي حفاظاً على التراث والذكريات»[1].

ثانياً- بناء المساجد وأعمال البِّر والوقف

اتسم أهالي الكويت بالمحافظة والتدين شأنهم في ذلك شأن قبائل نجد وشبه الجزيرة العربية. وسجل بيلي في تقريره عن رحلته الأولى إلى الكويت في عام 1863، أن الأهالي يتمسكون بصيام شهر رمضان، وأنه لاحظ بنفسه امتناع كل من قابلهم عن التدخين وشرب الشاي حتى أذان المغرب، حيث إن زيارته كانت في شهر رمضان.

1979) ص23. كان محمد بن عبد الله بن علي بن عسكر جد الشاعر فهد العسكر صديقاً للشيخ دعيج، وحضر مجلسه في مقهى بوناشي.

1- نص الحديث في: جاسم عباس أشكناني، صفحات من الذاكرة، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ص 62 - 63. وعبد الله خالد الحاتم، مرجع سابق، ص 126.

ارتبـط التدين بقيام الكويتيين ببناء المسـاجد التـي كانت أماكن للعبادة والتعليـم. وحسـب روايـة عبـد الرحمـن بـن عبد الله السـويدي، الـذي زار الكويـت فـي مطلـع سـبعينيات القـرن الثامن عشـر وأقـام بها لمدة شـهر، فـإن فـي الكويت أربعة عشـر مسـجداً وجامعين لتأديـة الصلاة[1].

ومـن المسـاجد التـي أسسـت فـي منتصـف القرن الثامن عشـر، مسـجد العدسـاني فـي عـام 1747 فـي حي العداسـنة في وسـط المدينـة القديمة بالقـرب مـن منطقـة السـوق، وجدد مرتين فـي عامـي 1834 و1953، وفي نهايـة حقبـة الخمسـينيات مـن القـرن الماضـي تم هدم المسـجد وأنشـئ مسـجد آخـر بنفس الاسـم فـي منطقـة كيفان.

ومنهـا مسـجد ابـن خميس الذي أنشـئ في عام 1772 فـي حي الخميس فـي شـرق مدينة الكويـت، وجدد مرتين في عامـي 1882 و1949، ثم أعيد بنـاؤه فـي عـام 1954. ومسـجد النصـف الـذي أنشـئ عـام 1776، ويطلـق عليـه اسـم البطـي أو الجلاهمـة فـي حي النصف فـي شـرقي المدينة، وتم تجديـده وترميمـه ثـلاث مرات في 1867 و1956 و2002. ومسـجد ياسـين القناعـي الـذي يطلـق عليـه «السـرحان» الذي تأسـس عـام 1785، وجدده إبراهيـم بـن سـليمان العبـد الجليـل عـام 1813. ويقـع فـي نفـس مكانـه القديـم بجوار البنـك المركزي.

وشـهدت الحقبـة الأولـى من القرن التاسـع عشـر بنـاء مسـجد المديرس الـذي أسسـه عبدالله بن محمـد المديرس في عـام 1810، بالحـي القبلي، وأعـادت وزارة الأوقـاف بنـاءه عـام 1984، ويقـع حاليـاً علـى شـارع علـي

1- علي أبا حسين، لمحة من تاريخ مدينة الزبير تراجم ووثائق، (مملكة البحرين: مؤسسة فخراوي للدراسات والنشر، 2009) ص199. ولم يوضح المؤلف أساس التمييز في استخدامه لتعبيري مسجد وجامع.

السالم.

وفي عهد الشيخ جابر، أسس يعقوب الغانم مسجد آل يعقوب عام 1819، وعندما ضاق المسجد بمصليه، وتقادمت أركانه جدده حمد الخالد الخضير عام 1923 [1].

وأسست ملكة بنت محمد غانم الجبر الغانم مسجداً بجوار منزلها سمي بمسجد القطامي عام 1834، في منطقة الشرق بفريج الشملان أو (الرومي)، وسمي بهذا الاسم لقربه من منزل عبد العزيز القطامي، ويقع حالياً على شارع الخليج العربي بالقرب من مبنى وزارة الصحة العامة[2]. وقيل في أسباب بناء هذا المسجد رغبة السيدة ملكة في تيسير أداة الصلاة لزوجها محمد بن صقر بن غانم الجبر الغانم الذي كان قد ازداد وزنه وقلت حركته، وأوقفت بيتين لصالح المسجد استخدم أحدهما كمدرسة لتحفيظ القرآن والآخر كسكن لشيخ المسجد. وقامت السيدة ملكة بخدمة المسجد بنفسها طوال فترة حياتها. وقام بإمامة الصلاة في المسجد الملا محمد بن حسين بن عبد الله التركيت، وخلفه ابنه الشيخ محمد، ثم حفيده الذي تسمى باسم الشيخ محمد أيضاً. وقام برفع الأذان فيه عبد السلام شعيب وسلطان بورسلي. وأعطى الدروس الدينية فيه الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي والشيخ محمد بن

1- إصدار بيت الزكاة حيث إن موظفيه جمعوا البيانات من روايات أقارب الشخصيات المذكورة بالكتاب، محسنون من بلدي، الجزء الأول (الكويت: بيت الزكاة ،2001) ص14.

2- علي غلوم الرئيس، (جمع وإعداد) الكويت في البطاقات البريدية، رسالة الكويت، العدد 28 (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2009) ص ص 17 - 19. وهيئة التحرير، "الكويت في البطاقات البريدية (إضافة جديدة)، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 29 (يناير 2010) ص ص 23 - 25.

عبدالعزيـز الفارسـي[1]. وجـددت دائرة الأوقاف العامة المسـجد عام 1953.

وفـي عـام 1829، قـام يوسـف عبـد اللـه الصقر بتجديد مسـجد السـوق الكبيـر الـذي بنـي عـام 1794. وكان لهـذا التجديـد قصـة؛ وهي أنـه عندما علمـت سـيدة ثريـة مـن أسـرة الدليم مـن أهالي الزبيـر بخبر نيـة الصقر تجديـد المسـجد، أرسـلت إليـه خطاباً طلبـت فيـه أن تتحمـل تكلفـة التجديـد مـن مالهـا، فـرد عليهـا بأنـه نـوى أن يقـوم بهـذا العمـل ابتغـاء وجـه اللـه، فأصـرت على المشـاركة. وإزاء هـذا الإصرار، وافـق الصقر على أن تتحمـل تكاليـف الشـبابيك والأعمـدة الخشـبية والأبـواب التـي خطـط لاسـتيرادها مـن الهند.

سـافر الصقـر إلـى الهنـد لشـراء مسـتلزمات تجديـد المسـجد، وعندمـا علـم صديقـه تاجـر الأخشـاب «ميمنـي» مـن أهـل كوتـي بالغـرض مـن هـذه الصفقـة، طلـب منـه تحمـل جـزء مـن التكاليـف مشـاركة منـه فـي الأجـر والثـواب، فقـام الصقر بمشـاورة السـيدة بنـت الدليـم، وانتهى الأمر باقتسـام تكاليـف الأخشـاب والشـبابيك والأبـواب بينهـا وبين هـذا التاجر، بينمـا تحمـل الصقـر الجـزء الأكبر مـن تكاليف تجديد المسـجد. ويسـجل التاريـخ أنـه بعـد مئـة وأربعة وعشـرين عامـاً، قامت السـيدة شـاهة بنت

1- عدنان بن سالم بن محمد الرومي (إعداد)، تاريخ مساجد الديرة القديمة (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1988) ص ص 41 - 44، وفيصل بن عبد الله الكندري، "نشاط المرأة الكويتية من خلال وثائق الوقف 1263 - 1348هـ/ 1847 - 1930م"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية (الكويت)، المجلد 20، العدد 78 (ربيع 2002) ص16.
وكذلك رسالة الكويت، العدد 28، أكتوبر 2009 علي غلوم الرئيس، (جمع وإعداد) الكويت في البطاقات البريدية، (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2009) ص ص 17 - 19، وهيئة التحرير، "الكويت في البطاقات البريدية (إضافة جديدة)"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 29 (يناير 2010) ص ص 23 - 25.

حمد بن يوسف الصقر، وهي حفيدة يوسف الصقر، بتجديد نفس المسجد مرة أخرى على نفقتها الخاصة في عام 1937.

وفي عهد الشيخ جابر أيضاً، أسس محمد بن باشق الحمدان القناعي عام 1844 مسجد الحمدان الذي اشتهر باسم بن حمدان، وأسماه صاحب التحفة النبهانية "مسجد بن حمدان القناعي"، وكان يقع في حي وسط بفريج القناعات في براحة الحمدان أو براحة مبارك أي داخل سور الكويت الأول، وموقعه حالياً على شارع علي السالم خلف بورصة الكويت.[1]

وجنباً إلى جنب مع بناء المساجد للعبادة، أنشأ الكويتيون المقابر لدفن موتاهم، وانتشرت هذه المقابر في أنحاء مدينة الكويت وقراها، فقد تعَوّد الأهالي دفن موتاهم في مناطق قريبة من مساكنهم بسبب صعوبة وسائل الانتقال وقتذاك. ويشير أحمد البشر الرومي إلى أن "أكثر الأحياء اليوم كانت مقابر سابقاً كما شاهدنا أثناء حفريات البلدية التي قامت بشق طريق السيول، وما يرويه الشيوخ والعجائز عن بعض الأحياء أنها كانت مقابر سابقاً»، ما عدا محلة الشيوخ ومحلة سعود[2].

ويشير المؤرخون إلى أن أول مقبرة عامة كانت مقبرة «المباركية» التي وقع جزء منها في داخل السور الأول وجزء آخر خارجه، وأنها أنشئت في سنوات منتصف القرن الثامن عشر، ثم أنشئت مقبرة ثانية جنوب المقبرة الأولى خارج السور الأول مباشرة بين دروازة «الصنقر» ودروازة «عنزة» أطلق عليها أسماء عدة منها مقبرة السوق، ومقبرة

1- تم تجديد هذا المسجد ثلاث مرات: الأولى عام 1945 بواسطة عدد من فاعلي الخير، والثانية عام 1956 بواسطة دائرة الأوقاف العامة، والثالثة عام 1981 بواسطة وزارة الأوقاف.

2- أحمد البشر الرومي، مقالات عن الكويت، (الكويت: مكتبة الأمل، د.ت)، ص 39.

مسـجد ابن بحر، ومقبرة السـيد ياسـين الطبطبائي، وكان السـنّة والشـيعة يدفنـون فيهـا موتاهم.

ومـن المقابـر القديمـة مقبـرة «ابـن حقـان»، ومقبـرة «آل القناعـات»، ومقبـرة «ضليـع بـن علـي» بمنطقـة الشـعيبة، وهـي المقبـرة التـي دفـن فيهـا أحـد أنجـال الشـيخ جابر، وتعود تسـميتها إلى اسـم التـل الذي بنيت عليـه فـي منطقـة الصهيـل جنـوب قرية الشـعيبة.[1]

وحـرص الكويتيـون علـى أداء فريضـة الحـج، وذلـك علـى الرغـم مـن مشـاق هـذه الرحلـة فـي الصحـراء، وكان السـفر يتـم مـن خـلال قوافل أو حمـلات الحـج علـى ظهـور الإبـل.[2]

واتسـم المجتمـع الكويتـي بالتضامـن الاجتماعـي ومسـاعدة القـوي للضعيـف والغنـي للفقيـر، وقـام كثيـر مـن رجال الكويت ونسـائها بإنشـاء أوقـاف لصالـح أعمـال الخير، مثل الإنفاق على المسـاجد وإطعـام الفقراء، وإفطـار الصائميـن، وتحريـر العبيـد، وغيرهـا مـن وجـوه الخيـر. وكان من آخـر أعمـال الوقـف قبـل تولي الشـيخ جابر الحكم بخمسـة شـهور، وقف محمـد عبـد اللـه الفـارس فـي ينايـر 1814 لسـبع دكاكيـن قبلـة مسـجد العـوازم لأعمـال البـر وتوزيع الحبوب والتمور في شـهر رمضـان والأضاحي فـي العيـد، وبيـت وديوانيـة توقـف لذريتـه مـن الذكور.[3]

وفـي عهـد الشـيخ جابـر، أوقـف يعقـوب عبـد اللـه أبـو حمـرا بيتـاً فـي

1- محمد معيض عبدالله العازمي، المقابر والشواهد القبرية في الكويت، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة آل البيت، 2016، ص ص 22 - 25.

2- عدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي (بحث وإعداد)، حملات الحج الكويتية على الإبل، (الكويت: المنار الإسلامية. دار اقرأ للنشر والتوزيع، 2005) ص 44.

3- دون مؤلف، سجل العطاء الوقفي، (الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، 1416هـ) ص549.

سوق الخضار على زوجته وذريته، وأن يقوموا بأعمال الخير في تقديم الأضاحي وتنظيم «ختمات القُرآن». ووقف السيدة عيدة بنت سلمان زوجة ثويني الدواس عام 1837 بيتها الكائن في فريج العوازم، وحظوراً[1]، وذلك لإطعام الطعام والأضاحي، وأعمال البر للفقراء والمحتاجين «تعود بالأجر والثواب لها ولأمها ولأبيها ولأختها»، وجعلت ابنتها فهيدة ناظرة على الوقف[2].

وأوقفت السيدة ميثة بنت مصبح في عام 1847، بيتها وحظوراً وجزءاً من أموالها، لإطعام الطعام وأعمال البر، وأعتقت عبدها بخيت وزوجته ابتغاء الأجر والثواب من الله. ولم تكتف بذلك بل زودتهما بالمال وأوقفت عليهما ما يكفل لهما حياة كريمة[3].

وفي نفس السياق، أوقف ثويني الدواس في عام 1848 ثروة كبيرة شملت مزارع نخيل بالأحساء والقطيف، وبيته وجاخوراً (وهي حظيرة الأغنام والدواجن)، ودكاكين بالدروازة، وحوطة (أرض مسورة) في أم سدر، وديوانية، وثلاثة بيوت، وذلك لإطعام الطعام وأعمال الخير.

وأوقف خالد عبد الله محمد صالح العدساني عام 1853 بيتين له في محلة العدساني لأعمال البر والخير. وأوقف والده عبد الله محمد صالح العدساني في ذات العام بيته لنفس الغرض. وأوقفت السيدة علياء حمدان السفري في عام 1855، بيتاً ورثته من أبيها في محلة مسجد المطران لأعمال البر والخيرات.

وأوقف جاسم الشمالي في عام 1858 بيتين ودكاكين لأعمال الخير

1- الحظور هي مصيدة أسماك على شاطئ البحر تعتمد فكرتها على ظاهرتي المد والجزر.
2- المرجع السابق، ص ص 289 - 361.
3- فيصل بن عبدالله الكندري، مرجع سابق، ص20.

والإحسان. وأوقف محمد بن السيد يوسف في ذات العام بيته للإنفاق على الأئمة والمؤذنين وعمارة المساجد واليتامى والمساكين وعابري السبيل[1].

وشملت أوراق أسرة الثاقب بن وطبان أكثر من وثيقة تتعلق بالوصية، كان من أولها في عهد الشيخ جابر وصية السيدة هيا بنت علي بن إدريس الوطبان المؤرخة في 9 ذي القعدة 1234هـ الموافق 29 أغسطس 1819م، والتي حددت فيها ما لها وما عليها «فأما ما لها، فجميع ثلث ما تملك من صوغ وعقار وأثاث ودراهم بيد أمها سارة بنت زيد، ومن بعد أمها على يد أختها سبيكة، ومن بعد أختها على يد ولد أختها علي بن حمد. يعملون لها منها أولاً حجة الإسلام، ومن بعد ذلك ضحايا وعشيات وكسوة أيتام وصدقات في وجوه البر على طلبة العلم، وغيرهم من الضعفاء وما ساو فيه فهم في حل منها»[2].

ووصية حمد بن ثاقب آل وطبان المؤرخة في 27 شعبان 1240هـ الموافق 15 أبريل 1825م، والتي ورد فيها "أوصي ولدي ناصراً في إخوانه القاصرين، وقد جعلته وصيي عليهم، يحسن تربيتهم وتربية مالهم، ويصونهم ويصون مالهم عن المضار والمتالف ويحسن تربيتهم. وقد جعلت ولدي ناصراً وصياً على ثلث مالي فيصرف منه على ما هو مذكور في وصيتي من بعدي»، ثم حدد الأسماء التي تستفيد من الوصية وحجم المبالغ التي تؤول إلى كل منهم، والتي شملت

1- عبد المحسن الخرافي، عائلة الغنام رمز الضيافة الأصيلة للديوان الكويتي (الكويت، 2008) ص ص 41 - 44.

2- مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي (إعداد)، وثائق أسر كويتية نجدية، (الكويت: 2017) ص65.

إخوانه وأقرباءه وأهله وخدمه وخدم أقرانه، وكان إجمالي المبلغ الذي حدده للتوزيع 3000 قرش، وهو مبلغ كبير بمعيار ذلك الزمان الذي لم يكن ثمن المنزل يتجاوز 300 قرش[1].

وفي عهد الشيخ صباح، نجد وثيقة مؤرخة في 10 ربيع الأول 1278هـ الموافق 14 سبتمبر 1861م، سجلت مناقلة بين إبراهيم بن سليمان العبد الجليل وولده سليمان بشأن استبدال الوقف على مسجد العبد الجليل من أرض خراب لا تدر ريعاً إلى دكان، وهو ما يشير إلى حرص أبناء أسرة العبد الجليل على تطوير أوقافهم حتى تفي بالغرض الذي أنشئت من أجله. وتوجد وثيقة أخرى مؤرخة في 14 ربيع الثاني 1281هـ الموافق 15 سبتمبر 1864م بشأن قسمة ورث نفس الشخص وتوزيع تركته على أبنائه وقدرها 6444 ريالاً تقريباً، والإشارة هنا إلى ريال ميري تيريزا ملكة النمسا، والذي كان يعادل 2.5 روبية هندية، وكان هذا المبلغ يعتبر ثروة ضخمة وفقاً لمعايير تلك الأيام[2].

وتوجد أيضاً وثيقة باسم «المديرس والعدواني» حررها القاضي محمد بن عبد الله العدساني في عام 1864، أشارت إلى أن عبد الله بن إبراهيم الأدلم توفي في هذا العام أو قبله بقليل، ولم يكن له ذرية أو وريث، فانتقلت ملكية منزله إلى الشيخ صباح الذي قام ببيعه إلى محمد بن عبد الله المديرس ابن تاجر الخيول ومؤسس مسجد المديرس بالحي القبلي في عام 1810. وبعدها بشهرين باعه بدوره إلى أحمد عبد العزيز العدواني بنفس القيمة. ومؤدى هذه الواقعة أن التقاليد في هذه الفترة قضت بأن تؤول ملكية المنازل التي لا يوجد

1- المرجع السابق، ص 61.

2-نفس المرجع، ص ص164 - 167.

لها ورثة شرعيون إلى أمير البلاد، والذي يكون له حق التصرف في العقار بما يراه مناسباً.[1]

ثالثاً- التعليم والعلوم الدينية

ظهر اهتمام أهالي الكويت بالعلم والثقافة مبكراً، وارتبط بدراسة العلوم الدينية والقرآن الكريم. وتعود أول مخطوطة إلى عام 1682، وهي "الموطأ" للإمام مالك بن أنس التي نسخها علي بن مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن عبد الله من أهالي فيلكا. وفي عام 1724، مخطوطة «الفتح المبين لشرح الأربعين» لابن حجر الهيتمي التي نسخها الشيخ محمد بن عبد الرحمن العدساني. وفي عام 1798، مخطوطة "التيسير على مذهب الإمام الشافعي: نظم العمريطي" التي نسخها عثمان بن علي بن محمد بن سري القناعي.

كان من أبرز من اشتغلوا بالعلم والثقافة في نهاية القرن الثامن عشر الشيخ عثمان بن سند بن راشد الذي لقب باسم عثمان الفيلكاوي لأنه كان من أهالي جزيرة فيلكا. ولد الشيخ في عام 1766، وتلقى تعليمه على يد والده، ثم تتلمذ على يد الشيخ عبد الله الشارخ في مدينة الكويت، ثم سافر إلى الأحساء وبغداد للتعلم على يد علمائها. وكتب عدة مؤلفات مهمة في التاريخ وعلوم اللغة العربية والفقه والحديث والعقائد[2]، كما كانت له إبداعات أدبية وشعرية.[3] وذلك إضافة إلى

1- باسم اللوغاني، "وثيقة لها تاريخ: بيت «الأدلم» اشتراه المديرس عام 1864 ثم العدواني، وثمنته الدولة في الخمسينيات"، الجريدة، بتاريخ 4 - 9 - 2015.

2- من بينها كتاب النظم العشماوية الذي نسخه راشد بن عبد اللطيف بن عيسى بن أحمد.

3-من مؤلفاته التاريخية: «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود» وهو عن تاريخ داوود باشا والي بغداد وأعماله، والحياة الاجتماعية والثقافية في عهده، وكتاب "أصفى الموارد من أحوال

كتابه «سبائك العسجد في حياة الشيخ أحمد بن رزق الأسعد» الذي أشرنا إليه في المبحث السابق.

وفي عهد الشيخ جابر، قام الشيخ إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بنسخ كتاب الشيخ محيي الدين يحيى بن شرف النووي بعنوان «المنهاج في فقه الإمام الشافعي»، والذي انتهى من نسخه في عام 1844، وتقع نسخة الكتاب في خمسمئة صفحة[1]. وفي العام التالي قام محمد بن عبد الله بن محمد الفارس بنسخ «ديوان المتنبي». وفي العام الذي تلاه 1846م قام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بنسخ مخطوطة «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للشيخ أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي.

في عام 1854، نسخ الشيخ حمد بن عبد الله بن فارس كتاب ابن حجر المكي بعنوان «شرح الرحبية في علم الفرائض»، ويقع الكتاب في ثلاثمئة وأربع وخمسين صفحة.[2] وفي نفس العام انتهى من نسخ مخطوطة «الفواكه الشهية في حل المنظومة المسماة بالقلائد البرهانية».

وفي عهد الشيخ صباح بن جابر، تم نسخ كتاب "نيل المآرب شرح دليل الطالب على مذهب الإمام أحمد بن حنبل" للشيخ عبد القادر بن عمر الشيباني ابن أبي تغلب عام 1864. ونلاحظ هنا انفتاح فكر

الإمام خالد" وهو سيرة حياة الإمام الشيخ خالد النقشبندي، و"الغرر في أعيان القرن الثاني عشر". انظر تفصيل مؤلفاته وتواريخ طباعتها في: عبد المحسن الخرافي، مربون من بلدي، مرجع سابق، ص ص 85 - 87.

1- مجموعة مؤلفين، تاريخ التعليم في دولة الكويت دراسة توثيقية، المجلد الأول (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2002) ص33.

2- عبد الله خالد الحاتم، مرجع سابق، ص ص 60 - 61.

شيوخ الكويت على المذاهب الإسلامية المختلفة من مالكي وشافعي وحنبلي وحنفي.

وتشير هذه الأمثلة من المخطوطات التي تم نسخها في هذا الوقت المبكر إلى شغف الكويتيين بالمعرفة والتعلم. وسافر النساخون إلى الأحساء والبصرة لتعلم فنون كتابة الخط العربي، وبرع منهم عدد من الخطاطين والنساخين[1].

كان من أشهر علماء الدين في هذه الفترة الشيخ محمد بن عبد الله بن فارس (1818 - 1909) من مواليد نجد، وقدم إلى الكويت عام 1834، فاتصل بالشيخ عبد العزيز العتيقي وتدارسا كتاب الله والفقه الحنبلي، وتتلمذ على يد عدد من شيوخها من أمثال الشيخ عبدالله بن جميعان والشيخ أحمد بن صعب والشيخ أبي بكر الملا والشيخ عبد الجليل الطبطبائي والشيخ حبيب الكردي والشيخ صالح بن حمد المبيض. واستكمل علمه على يد علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة ونجد والزبير والأحساء، وتفقه في المذاهب الأربعة. عُرف عنه الورع والتقوى وحب الناس والعمل على هدايتهم وإصلاحهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم. فكان يؤم المصلين في المسجد الذي أقامه وهو مسجد «الفارس» ويلقي فيه الدروس الدينية بعد صلاة العصر كل يوم.

واشتهر أيضاً، الشيخ عبد الجليل بن ياسين بن إبراهيم الطبطبائي -الذي أشرنا إليه من قبل- والذي تنتسب أسرته إلى الحسن بن علي، وقدم إلى الكويت عام 1843 أي بعد أحد عشر عاماً من قدوم الشيخ ابن فارس، وعاش فيها حتى وفاته عام 1853. ورغم قصر المدة التي عاشها

1- كامل العبد الجليل، ذاكرة وطن (الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، 2019) ص 64.

الشيخ في الكويت، فقد ذاعت شهرته وعظُم تأثيره بسبب ثقافته الواسعة في أمور الشريعة والفقه، فأحبه الناس وأقبلوا عليه وعلى دروسه، واتسم الشيخ «بالحلم والكرم، وكان ذا علم وأدب»، ووصفه معاصروه بأنه «الشاعر العالم»، وأنه «كان طويل الباع في العلوم والفضل».[1] وكان من مآثره حرصه على أن يكسب قوته من عمل يديه فاشتغل بالتجارة.

أما نجله الشيخ سيد الذي ولد في عام 1797، وتوفي عام 1878، فقد أخذ العلم عن يد والده، وعمل إماماً لمسجد الحداد، وقام بإعطاء دروس في اللغة العربية والدين، وتتلمذ على يديه الشيخ خالد بن عبدالله العدساني.

ومع ازدياد عدد الشيوخ وعلماء الدين، نشأ عدد من الكتاتيب، وهو النظام الذي عرفته كل البلاد الإسلامية قبل ظهور نظام التعليم المدرسي الحديث. وكان من رواد هذا العمل، كتّاب سليمان بن ربيع بن محمد بن علي الموسوي (1812 - 1895) الذي خصص داره في فريج الشيوخ ليكون «كُتّاباً» لحفظ القُرآن الكريم وتعليم قواعد اللُّغة العربية[2]. وكان من طلبته الشيخ مبارك الصباح، والشيخ سلمان الصباح، ويوسف بن عيسى القناعي، وناصر البدر، وعبد العزيز الدبوس، وقاسم حمادة، وعبدالباقي بن ناصر وأبناء النقيب. وتوارث أبناء الموسوي هذه المهنة، فكان هذا الكتّاب من أشهر كتاتيب الكويت على مدى عدة أجيال.

وكذلك كُتّاب حمد بن عبد الرحمن بودي (1820 - 1907)، الذي تعلم في صباه بأحد مساجد الكويت ثم سافر إلى الأحساء لتلقي العلم، وعاد

1- عبدالجليل بن ياسين بن إبراهيم الطبطبائي الحسني الهاشمي الشافعي (1190 - 1270)، القول الحسن فيما يُستقبح وعما يُسن، حققه د.عبدالعزيز بن أحمد البداح (الكويت: دون ناشر، 2011). وهذا الاقتباس من المقدمة التي كتبها المحقق ص 11.

2- موقع المسجد الكبير حالياً.

ليستخدم ديوانية عائلته مكاناً لكتّابه، ومن طلبته الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وناصر ومبارك الجوعان، واستكملت ابنته مريم التي ولدت في 1865، رسالته التعليمية وأنشأت كتّاباً للفتيات.

وكُتّاب محمد بن سيف (1853 - 1947)، الذي ولد في نجد وتعلم في كتاتيبها، ثم قدم إلى الكويت، وكان مقر كُتّابه في غرفة بمسجد هلال المطيري، واشترك معه في إدارة الكتّاب ابنه صالح، وابن أخيه ناصر والملا محمد الشويعر، مما يدل على كثرة عدد تلاميذه، وكان من بينهم يوسف عبد الهادي الميلم، وخضير عبد الرحمن الخضير. وجدير بالذكر أن الملا محمد بن سيف قام أيضاً ببعض أعمال التطبيب، مما أدى إلى زيادة عدد المترددين على مكانه من الصغار والكبار.

ويُشير ما تقدم إلى أنه خلال فترة حكم الشيخين جابر وصباح، نمت في الكويت مجموعة من العُلماء والمُتعلمين الذين لم تقتصر معارفهم على الأمور الدينية والأدبية، بل امتدت إلى الشؤون العامة والدولية. ويدُل على ذلك ما سجله بيلي الذي حضر مجلس الشيخ صباح واستمع إلى المناقشات التي دارت فيه، وأنهم كانوا على معرفة بتطورات الأحداث السياسية في أوروبا والصراعات بين الدول الكبرى فيها، وذلك من خلال متابعتهم لصحيفة عربية كانت تصدر في باريس باسم "أورينتال باريس جازيت" وترسل لهم من هناك، كما أشرنا إلى ذلك في المبحث الأول[1].

رابعاً- الصحة

اشتهرت الكويت بمناخها الصحي، وذلك مقارنة ببلاد الخليج الأخرى،

1- هيئة التحرير، "ماذا كان يقرأ الكويتيون من الكتب والصحف القديمة"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 11-12 (سبتمبر 2005) ص7 - 8، 11.

ويدل على ذلك أن هارفارد جونز مساعد مدير الشركة الهندية في البصرة قصدها للاستجمام عام 1790، وذلك بعد المرض الذي أصابه. وكتب فيلكس جونز في أعقاب زيارته للكويت عام 1839، أنها «بلد صحي بشكل عام، وخاصة بعد انتهاء وباء الطاعون الأخير»[1]. والإشارة هنا إلى الوباء الذي اجتاح الكويت عام 1831، والذي سوف نأتي على ذكره لاحقاً.

ووصفها بيلي بعد زيارته الثانية لها عام 1865 في عهد الشيخ صباح، بأن جوها صحي للغاية، وأنها لا تكاد تعرف مرض التهاب العيون الشائع في منطقة الخليج، وتندر فيها الحيات، كما أنها لم تعرف مرض الجدري من وقت بعيد. أما المرض الأكثر انتشاراً فهو الروماتيزم في فصل الشتاء.

وكان تقدير بيلي أن جو الكويت أفضل من نظيره في بغداد وبوشهر، وذكر أنه لم يلاحظ وجود سراديب على نحو ما هو معروف في بيوت بغداد أو عرائش على نحو ما هو معروف في بيوت بوشهر في فصل الصيف، فهواء الكويت في الصيف لطيف[2].

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت الرعاية الصحية محدودة إن لم تكن منعدمة في بعض الأماكن، وكان الناس يعتمدون على طرق الطب التقليدي والأساليب البدائية في تشخيص الأمراض وعلاجها. وكان هذا التطبيب يتراوح بين خبرة البعض في تركيب الدواء من الأعشاب والنباتات، أو اللجوء إلى عمل حلقات «الزار»، والرقية الشرعية. وقام بهذا العمل أشخاص ممن كانوا يزاولون مهناً أخرى كالملا والمطوع والحلاق والعطار. وكان من العادات التي مارسها

1- خالد فهد الجار الله، صحة الكويت قراءة في وثائق كويتية واجنبية، (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2019) ص30.

2- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 204.

البعـض وضـع المريـض فـي سـاحة ويقـوم بعـض الأفارقـة بضـرب الطبول بصـوت عـالٍ مـع قيامهـم بـأداء حـركات ورقصـات هسـتيرية، أو الذهـاب بالمريـض إلـى جزيـرة فيلـكا لتقديـم «النـذر» إلـى مقـام الخضـر[1].

وفـي هـذه الظروف، اجتاحت منطقة الخليج وشـبه الجزيـرة الأوبئة من فتـرة لأخـرى، ويسـرت حركـة السُـفن في البحـر وحركـة القوافـل التجارية فـي البـر انتقـال الأمـراض مـن بلـد لآخـر، ولـم تكـن الكويـت بمنـأى عـن ذلـك، فأصابهـا أكثـر مـن وباء خلـف ضحايـا كثيرين.

ووفقـاً لمُحمـد إبراهيم الشـيباني، «فـإذا قلنا إن الكويـت عانت الويلات مـن هـذه الأوبئـة وأفنت أكثر سـكانها على دفعـات، لم نكـن بعيدين عن الصـواب»[2]. واسـتدل علـى ذلك بـأن أغلب أحيـاء المدينة، مدينـة الكويت اليـوم، بنيـت على أراضٍ كانـت مقابر في عهود سـابقة.

كان عـام 1831 عامـاً ثقيـلاً وكئيبـاً علـى الكويتييـن بسـبب وبـاء مـرض الطاعـون الـذي اجتاحهـا. بـدأ هـذا المـرض عـام 1830 فـي مدينـة تبريـز فـي فارس، ثم انتشـر فـي عام 1831 في البصرة وسـوق الشـيوخ والكويت والزبيـر، فبقيـة أرجـاء نجـد، وكانـت له آثـاره المأسـاوية فوصفه ابن بشـر «انقطـع منـه حمائـل وقبائـل، وخلـت مـن أهلهـا المنـازل، وإذا دخـل في بيـت لـم يخـرج منـه حتـى لم يبـق فيه عيـن تطـرف»، ويضيـف أن الوباء «أفنـى أكثـر من ثلاثـة أربـاع أهـل الكويت»[3].

1- عبد المحسن عبدالله الخرافي، الأيادي البيض سجل الوفاء للمحسنين الكويتيين في مجال دعم الخدمات الصحية، (الكويت: د.ن، 2004)، ص 110.

2- محمد بن إبراهيم الشيباني، تحرير، الأمراض الفتاكة في تاريخ الكويت: الطاعون - الجدري - الإنفلونزا، (الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، 2017) ص11.

3- إبراهيم حامد الخالدي، مرجع سابق، ص ص 19 - 20.

ووصف عبد العزيز الرشيد المشهد بقوله: "أصيبت الكويت في عام 1247هـ (1831م) بطاعون عظيم قضى على كثير من أهلها حتى كادت تصبح منه قفراً يباباً لولا المسافرون من أهلها الذين لم يرجعوا إليها إلا بعد صفاء جوها من تلك الظلمة، رجعوا إليها ولكن وجدوا الطاعون قد فتك بكثير من نسائهم فاضطروا إلى استقدام عوضهن من البلاد المجاورة كالزبير ونجد وغيرها، وبذلك حفظوا البلد من العدم والفناء»[1]. وكان من ضحايا هذا الوباء الشاعر المشهور محمد بن حمد بن لعبون، والذي سوف نأتي على ذكره لاحقاً في هذا المبحث.

ويذكر عبد الله خالد الحاتم أن الناس دفنوا موتاهم في أقرب مكان لهم أو ألقوا بهم في الآبار أو تركوهم في المساجد ليأتي من يقوم بدفنهم، حتى أوشكت أرض الكويت أن تكون كلها قبوراً[2]. وحسب تعبير علي أبا حسين فقد «هلك خلائق لا يحصيهم إلا الله تعالى، وبقي الناس في بيوتهم صرعى لم يدفنوا، وأنتنت البلدان من جيف الموتى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[3].

ووصف الشاعر سعود بن محمد هذا الوضع الحزين بقوله:

شـــفنا المنازل مثـــل دوي الفضا

عقب السكن صارت خلايا مخاريب

واحســـرتي ليمن طرا ما مضى

عصر يذكرنـــي الاهل والاصاحيب

1- عبدالعزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 96.

2- عبدالله خالد الحاتم، مرجع سابق، ص 138.

3- علي أبا حسين، مرجع سابق، ص200.

يـــا ونتي ونـــة كســـير العضا

ونة صويب عطّبته النشاشـــيب

شفني عقبهم ذقت كاسات اللظى

عدم الدوا ويـــن اجيب التطابيب[1]

أدت زيادة عدد الموتى إلى قيام الكويتيين بحفر مقابر جماعية، والتي أمكن العثور عليها مع التوسع العمراني في المدينة، ومنها ما اكتشف أثناء رصف الشارع الجديد، فقد عثر العمال على مقبرة جماعية تضم رفاة مئة وخمسين شخصاً دفنوا في حفرة واحدة كبيرة، وقيل إن المقبرة تعود إلى زمن وباء 1831. وكانت تقع عند نهاية السور الثاني لمنطقة القبلة وداخل السور الثالث[2].

ومن الروايات عما حدث في الكويت إبان تلك الفترة، أن الوباء أجبر أهالي «الفنطاس» على هجر منازلهم والسكنى في «أبو فطيرة» وهي منطقة بين الفنطاس والفنيطيس[3]، وأنه نظراً لانتشار الوباء في مدينة الكويت، أفتى أحد العلماء بمغادرة أهلها مساكنهم، فأقام الكثير منهم أكواخاً في منطقة الشويخ سكنوا فيها حتى نهاية الوباء. وتردد أيضاً أن إحدى العائلات في منطقة شرق أغلقت أبواب دارها، واحتفظت داخلها بما تحتاج إليه من طعام وشراب حتى لا يضطر أحد من أفرادها إلى الخروج من الدار، وأن إحدى نساء الأسرة رغبت في الخروج لتطمئن على أحوال أهلها، فأنزلوها بحبل من سطح المنزل، وعندما عادت لم

1- أحمد البشر الرومي ، مرجع سابق، ص ص49 - 50.

2- محمد معيض عبدالله العازمي، مرجع سابق، ص17.

3- جاسم عباس أشكناني، صفحات من الذاكرة، الجزء الثاني 2010 ملحق جريدة القبس، متاح إلكترونياً، ص11.

يسـمحوا لهـا بالدخول فقضـت نحبها[1].

وشـاءت إرادة اللـه أن العديـد مـن السـفن الكويتيـة التـي تسـافر إلـى الهنـد كانـت فـي البحـر محملـة برجـال كثيريـن نجوا مـن الوبـاء، وعندما وصلـوا إلـى الكويـت اكتشـفوا فداحـة الكارثـة البشـرية التـي ألمـت بهـا، فقامـوا بدفـن الموتـى ومعاونـة المصابيـن ورعايتهـم، وكان هـؤلاء هـم القاعدة البشـرية والأسـاس الاجتماعـي لإعادة بناء المجتمـع وبعث الحياة فيـه مـرة ثانية.

وبحكـم الآثـار المأسـاوية لهـذا الوبـاء القاتـل، ظلـت تلـك السـنة قابعة فـي الذاكـرة الجمعيـة للكويتييـن يسـتذكرونها مـن آن لآخـر. وفـي عـام 2007، بـث التليفزيـون الكويتـي مسلسـلاً تاريخياً عنها باسـم «الـدروازة»، الـذي ألـف قصتـه الأديـب هيثـم بـودي، وأخرجـه خلـف العنـزي، وقـام بتمثيلـه سـعد الفـرج ومريـم الصالـح وإبراهيـم الصـلال وجاسـم النبهـان وعبـد المحسـن النمـر ومحمـد حسـن.

كان لهـذ المسلسـل وقـع كبيـر لـدى الـرأي العـام، وبخاصـة أنـه جـاء بعـد العثـور علـى المقابـر الجماعيـة لضحايـا الطاعـون فـي منطقة شـرق فـي مطلـع هـذا القـرن. رسـم المؤلـف فـي روايتـه صـورة دقيقـة للأوضاع الاجتماعيـة والإنسـانية للكويتييـن فـي النصـف الأول مـن القـرن التاسـع عشـر، وقـال الكاتـب: "إن هـذا البلـد الطيـب لـم يكـن يومـاً بلـد الصدفة أو بلـد البتـرول.. بـل كان بلـداً كافـح ليعيـش.. وقـاوم ليبقـى.. رغـم الفقر والجـوع.. والأوبئـة والحـروب..".

وفـي الفتـرة التاليـة، ظهـرت فـي الكويـت بعـض حـالات الطاعـون فـي

1- محمد معيض عبد الله العازمي، مرجع سابق، ص130.

عامي 1841 و1852، ولكنها لم تصل إلى درجة الوباء.

وفي عهد الشيخ صباح، انتشر وباء الكوليرا في الجزيرة العربية، ووصل الكويت عام 1865. أصاب الوباء قرية الجهراء وكان من ضحاياه أفراداً من قبيلتي مطير وبني خالد، وسلمت منه مدينة الكويت. انتشر الوباء مرة أخرى في عام 1871 في عهد الشيخ عبد الله بن صباح الحاكم الخامس للكويت، وبلغ مدينة الكويت، ولا توجد معلومات مدققة عن حجم ضحاياه.

خامساً- الشعر والشعراء

ظل الشعر هو الإبداع الأدبي الأثير لدى العرب من عهود بعيدة، وحرص الحكام والأمراء على أن يقربوا إليهم الشعراء ويغدقوا عليهم بالمال والهدايا حتى يكتبوا في فضائلهم ومزاياهم.

في عهد الشيخ جابر، اشتهر الشاعر محمد بن حمد بن لعبون[1]، وهو من مواليد بلدة ثادق بوسط منطقة المحمل في نجد عام 1790م، ونشأ في بيت علم وثقافة فقد كان أبوه أديباً ومؤرخاً، وتعلم مبكراً أصول الصرف والنحو وقواعد اللغة العربية، وبرع في الخط وحفظ القرآن الكريم. وقرأ دواوين كبار الشعراء العرب وأمهات الكتب في الأدب والتاريخ، فبدأ في نظم الشعر. وفي سن السابعة عشرة أي عام 1807، شدَّ الرحال إلى مدينة الزبير، حيث أقام بها عدة سنوات انتقل بعدها للإقامة في الكويت، فوجد أن شهرته قد سبقته واستقبله أعيان الكويت وتجارها بالترحيب والتكريم. وأقام علاقات صداقة ومراسلات مع عدد منهم مثل التاجر الشهير يوسف البدر، والشيخ عبد الجليل

1-وهو محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي العنزي.

الطبطبائي، وتوفي بها عام 1831م بمرض الطاعون، ودفن فيها.

كان ابن لعبون مجدداً في أشعاره، واتسم أسلوبه بمزيج فريد ومبتكر بين لهجة أهالي نجد ولهجة أهل الساحل، ولذلك لاقت أشعاره قبولاً واسعاً بين الناس، وأسماه معاصروه «بأمير شعراء النبط». ويعتبر مؤسس الفنون الشعبية في الكويت، والذي سار على خطاه الشاعر عبدالله الفرج (1838 - 1901).

من قصائده الشهيرة «يا علي صوّت بالصوت الرفيع»، وقصيدة "ياذا الحمام اللي لعي بغصون"، وقصيدة "سقى صوب الحيا"، ومن ألحان السامري «غزال مرّ امسيّان».

وكانت له قصيدة شهيرة في مدح الشيخ جابر قال فيها:

وان طعتني عن ذا السباع المظاهير

عندك (أخو مـــريم) تصلفط بداره

أبو صبـــاحٍ ريف ركـــبٍ معابير

هو زبـــن مضيومٍ جلا عـــن دياره

جابر لنا ســـدرة، وحنا عصافير

لا ضيم عصفورٍ لجـــا في جواره

يســـتاهل البيضا بروس المقاصير

وأولاده اللـــي كل منهـــم نعاره

وكما نبغ ابن لعبون في نظم الشعر النبطي، برزت أصالته وجزالة لغته وألفاظه في نظم الشعر العربي الفصيح. والتزم بالقواعد الفنية والصياغية لفحول الشعراء العرب القدامى فكان يبدأ "قصائده كما

بدأهـا الأوائـل بالنسـيب والغـزل، ويعـرج علـى ذكـر الركائـب والظعائـن، ويصـف مـا تمـر بـه القفار والفلـوات والبلـدان، وكأني به يهيئ السـامع له ويحفـزه لسـماع مـا يريـد قولـه، ومتـى مـا تـم لـه ذلـك وضمـن التعاطف والاستحسـان والثنـاء، خلـص إلـى مـراده من القصيدة بسلاسـة، ثـم ختمها فـي معظـم الأحيـان بحمـد الله والثنـاء عليه والصلاة والسـلام على رسـوله صلـى اللـه عليه وسـلم"[1].

وكانـت لقصائـده بصمات على مسـيرة الشـعر في الكويت تم تسـجيلها وتحليلهـا فـي الملتقـى الـذي نظمتـه مؤسسـة جائـزة عبـد العزيـز سـعود البابطيـن للإبـداع الشـعري فـي الكويت عـام 1997 [2].

وقـام ابـن لعبـون أيضـاً بصياغة ألحان السـامري وجـدد فيها، والسـامري هـو فـن غنائـي شـعبي قديـم مـن الشـعر النبطـي انتشـر فـي مناطـق الجزيـرة العربيـة والخليـج. وفـي النصـف الثانـي من القـرن الثامن عشـر، وضـع الشـاعر محسـن بـن عثمـان الهزانـي ألحـان هـذا الفـن، ثـم قـام محمـد بن لعبـون بصياغتها فيما يعرف بألحان السـامري أو «اللعبونيات»، أو «الغنـاء الركبانـي»، ومـن أهم ألحانـه «والله ياعوني ياللـه ياوالي الفرج يـا عونـي» و«علـى يودان يا طير سـلم لي علـى اللي مـورس الذرعان»[3].

1- عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون، أمير شعراء النبط محمد بن لعبون 1205 - 1247هـ سيرته ودراسة في شعره (الكويت: دار ابن لعبون للنشر والتوزيع، 1997) ص 31.

2- صدرت بهذه المناسبة طبعة من ديوان أشعار ابن لعبون أعدها د.عبد العزيز بن عبد الله بن لعبون، وطبعة أخرى من إعداد الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. حسن العنزي، أيام الزبير وذكريات الزمن الجميل، مرجع سابق، ص ص 288، 292 .

3- خالد سالم محمد، شعراء الفن والسامري في الكويت (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف2002) ص ص 11 - 17. ويوسف فرحان دوخي، الأغاني الكويتية (الدوحة: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، 1984) ص 45 - 46.

ومـن الشـخصيات التـي أثـرت علـى تطـور الحيـاة الأدبية والشـعرية في الكويـت فـي هذه الفترة الشـيخ عبد الجليـل الطبطبائي -الذي أشـرنا إليه مـن قبـل كأحـد علمـاء الديـن البارزيـن- فقـد نظم الشـعر، وكان لشـعره تأثيـر مهـم فـي تطويـر الحيـاة الأدبيـة والخـروج بالشـعر مـن دائـرة الجمود الـذي غلفتـه «ألـوان الصنعـة البديعية»، وانحصـاره في «موضوعـات تقليدية وأفـكار مكررة»[1].

فقد قام الشـيخ بإحياء تقاليد الشـعر العربي القديم، وكان الشـاعر العظيم المتنبـي مثلـه الأعلـى، فجـاءت قصائـده علـى منوالـه ودربـه، وجُمعت هذه القصائـد وتمـت طباعتهـا فـي كتـاب بعنـوان "روض الخـل والخليـل ديـوان السـيد عبـد الجليـل"، فـكان الأسـاس لمرحلـة جديـدة مـن تطـور الشـعر في الكويـت وسـائر بلـدان الخليج.

كان الشـيخ فخـوراً بنسـبه الشـريف الـذي أعلـى مـن مكانتـه فـي مجالـس المجتمـع. فكتـب:

علـى أننـي مـن معشـر قـد تسـنموا

ذرا العـز فـي أكنـافهـم وترأســـوا

أبـى الضيـم منهـم كـل قـرم سـميـدع

لهـم كـل وال لان مـن جيشـهـم قسـوا[2]

ومـزج فـي شـعره بيـن افتخـاره بهـذا النسـب واعتـزازه بانتمائـه العربـي،

1- علي عبدالخالق علي، "أثر عبدالجليل الطبطبائي في نهضة الشعر بالخليج العربي 1190 - 1270هـ/ 1776 - 1853م"، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة المنوفية (مصر)، العدد 14، (1414 - 1994) ، ص 57 - 58.

2- عبدالجليل بن ياسين بن إبراهيم الطبطبائي الحسني الهاشمي الشافعي (1190 - 1270)، القول الحسن فيما يُستقبح وعما يُسن، مرجع سابق، ص 11.

فكتب:

فسل ربيعة ســـل كعباً ومنتفقا

عنهم تجد فضلهم يسمو على الزهر

توارثوا المجد عن (طه) الرسول وعن

أبي تـــراب وعن فهـــرٍ وعن مضر[1]

1- علي عبد الخالق علي، مرجع سابق، ص59.

المبحث الرابع

تطور علاقات الكويت مع نجد والبحرين

ارتبطت الكويت بعلاقة اسمية مع الدولة العثمانية، تعبيراً عن الصلة الدينية التي جمعت السلطنة بأغلب البلاد العربية، ولكن تلك الصلة لم تتحول أبداً إلى وجود إداري أو عسكري للعثمانيين فيها. وتطورت العلاقات بين الكويت والدولة العثمانية من خلال صلاتها بعدة أطراف: أولها والي بغداد الذي كانت البصرة، وهي أقرب مدينة خاضعة للعثمانيين إلى الكويت، تحت إدارته. وفي عهد الشيخ جابر، كان يتولى هذا المنصب داوود باشا الذي تربع على كرسي الولاية 1816، وخلفه علي رضا الذي أطاح به في عام 1831 بناء على أوامر الباب العالي. وثانيها متسلم البصرة الذي كان يعتبر مندوباً أو ممثلاً لوالي بغداد في المدينة. وثالثها محمد خورشيد باشا قائد جيش محمد علي والي مصر الذي سيطر في النصف الأول من القرن التاسع عشر على أجزاء كبيرة من نجد إبان حربه مع الوهابيين. وكانت المشكلة في إدارة العلاقات مع تلك الأطراف أنها كلها دانت اسمياً ونظرياً بالولاء للسلطان والدولة العثمانية، بينما مارست في الواقع سياسات مستقلة أو خاصة بها.

وقد أدى ذلك إلى وضع الشيخ جابر في موقف دقيق، فقد كان عليه أن يتبين من هو الطرف الذي يمثل السلطنة العثمانية، إذا كان يرغب في إرضائها، ولكن الأهم من ذلك أنه كان عليه تقدير توازن القوى بين تلك الأطراف وأن يتخذ موقفه بما يحافظ على استقرار الكويت وأمنها،

ولـم يكـن ذلـك بالأمـر السـهل فـي وقـت لـم تكـن فيـه وسـائل اتصـالات حديثـة، وكانـت الأخبـار والمعلومـات تأخـذ وقـت طويـلاً لكـي تنتقل من مـكان لآخر.

فـي هـذا الوقـت، كانـت الكويـت فـي الربـع الأخيـر مـن القـرن الثامـن عشـر قـد أقامت قوة بحرية ذات شـأن اسـتخدمها شـيخ الكويـت في أكثر مـن مناسـبة لحمايـة مصالـح بلـده وأهلهـا، وطلبـت الدولـة العثمانية من الشـيخ دعـم هـذه القـوة لهـا في عـدد من المناسـبات، واسـتجاب الشـيخ جابـر لهـذه الطلبـات احتراماً منـه لمكانـة الدولـة كرمـز للإسـلام ووحـدة المسـلمين. وفـي هـذا السـياق، رفعـت السـفن الكويتيـة العلـم العثماني لأنـه رمـز دولـة الخلافة، ولحماية أمنها وسـلامتها فـي البحر، ولأنهـا أعفتها مـن الرسـوم الجمركيـة فـي الموانـئ العثمانيـة. أضـف إلـى ذلـك أنـه لـم يكـن هنـاك اعتـراف دولي بالرايـات المحلية، ولذلك فقد كان أمام السـفن الكويتيـة إمـا أن ترفع العلـم العثماني أو علم دولـة أوروبية أخرى[1]. وأدت هـذه السياسـة إلى مكاسـب اقتصاديـة، فمنحـت الدولة العثمانية للشـيخ دعمـاً ماليـاً وكميـات مـن التمـور فـي أعقـاب اسـتجابته لطلبهـا بحمايـة مينـاء البصـرة، كمـا منحتـه أراضـي في جنـوب العـراق العثماني. واسـتمر نجلـه الشـيخ صبـاح الثانـي علـى نفـس النهـج، فمنحتـه الدولـة العثمانية وسـاماً رفيعـاً «قابجي باشـي» عـام 1863 [2].

ويتنـاول هـذا المبحث تطور علاقات الكويت مـع كل من نجد والبحرين خـلال فترة حكم الشـيخين جابر وصباح.

1- في عام 1863، تخلت السفن الكويتية عن رفع العلم العثماني ورفعت رايات دول أوروبية وذلك بسبب المعاملة السيئة التي واجهتها في الموانئ الهندية الخاضعة للسلطة البريطانية.

2- مخلد المطيري، مرجع سابق، ص ص 134 - 135، وص 137.

أولاً- نجد

في نهاية القرن الثامن عشر، تأثرت الكويت بصعود الحركة الوهابية التي امتد نفوذها إلى سواحل البحر الأحمر غرباً ومشارف الكويت شرقاً، ووصلت قواتها إلى حدود مدينة كربلاء جنوب غرب العاصمة بغداد. وفي عامي 1792 - 1793، حاول الوهابيون اقتحام الكويت ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك. ويُرجع بعض الباحثين السبب المباشر لهذه الحملة إلى موافقة الشيخ عبد الله الأول، والد الشيخ جابر، على لجوء زيد بن عريعر إلى الكويت وهو خصم آل سعود الذي حرض أهالي الأحساء على الثورة ضد حكمهم. ويضيف لوريمر أن حملات الوهابيين ضد الكويت تكررت في العامين التاليين، وكان أكثرها خطورةً هجوم 1795، ولكنها لم تحقق أهدافها أيضاً[1].

فمع ظهور الدعوة الوهابية والتحالف الذي تم بين محمد بن سعود أمير منطقة الدرعية والشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية عام 1747، والذي أسماه أمين الريحاني «ائتلاف بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير»، وكان نقطة تحول كبرى في تاريخ شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج.. انتشرت الدعوة ومعها سلطة آل سعود، وتأسست الدولة السعودية الأولى (1744 - 1818) التي امتد نفوذها إلى أغلب أنحاء شبه الجزيرة العربية، وفرضت على شيوخ وأمراء تلك المناطق دفع الزكاة لآل سعود والدعاء لإمامهم على منابر المساجد. أما بالنسبة للكويت، فلم يكن للأفكار المتشددة جاذبية لدى أهلها، وقام الكويتيون بصد محاولات مد النفوذ الوهابي على بلادهم، ولم تدفع

1- عبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص24.

الكويـت الـزكاة قـط للوهابيين.

وعندمـا شـعرت السـلطات العثمانيـة بخطـورة امتـداد نفـوذ الدولـة السـعودية الأولـى وعجزهـا عـن وقفـه، طلبـت مـن محمـد علـي باشـا إخمـاد هـذه الحركـة التـي اعتبرتهـا خروجـاً عـن السـلطنة، فأرسـل ابنـه أحمـد طوسـون علـى رأس حملـة عسـكرية عـام 1811 اسـتطاعت هزيمة الوهابييـن والسـيطرة على المدينـة المنورة ومكة والطائف، ولكن بسـبب تفشـي الأمـراض بين أفراد الحملـة ونقص المؤن والذخائر، طلب طوسـون باشـا دعمـاً إضافيـاً، وقـرر محمـد علـي التوجـه بنفسـه لتقديـر الموقـف.

فـي هـذه الأثنـاء، توفـي الأميـر محمـد بن سـعود فـي 27 أبريـل 1814، وخلفـه ابنـه عبـد الله، الـذي انهزمت قواته أمـام جيش محمـد علي، وفي أعقـاب ذلـك قـرر محمـد علـي العودة إلـى القاهرة وإرسـال ابنـه إبراهيم باشـا لاقتحـام الدرعيـة عاصمـة الوهابييـن عـام 1818، وبعـد صدامـات عنيفـة نجـح فـي حصارهـا وقطـع خطـوط الإمـداد عنهـا، فاضطـر الأميـر عبدالله إلـى تسـليم المدينـة، وتـم أسـره. فعـاد إبراهيـم باشـا إلـى مصر وتـرك المناطـق التـي تمـت السـيطرة عليهـا تحت حُكـم الأمـراء المحليين مـع وجـود لحاميـات عسـكرية، وانتهـت الدولـة السـعودية الأولى.

تشـير بعـض المصـادر إلـى تغيـر موقـف شـيخ الكويـت خـلال هـذه الفتـرة، ففـي بدايـة هجـوم جيـش إبراهيـم باشـا أبـدت الكويـت تعاطفها مـع الدولـة السـعودية، فقدمـت لهـا مسـاعدات عـن طريـق البحـر، ممـا أدى إلـى تدخـل والـي بغـداد داوود باشـا لمنعهـا، وكتـب إلـى رحمـة ابن جابـر شـيخ الجلاهمـة بالكويـت عدة رسـائل حملـت معاني التهديـد تارة والترغيـب تـارة أخـرى، وأجبـره فـي عـام 1818 علـى الخـروج بحـراً إلـى

الأحساء بجيش كبير لدعم بني خالد في استعادة السيطرة عليها من الدولة السعودية. ويبدو أن الشيخ جابر رأى أنه لا مصلحة له في استعداء الدولة العثمانية، وخلال فترة حصار الدرعية وافق على مرور القوافل التي حملت المؤن والذخائر القادمة من بغداد والبصرة لتلبية احتياجات جيش إبراهيم باشا عبر الكويت، كما كانت بعض تلك المؤن تشترى من أسواقها[1].

ويُشير المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي إلى أنه خلال فترة وجود إبراهيم باشا على رأس القوات المصرية (1816 - 1818)، أرسل خطاباً إلى الشيخ جابر يطلب منه استقبال ممثل له في الكويت تكون مهمته تسهيل مرور القوافل أو السفن المصرية، واستجاب الشيخ وأحاط المندوب بمظاهر الحفاوة والتكريم[2]. وجدير بالذكر، أن كُتب المؤرخين الكويتيين والباحثين الأجانب لا تُشير إلى تلك الواقعة.

تجدد القتال مرة ثانية مع قيام الأمير تركي ونجله فيصل باستعادة السيطرة على أجزاء كبيرة من نجد وشرق الجزيرة العربية والأحساء والقطيف، وقيام الدولة السعودية الثانية في 1824، فأرسل محمد علي من تلقاء نفسه حملة عسكرية بقيادة إسماعيل بك آغا لمنازلة الدولة الجديدة، ولكنها لم تحقق هدفها، فأرسل حملة أخرى بقيادة محمد خورشيد باشا في 1838، وكان لهذا القائد خبرة عسكرية سابقة في الحجاز ونجد، وكان حاكماً على المدينة المنورة.

1- مخلد المطيري، مرجع سابق، ص107، يذكر المؤلف في ص109، أن بعض القوافل التي قدمت من بغداد والبصرة كان مصدرها السلطات العثمانية وبعضها الآخر من أهالي نجد الذين هربوا من الحكم الوهابي ولجؤوا إلى البصرة والزبير.

2- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر – عصر محمد علي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 2000) ص ص 153 - 154.

تكشف مراسلات قائد الحملة خورشيد باشا مع محمد علي والي مصر عن العلاقات التي أقامها مع عدد من شيوخ القبائل، ففي رسالة له بتاريخ 2 يوليو 1838 ذكر أنه "يتعاون مع عدد من مشايخ القرى ممن جربنا صدقهم وإخلاصهم"، وأنه طلب منهم "أن يتجسسوا الطريق الموصل إلى موضع إقامة فيصل (الإشارة إلى الأمير فيصل بن تركي) حتى إذا وجدوا من يسافر إليه بكتاب أو أخبار قبضوا عليه وأرسلوه إليّ، وبناء على ذلك فقد قبض أحمد سديري أمير سدير على رجل يذهب إلى فيصل»، ومعه رسالة من عبدالله بن الفداغ من أهالي الكويت[1]. وأضاف خورشيد باشا أن الرسالة تضمنت أخباراً عن تحركات علي باشا والي بغداد، ويضيف أن الباشا أرسل لفيصل رسالة وأنه من الضروري الرد عليها حتى يرسل له الوالي فرمانات وبلاغات من الباب العالي لكي تقرأ على أهالي البادية والحضر تهاجم تصرفات والي مصر الخارجة عن أوامر الباب العالي. ويشير في نهاية الرسالة إلى هدايا من الملابس مرسلة من بغداد إلى فيصل بن تركي.

كما توضح تلك المراسلات تقدير خورشيد باشا لإمكانية إنجاز المهمة المكلف بها، واعتقاده بأن الإنجليز ليس باستطاعتهم وقف تقدم التحرك لأن المصريين "سادة البر"[2]، وأنه تطلع لمد نفوذه إلى البصرة، وكانت له مصادر أخبار من داخلها، كان منهم شخص يدعى حمود بن جسار [3].

احتلت الكويت في تقدير خورشيد باشا أهمية خاصة بحكم موقعها

1-نص الرسالة في أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 183.

2- رسالة خورشيد باشا إلى محمد علي بتاريخ أول رجب 1255 / 10 سبتمبر 1839 في المرجع السابق ص 181.

3- رسالة خورشيد باشا إلى محمد علي بتاريخ 27 جمادى الثانية 1255 هـ 28 أغسطس 1839م، في نفس المصدر.

المتوسط بين الأحساء وبغداد، وانتساب أغلب سكانها إلى قبائل نجدية والارتباطات العائلية بين أهلها وسكان الزبير والبصرة، إضافة إلى أنها كانت مركزاً تجارياً مهماً، وازدادت أهميتها مع القيود التي فرضتها السلطات الإيرانية في بوشهر، والعثمانية في بغداد والبصرة أمام شراء الغلال من أسواقها، ونتيجة لذلك طلب خورشيد باشا في إحدى رسائله من والي مصر التدخل لدى القنصل البريطاني في بوشهر لتسهيل مهمة شراء المؤن من الأسواق الإيرانية ومومباي.

وتشير مراسلاته إلى أن الكويت قامت بدور مهم في تموين القوات المصرية المرابطة في نجد والأحساء، وتوفير السلع والمواد الغذائية اللازمة لهم براً على ظهور الخيل والإبل وبحراً بواسطة سفنها[1].

ويدل على الدور المهم الذي قامت به أسواق الكويت في هذه الفترة، أن خورشيد باشا قام بتعيين الملازم محمد رفعت أفندي ممثلاً له في الكويت[2]، وكانت مهمته توفير المؤن والغلال و"الجبخانة" أي الذخائر اللازمة للبنادق والمدافع، وكذلك الشعير لإطعام الخيول. ولأداء هذه المهمة، أقام المندوب المصري علاقات مع الشيخ جابر وتجار الكويت، واعتمد عليه خورشيد باشا للحصول على أصناف بعينها من الغلال. ويُشير خطابه إلى محمد علي باشا المؤرخ في 10 سبتمبر 1839 أن سفينة كويتية من نوع البغلة حملت نحو 300 وكسور قمحاً وشعيراً، وحضر لنا جواب من جابر ابن صباح ومحمد أفندي.

1- نفس المصدر، ص 182.

2- كان محمد رفعت محل ثقة من خورشيد باشا قائد جيوش محمد علي في الجزيرة العربية. فإضافة إلى مهمته في الكويت، أرسله إلى البحرين لتوقيع اتفاقية مع شيخها كما سوف يرد فيما بعد، كما أرسله في يناير 1839 على رأس قوة عسكرية إلى الأحساء لحفظ الأمن والاستقرار في قرى السدير.

وربما تضمنت مهمة محمد رفعت أفندي جمع الأخبار عن أحوال البصرة، ومدى استقرار الحكم فيها، فقد تردد وقتها أن خورشيد باشا تطلع للسيطرة على العراق العثماني، وكان هذا هو التفسير الذي تبناه لوريمر الذي أشار إلى إقامة «وكالة سياسية مصرية ربما كانت كموقع أمامي باتجاه العراق التركي. وسرعان ما كشفت أعمال قائد القوات المصرية في نجد أن هدفه كان إخضاع البحرين والإمارات المتصالحة وسلطنة وعمان جميعاً وجعلهم تابعين لمصر».[1]

استقبل الشيخ جابر مبعوث خورشيد باشا بكل احترام وتقدير فحرص أن يجلسه في صدر مجلسه إلى جواره مُباشرة[2]، مما أثار هواجس البريطانيين فسعوا للتحري عما يقوم به هذا المبعوث في الكويت، كما سوف نشرحه في المبحث السادس. وتعددت مظاهر دعم الكويت وشيخها لقوات خورشيد باشا، فقدم الشيخ جابر قرضاً مالياً له بعد أن تأخر وصول الأموال اللازمة لشراء المؤن من القاهرة.

ووافق على نقل الجنود المنشقين عن السلطات العثمانية في البصرة، ففي مايو 1839، لجأ مجموعة من ضباط وجنود الحامية العثمانية في البصرة بقيادة محمود آغا المور دي إلى الكويت ورغبوا في الانضمام إلى جيش خورشيد باشا. وبالفعل تم نقلهم على متن سفن استؤجرت من القطيف. وذلك رغم طلب متسلم البصرة من الشيخ جابر القبض عليهم وتسليمهم. كما رفض الشيخ وساطة مدير الوكالة البريطانية في البصرة

1- ج ج لوريمر، دليل الخليج 7 أجزاء، طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، د.ت ، الجزء الرابع ص 191.

2- Saeed Amr M. Al-Amr Al-Beeshl, The social and political History of the Western Coast of the Gulf, 1207-1256/1793-1840, PHD thesis submitted to University of Manchester, 1994. P279.

والـذي طلبـت السـلطات العثمانيـة منـه التدخـل لإعـادة الجنـود الهاربيـن.

وحسـب التقرير الذي كتبه المور دي إلى خورشـيد باشـا بشـأن ما حدث فإنـه «جـاء خطـاب مع رجـل مخصـوص لابن صبـاح أمير الكويـت، يطلب القبـض علينـا وإعادتنـا إلـى البصرة، فلـم يعبأ بذلـك الكتاب، وأجـاب بأنه غيـر قـادر علـى القبـض علينـا وإرسـالنا بالإجبـار، ثـم إن الأميـر المرمـوق أركبنـا أنـا ومحمـد أفنـدي والعسـكر الذين معنـا فوصلنا إلى الأحسـاء».

وهنـا يبـدو ذكاء الشـيخ جابـر وحنكتـه، فنتيجـة لرغبتـه فـي عـدم الاصطـدام المباشـر بالدولـة العثمانيـة، اتفـق مـع محمـد رفعـت أفنـدي علـى أن يتـم نقـل هـؤلاء الجنـود سـراً.

وقامـت السـفن الكويتيـة فـي عام 1839 بنقل شـحنة سـلاح وذخائر من ميناء الحديـدة باليمن إلـى ميناء القطيف بالأحسـاء[1].

ولابـد أن يتوقـف المـرء أمـام مـا قـام بـه خورشـيد باشـا فـي بدايـة عام 1839، عندمـا أرسـل ممثلـه المـلازم محمـد رفعـت إلـى البحريـن فـي 7 مايـو، وطلـب اعتـراف شـيخها بسـيادة محمـد على عليهـا، وإبـرام اتفاقية بهـذا الشـأن مـع الشـيخ عبدالله بـن أحمـد بـن محمـد آل خليفـة حاكـم البحريـن، ونـص الاتفـاق علـى دعـم حكومـة محمـد علـي للشـيخ فـي حكـم جـزر البحريـن، مقابـل دفـع الـزكاة التـي قـدرت بمبلغ ألفـي روبية سـنوياً، وأن تقـدم البحريـن بعـض السـفن لمسـاعدة قوات خورشـيد باشـا فـي الانتقـال إلـى سـاحل عمـان إذا تطلبـت الحاجـة ذلك، واشـترط شـيخ البحريـن أن تبقـى كل سـلطة الحكم بين يديـه وأن لا تقوم حكومة محمد

1- مخلد المطيري، مرجع سابق، ص ص 113 - 114.

علـي بإرسـال وكيـل أو منـدوب لهـا إلى بـلاده[1].

وهنـا لا بـد أن نطرح سـؤالاً: لماذا لم يتخذ خورشـيد باشـا موقفـاً مماثلاً تجـاه الكويـت؟ الأرجـح أنـه أدرك اسـتقلال شـيخ الكويـت، وأنـه لـم يكن تابعـاً للنفـوذ العثمانـي أو الوهابـي أو البريطانـي، ومن ثم فلـم يكن لديه مبـرر لهـذا الطلـب[2]. وهذا خـلافٌ لوضـع البحرين التي وقعـت اتفاقية مع الحكومـة البريطانية.

وهكـذا ظلـت العلاقـة بين الشـيخ جابر وخورشـيد باشـا ذات طابع ودي تأسسـت علـى تبـادل المنافـع بيـن الطرفيـن، فوجـد خورشـيد باشـا فـي الكويـت مصـدراً لمـا تحتـاج إليـه قواتـه مـن مـؤن وغلال وسـلاح.

وكمـا أشـرت مـن قبـل في هـذا الكتـاب، فقـد كان الشـيخ جابـر حريصاً علـى اسـتقلال الكويـت، فتبنـى سياسـة تـوازن بيـن الأطـراف المتصارعـة فـي شـبه الجزيـرة العربيـة والخليـج، وأبرزهـا الدولـة السـعودية والخلافة العثمانيـة وجيـش محمـد علـي، وأدار علاقاته مع تلك الأطـراف الثلاثة بما يتسـق ومصالـح بلاده.

يـدل علـى ذلـك، أنـه فـي الوقـت الـذي كانـت لـه علاقـات ومصالح مع الإنجليـز وخورشـيد باشـا فإنـه حافـظ أيضـاً علـى العلاقـات الوديـة مـع الدولـة السـعودية الثانيـة. ومـن أمثلة ذلك أنـه في عـام 1831، عندما نزل الأميـر تركـي بـن عبد الله آل سـعود على مـاء الصبيحية فـي الكويت أثناء تعقبـه مجموعـة مـن آل سـبيع، وأقـام بهـا قرابـة أربعيـن يومـاً، فقـد قـام الشـيخ جابـر بإرسـال هدايـا تحية له، وفي أعقـاب ذلك، غـادر الأمير تركي

1- المرجع السابق، ص111.

2- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 215.

المكان قاصداً الرياض[1]. تركت هذه الواقعة أثراً طيباً لدى الأمير تُركي ومن بعده نجله الأمير فيصل مما جعلهما حريصين على إقامة علاقات ودية مع الكويت وعدم الدخول في مواجهات معها[2].

واستمرت العلاقات الودية بين الكويت والدولة السعودية الثانية في السنوات التالية لعام 1841، فأرسل الأمير فيصل بن تركي بن عبدالله في 1851 وكيلاً دائماً له في الكويت، وذلك حتى وفاة الشيخ جابر في 1859، وفي سنوات حكم نجله الشيخ صباح حتى 1866.

وإن كان من المهم الإشارة إلى أنه في مارس وأبريل 1860، وقعت معركة «ملح»[3] في منطقة الوفرة بالكويت بين قوات عبدالله بن فيصل آل سعود وقبيلة العجمان، التي كانت قد تمردت على حكم آل سعود في الأحساء ولاحقتها القوات السعودية إلى داخل الكويت، حيث ألحقت بهم هزيمة نكراء، وأكد عبدالله أنه لم يهدف إلى محاربة الكويت أو آل الصباح وإنما محاربة العجمان.[4] وفي أعقاب تلك الهزيمة طلب راكان بن فلاح بن حثلين رئيس العجمان ومعه نفر من أعوانه الحماية من الشيخ صباح، فمنحها إياهم. وأرسل الأمير عبدالله بن فيصل مبعوثاً إلى الشيخ صباح يطلب منه إخراج المتمردين من الكويت وتسليمهم له لأنهم من رعايا آل سعود. فردّ الشيخ بأن هذا الطلب ينافي التقاليد العربية التي تؤكد حسن الجوار وتأمين الخائف، ورفض طلبه، وأنه لن يتم تسليم أي شخص وهم في

1- عبدالله بن خالد الحاتم، مرجع سابق، ص 331.

2- Saeed Amr M. Al-Amr Al-Beeshl, OPCIT, PP 224-225.

3- ملح هي واحة في جنوب غرب مدينة الكويت فيها آبار مياه عذبة، وكانت على طريق القوافل من نجد قاصدة الكويت والزبير والبصرة.

4- عبدالمالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص 25.

حمايـة آل الصبـاح. وتأكيـداً لحيـاده، أعلـن لـكل النجدييـن المقيميـن في الكويـت أنهم يسـتطيعون مغـادرة الكويـت والالتحاق بجيـش عبدالله إذا رغبـوا فـي ذلـك. وعندمـا وصلت هـذه الأخبار إلـى الأمير فيصـل بن تركي أبـدى أسـفه عمـا قـام بـه ابنـه، وأرسـل مبعوثـاً إلى الشـيخ صبـاح لإبلاغه هـذا المعنى.

وفـي العـام التالـي، تكـررت المواجهـة بيـن آل سـعود والعجمـان علـى أرض الكويـت، فنتيجـة لقيـام العجمـان بالتعـاون مـع قبائـل المنتفـق بتهديـد المصالـح السـعودية فـي المنطقـة مـا بيـن الأحسـاء ونجد، أرسـل الأميـر فيصـل جيشـاً بقيـاده ابنـه عبدالله، حاصرهم فـي منطقـة الجهراء، ودارت معركـة انتهـت بهزيمـة ماحقـة أخـرى للعجمـان، اضطـروا خلالهـا إلـى التراجـع نحو شـاطئ البحر وغرق منهـم عدد كبير بلـغ حوالي 1500، وسـميت هـذه المعركـة بوقعـة «الطبعـة».[1]

ثانياً- البحرين

ربطـت الكويـت والبحريـن صـلات وثيقـة كان مـن أهمهـا صلـة القرابـة التـي تربـط بيـن الأسـرتين الحاكمتيـن فـي البلديـن وهُمـا: آل صبـاح وآل خليفـة. ومـن الشـواهد الدالـة علـى ذلـك مـا حـدث عندمـا تعرضـت البحريـن فـي عهـد الشـيخ عبدالله بن أحمـد آل خليفـة لضغـوط وهابية لإخضاعهـا وفـرض السـيطرة عليهـا، وتوجهت حملـة عسـكرية تكونت من 60 سـفينة بأعـداد كبيـرة مـن المقاتليـن بقيـادة رحمة بن جابـر الجلهمي ومسـاعدة الشـيخ حسـن أميـر الحويلـة فـي شـبه جزيـرة قطـر والقائـد

1- محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998) ص164 - 165. وعبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص 25.

الوهابي إبراهيم بن عفيصان. وعندما وصلت أنباء هذه الحملة إلى البحرين، طلب شيخ البحرين الدعم من الكويت فاستجاب الشيخ عبدالله، وأرسل قوة عسكرية بقيادة نجله الشيخ جابر، ورافقه الشيخ دعيج بن سلمان الصباح.

وحدثت المواجهة في مارس 1811 في مكان بالقرب من خور حسان شمال غرب قطر بين الزبارة وفريحة، «واقتتلوا قتالاً عظيماً لم يسمع بمثله في الجاهلية ولا في الإسلام، حتى هلك بينهم سواد عظيم، فيما بين القتل بالسيف، والغرق في البحر»[1].

ومن تجليات هذه العلاقة الوثيقة بين الأسرتين ما أورده محمد رفعت أفندي مبعوث خورشيد باشا، الذي سافر إلى البحرين في مايو 1839 لاستجلاء حقيقة ما تردد في الأحساء من أن شيخ البحرين يتعرض لضغوط من «العجم» والإنجليز لتأييدهم. وعندما قابل الشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة حاكم البحرين[2] تم التوافق في الرأي بينهما، وعبر محمد أفندي عن ذلك بقوله: «وقع الصلح بيني وبين عبدالله بن أحمد فصار العهد منه يطابق الوكالة عن سعادة أفندينا خورشيد باشا وعداً لعدوه».

وأضاف الخطاب أنه اتفق معه على أنه «إذا أراد سعادة أفندينا إرسال عساكر إلى جهات مثل عُمان وغيرها، فيلزم منه المساعدة بإرسال المراكب من طرفه لحمولة العسكر، فقال لا بأس»، وأضاف الشيخ عبد

1- المرجع السابق، ص172.

2- جاء في الخطاب الذي رفعه إلى خورشيد باشا النص التالي: «أقول وأنا الفقير إلى الله سبحانه وتعالى، عبده محمد رفعت أفندي، وعاون سر عسكر نجد، ووكيلاً مفوضاً من طرفه، في ربط أمر البحرين مع عبدالله بن أحمد الخليفة، صاحب البحرين».

اللـه أنـه «لـو يريـد أفندينـا المشـي على البصـرة، أو بـر العجـم، أو عمان، أو غيرهـا، فأنـا أسـيّر المراكـب والرجاجيـل التـي عنـدي مـع عسـاكره.. أما الكويـت فـإن أميرهـا الـذي هـو جابـر بـن صبـاح، فإنـه ابـن عمومتنـا، ولا يمكننـا المشـي عليـه بحرب»[1].

وتشـير هـذه العبارة إلى وفاء شـيخ البحرين لأقاربـه من عتوب الكويت، وإلـى تحالـف العتـوب من آل الصبـاح وآل خليفة والجلاهمـة عند نزولهم أرض الكويت واختيارهم الشـيخ صباح الأول رئيسـاً لهم.

وفـي عـام 1840، نشـب صـراع دمـوي على السـلطة بين الشـيخ عبدالله حاكـم البحريـن والشـيخ محمـد بن خليفة وهـو حفيد شـقيقه، فقد تطلع هـذا الشـاب إلـى حكم الإمـارة، ونجح في الاسـتيلاء عليها بعـد ثلاثة أعوام مـن الحـروب التي تدخـل فيها لنصرته المقيـم البريطانـي والقائد الوهابي عبداللـه بن ثنيان وبشـر بـن رحمة.

لـم يكـن الشـيخ جابـر مرتاحاً لنشـوب الصراع بيـن أفـراد آل خليفة، وما وصـل إليـه مـن أخبـار عـن التدميـر والتخريـب الـذي تمارسـه قـوات كل طـرف عنـد اسـتيلائها علـى إحـدى القـرى أو المدن، ومـا انتهى إليـه الأمر مـن إبعـاد الشـيخ عبد الله مـن البحريـن، وكان حريصاً علـى أن لا يتعرض هـذا الرجـل الطاعن في السـن لـلأذى المادي أو المهانـة المعنوية، فانتوى السـفر إلـى البحريـن لمقابلـة الحاكـم الجديـد، وأخبـر المقيـم البريطاني

1- صورة المرفق العربي للوثيقة (137) حمراء. الجرنال المحضر من طرف محمد أفندي. جرنال متضمن بيان الأحوال الصادرة من جهات مادة البحرين وغيرها. بتاريخ غاية صفر 1255هـ/ 14 مايو 1839م، دار الوثائق القومية – القاهرة، محفظة 267 عابدين. الوثيقة منشورة في خزانة التواريخ النجدية، مرجع سابق، ص 40، ومقال بعنوان "الأحساء والقطيف ونجد في وثائق مصرية" ، مجلة الواحة، بيروت، العدد 5، سبتمبر 2008، البحث متاح إلكترونياً على موقع المجلة، ولا يحمل أرقام صفحات.

برغبته، فشجعه على ذلك، ونصحه بأن يوضح للشيخ محمد أن الهدف من زيارته هو تسوية ذات البين، وليس إعادة الشيخ عبدالله إلى الحكم.

وفي أغسطس 1843، أبحر الشيخ جابر إلى البحرين تصاحبه ثماني سفن كويتية، والتقى الشيخ محمد الذي أبدى تقديره لمبادرة شيخ الكويت، وأعرب عن استعداده لمقابلة الشيخ عبد الله والصلح معه على أساس بقاء الأمور على ما هي عليه. وعندما علم الشيخ عبد الله الذي كان يقيم في الدمام بهذا الاتفاق، رفض فكرة اللقاء واعتبر أنه مازال الحاكم الشرعي للبحرين، كما رفض دعوة الشيخ جابر للقدوم إلى الكويت والإقامة فيها كضيف[1]، وبدلاً من ذلك، سافر إلى بوشهر لطلب الدعم من فارس، ولكنه فشل في ذلك.

أدى سلوك الشيخ عبد الله وسعيه لاستعادة حكم البحرين بالقوة إلى خسارة حلفائه في نجد والكويت، فقام بعمل تحالفات جديدة مع الشيخ سُلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة والشيخ مكتوم بن بطي حاكم دبي. وفي نفس الوقت، قام الشيخ محمد بإقامة تحالفات مع الشيخ خليفة بن شخبوط آل نهيان حاكم أبوظبي والشيخ عبدالله بن راشد المعلا حاكم أم القوين، ودعاهما إلى الاجتماع في جزيرة قيس العربية. لم ترض السلطات البريطانية عن هذه التطورات وخشيت من تأثيرها على الأمن البحري في الخليج، وأبلغت الشيخ عبد الله

1- Abdulaziz Mohamed Hasan Ali Al Khalifa, Relentless warrior and shrewd tactician: Shaikh Abdullah bin Ahmed of Bahrain1795-1849, PHD thesis submitted to University of Exeter, 2013.p.204.

بانزعاجها من رفضه مقترحات الشيخ جابر[1].

أصبح هدف الشيخ محمد هو إخراج الشيخ عبدالله من الدمام، فحاصرتها قواته من ناحية وقوات الأمير فيصل بن تركي من ناحية أخرى بدعم سياسي من السلطات البريطانية في الخليج، وأدى الحصار البري والبحري على المدينة إلى تدهور الأوضاع المعيشية والصحية لأهلها الذين عاشوا ظروفاً صعبة لعدم وصول المؤن والطعام إليها.

في هذه الأثناء، حاول الشيخ جابر التخفيف عن أسرة الشيخ عبدالله وأهالي الدمام، فأرسل قاربين يحملان المؤن، ولكن رجال الشيخ محمد رصدوا تحركهما وأوقفوهما في دوحة بلبول[2]. ورغم أن السلطات البريطانية اعتبرت أن موقف الشيخ محمد يتفق مع المعاهدات البحرية المبرمة بين بريطانيا والبحرين وإمارات الساحل المتهادن، فقد حرصت على عدم إغضاب الشيخ جابر، وبخاصة أن الكويت لم تكن طرفاً في تلك المعاهدات، فنصحت شيخ البحرين بالإفراج عن القاربين والسماح لهما بالعودة إلى الكويت.

وعندما بان أن المدينة لم تعد قادرة على تحمل آثار الحصار، وخوفاً من وقوعه في أسر قوات الشيخ محمد، خرج الشيخ عبدالله مع عدد من أعوانه وجنوده من المدينة ولجأ إلى الكويت في 1844، فرحّب به الشيخ جابر.

قلقت السلطات البريطانية لهذا التطور خوفاً من أن يقوم الشيخ عبد الله من استغلال إقامته في الكويت والإعداد لمواجهات أُخرى

1- Ibid,pp.205-207

2- وهي خور طبيعي استخدم لرسو السفن الشراعية على الحدود بين الكويت ونجد.

ضد شيخ البحرين. فكتب المقيم البريطاني إلى الشيخ جابر يطلب منه الحفاظ على السلام البحري وأن لا يُقدم الشيخ عبد الله على ما يهدده. وبالفعل استكان الشيخ عبد الله لفترة، وخلال إقامته، أكرمه الشيخ جابر وأحسن ضيافته وكان يسامره من حين لآخر. ورغم أن الشيخ عبد الله أجاد لعبة الدامة، فقد سجل المؤرخ راشد بن فاضل البنعلي أن الشيخ جابر غلبه في هذه اللعبة[1].

ولكن سُرعان ما عاود الشيخ عبد الله نشاطه رُبما بتشجيع من الأخبار التي وصلته عن الخلاف بين الشيخ محمد وشيخ القطيف، فقام مع أعوانه باعتراض السفن البحرينية من وقت لآخر، مما دفع المقيم البريطاني لإبلاغ الشيخ جابر بضرورة التزام الشيخ عبد الله بما تم الاتفاق عليه وأن يتوقف عن تلك الأفعال، وهو ما التزم به الشيخ عبد الله لحين.

وفي يونيو 1846 تلقى الشيخ دعوة من السلطات الإيرانية للتوجه إلى بوشهر، وأنه سيكون في حماية شاه إيران، وذلك لحين انتظار الفرصة المناسبة لاستعادة حكمه في البحرين. تشكك الشيخ في مرامي هذه الدعوة، ولكنه في نفس الوقت لم يرغب في إغضاب الفرس، فردّ بالاعتذار عن قبول الدعوة في الوقت الراهن بدعوى أن ظروفه لا تسمح بذلك.

وفي شهر سبتمبر من نفس العام، قرر شيخ عبد الله مُغادرة الكويت لكي يعاود سعيه وجهوده لاستعادة الحكم، فسافر إلى جزيرة تاروت

1- راشد بن فاضل البنعلي، مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل (قبيلة آل بن علي) سليم والمعاضيد، تحقيق حسن بن محمد بن علي آل ثاني (الدوحة: بدر للنشر الطبعة الثانية، 2007) ص 75.

بالقُـرب مـن الدمـام. وفي النهايـة، باءت جهوده بالفشـل[1].

ومـن مفارقـات التاريـخ أنـه كمـا توسـط الشـيخ جابـر فـي الخـلاف بين شـيوخ البحريـن، فقـد تكـرر ذلك فـي عهد حفيده الشـيخ عبد اللـه الثاني الـذي تدخـل بـدوره عـام 1868، فـي الخـلاف الذي نشـأ بينهم.

1- Ibid,pp215-215. وأحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث، مرجع سابق، ص ص 240، 242.

المبحث الخامس

تطور العلاقات مع القوى الإقليمية الأخرى

إلى جانب نجد والبحرين، كان للكويت في عهد الشيخين جابر وصباح علاقات متعددة مع جنوب العراق وإمارات الخليج، والتي تنوعت بين التحالف والعداء، وكان لها أبعادها السياسية والعسكرية والتجارية. ويركز هذا المبحث على علاقات الكويت بكل من البصرة، والزبير، والمحمرة، وبوشهر.

أولاً- البصرة

تطورت العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الكويت والبصرة بسبب القرب الجغرافي، وسهولة الانتقال بينهما. فمن الناحية الاقتصادية، امتلكت أُسرة الصباح أراضي وبساتين في البصرة، والتي مثّل دخلها مصدراً رئيسياً لموارد حكام الكويت في الفترة السابقة لظهور النفط. كما كانت هذه البساتين سبباً لأزمة سياسية بين الكويت والسلطات العثمانية بالبصرة في آخر سنوات حكم الشيخ صباح بن جابر عام 1866.

كان أول البساتين التي امتلكتها أُسرة الصباح تلك التي أهداها الشيخ راشد بن ثامر آل سعدون إلى الشيخ جابر، وذلك تقديراً منه لكرم الضيافة الذي حظي به أثناء فترة لجوئه إلى الكويت في أعقاب خلافه مع متسلم البصرة. وشملت تلك البساتين ثلاثة أحواز من النخيل في

منطقة الفاو على شط العرب، وبلغت مساحتها حسب تقرير أعده السير هنري دوبس أحد مسؤولي السلطات البريطانية في البصرة عام 1915، عدد 16800 إيكر (تبلغ مساحة الإيكر حوالي 4000 متر مربع)، وأن قيمتها أكثر من مليون جنيه إسترليني[1].

وفي وقت لاحق، أهدى سليمان بن عبد الرزاق آل زهير مجموعة من البساتين في الصوفية بمنطقة المعامر على شط العرب في عام 1831، وذلك تقديراً منه أيضاً لحسن ضيافة الشيخ جابر أثناء لجوئه إلى الكويت في أعقاب النزاع بين آل زهير وآل ثاقب على حكم مدينة الزبير[2]. وأصبحت تلك الأراضي محل نزاع قضائي في محاكم البصرة في عام 1866، بعد أن ادعى أفراد من أسرة آل زهير أن سليمان تصرف في أراض لم تكن تابعة له، وأنه لم يمتلك سوى جزء من الأراضي التي أهداها للشيخ جابر، ولم يكن وكيلاً عنهم في اتخاذ مثل هذا الإجراء.

في مطلع عام 1866، نشبت أزمة في العلاقات بين الشيخ صباح وقائمقام البصرة سليمان بك. وترجع الأزمة حسبما سجل الوكيل السياسي البريطاني في البصرة و.ب. جونستون في تقرير له بتاريخ 24 أبريل إلى أن القائمقام كتب إلى الشيخ «يطلب منه أن يطرد من أراضيه في الفاو جميع الفلاحين الذين هاجروا من الأراضي الفارسية، وطلب منه أيضاً أن يتخلى عن جزيرة تواجه إقليم الدواسر –تدعى صوفية- وكانت في حوزة آل الصباح منذ 30 عاماً وتطالب بها أسرة

1- يشير مصدر آخر إلى أن هذا الخلاف كان مع ابن أخيه عيسى بن محمد بن ثامر السعدون. في خالد حمود السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي (الإسكندرية: المكتبة الجامعية، 2000) ص93 - 96.

2- الرشيد، مرجع سابق، ص 15. وأحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق ، ص 219.

الزهيـر الآن»[1].

ووفقـاً لنفـس التقريـر، فـإن الشـيخ صباح رد علـى القائمقام بـأن الوقت شـتاء وشـديد البـرودة، وأنـه سيرسـل نجلـه الأكبـر الشـيخ عبـد اللـه إلـى البصـرة عندمـا يعتـدل الجـو. ورد القائمقـام بغضـب علـى مـا اعتبـره مماطلـة وتسـويفاً من الشـيخ صبـاح، فأمر قواته بالاسـتيلاء علـى الجزيرة، وطـرد الفلاحيـن التابعيـن للشـيخ منهـا، وعيـن حاكمـاً محليـاً لهـا. تابعت السـلطات البريطانيـة هـذا الموضـوع متابعـة دقيقة، وقام جونسـتون في بدايـة شـهر أبريـل بزيـارة الكويـت لمتابعـة الموضـوع مـع الشـيخ صباح، الـذي أخبـره بأنه أرسـل بالفعل الشـيخ عبـد الله إلى البصرة، وأنه مسـتعد للسـفر إلـى بغـداد لتأكيـد أحقيـة آل الصباح فـي ملكية هـذه الأراضي إذا "مـا أصبحـت مسـألة الجزيـرة محل شـد وجـذب»[2].

وكان سـبب الأزمـة هـو قيـام عدد مـن آل الزهير -حـكام الزبيـر- بإقامة دعـوى قضائيـة أمام محكمة البصرة ضد الشـيخ صباح ادعـوا فيها ملكيتهم لأراضـي الصوفيـة وهـي إحـدى مقاطعـات النخيـل فـي البصـرة، وأن هذه الملكيـة انتقلـت إليـه بطريقـة غيـر قانونيـة، فيعقـوب آل الزهيـر الـذي بـاع لـم يكـن وكيـلاً عـن بقية أفـراد الأسـرة، ولـم يحصـل علـى موافقتهم. وسـليمان بـك عبـد الـرزاق آل الزهير شـيخ الزبير الذي أهـدى بعض هذه الأراضـي لـم تتوافـر لديـه شـروط «الأهلية» للقيـام بذلك.

وكانـت ملكيـة أراضـي هـذه الجزيـرة قـد انتقلـت مـن ثلاثين عامـاً إلى الشـيخ جابـر الـذي حصـل علـى أجـزاء منهـا عـن طريـق الشـراء وأجـزاء

1- نص الخطاب في فتوح الخترش، ج ج سلدانها، التاريخ السياسي في عهد مبارك الكبير، (الكويت: ذات السلاسل، 1990) ص 16.

2- المرجع السابق، ص 17.

أخـرى عـن طريـق الإهـداء، فقـام بشـراء بعضها مـن يعقوب الزهيـر الذي كان قـد لجـأ إلـى الكويت بعد سـقوط الزبير، أما بالنسـبة للإهداء فسـببه لجـوء بعـض الأعيـان والأثريـاء من الزبير إلى الكويت، وقد أحسـن الشـيخ وفادتهـم، فقامـوا بإهدائـه بعض أراضيهـم تقديراً منهم لـه واعترافاً بفضله مثـل راشـد السـعدون الـذي أهـدى الشـيخ أراضـي فـي منطقـة الفـاو. وسـليمان بـك بـن عبـد الـرزاق آل زهير الذي أهـداه أراضي فـي الصوفية.

وصـل الشـيخ عبدالله إلـى البصـرة، وتختلف المصادر بشـأن مـا حدث، فيذكـر البعـض أنـه حضر أمام المحكمـة التي كانت تنظر دعـوى آل زهير، وعـرض عليهـا الأدلـة والوثائـق التـي تثبـت ملكيـة والـده لتلـك الأراضـي، ولكـن المحكمـة رفضتهـا وأصـدرت حكمهـا لصالـح آل زهيـر، وقـررت مصـادرة الأراضـي لصالحهـم، وإلـزام شـيخ الكويـت بدفع مبلغ مـن المال يسـاوي قيمـة محصـول التمـور لمـدة سـبعة أعـوام للمدعيـن[1]. اعتـرض الشـيخ عبـد اللـه علـى الحكـم، ورفـض توقيـع تعهـد بدفـع المبالـغ التـي قررتهـا المحكمـة تعويضـاً لآل زهيـر، وقـرر اسـتئناف الحكم أمـام محكمة أعلـى ببغـداد، ممـا أثـار غضـب سـليمان بك الـذي هـدد باحتجـازه لحين تنفيـذه للحكم.

ويشـير تقريـر الوكيـل السياسـي جونسـتون فـي رسـالته المشـار إليهـا سـلفاً إلـى روايـة أخـرى، وحسـب تقريـره فـإن الشـيخ عبـد الله لم تسـنح لـه فُرصـة مقابلـة القائمقـام عنـد وصولـه بسـبب وجـود الثانـي خـارج البصـرة، وانتظـر الشـيخ مجـيء القائمقـام «مُتذرعـاً بالصبـر، وفـي اليـوم التالـي لوصـول سـليمان بـك توجـه عبـد اللـه إلـى السـراي، وبعـد جـدال

1- نورية محمد ناصر الصالح، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني 1866 - 1902، (الكويت: ذات السلاسل، 1977) ص 22.

أعلن أن والده صباح لم يفوضه لاتخاذ أي خطوات في مسألة الأرض، وأن الغرض من زيارته هو مجرد معرفة رغبات القائمقام على وجه الدقة وتنفيذها، وذلك فيما يتعلق بمسألة الفلاحين في الفاو. وقد أمره القائمقام بأن يسلم لأسرة الزهير ما يعادل مجموع ما حصل عليه من الجزيرة طوال السنوات السبع الماضية، أي منذ وفاة الشيخ جابر الصباح، وذلك بحجة أنه استولى على المحصول. وعندما قرر عبدالله أنه كان يتصرف كمجرد وكيل لوالده، وأنه كان يسلمه كل شيء بانتظام فور عودته إلى الكويت، نودي على القاضي والمفتي -وكانا حاضرين في مكان قريب- فأصدرا حكماً بأن الشخص الذي تسلم المحصول بالفعل، سواء أكان حاكماً أو وكيلاً، هو المسؤول أمام مالك الأرض عن كل شيء. ثم صدر الأمر لمأمور السجن بإلقاء القبض على عبد الله الصباح حتى تتم تلبية مطلب أسرة الزهير»[1].

وأياً كان الأمر، فالجوهر واحد، وهو انحياز سليمان بك والمسؤولين العثمانيين في البصرة لصالح دعوى آل زهير ضد شيخ الكويت، وأن القائمقام هدد بحبس الشيخ عبدالله لحين امتثال والده للحكم. وحسب تقرير جونستون، فقد تدخل سالم البدر -وكيل الشيخ صباح في البصرة- وهو أحد كبار التجار الكويتيين، وكانت له تجارة واسعة ونفوذ في أوساط البصرة، للحيلولة دون تنفيذ تهديد سليمان بك، فقام بضمان الشيخ عبدالله، فأمر سليمان بك بأن يرسل خطاباً على الفور إلى الشيخ صباح طالباً الموافقة على أن يقوم ابنه بتمثيله تمثيلاً كاملاً. ومنح الشيخ عبدالله مهلة خمسة عشر يوماً لتلبية مطالب أسرة الزهير وإلا تنفيذ حكم السجن.

1- نص التقرير في فتوح الخترش، سلدانها، مرجع سابق، ص 17 - 18.

وحسب تقرير جونستون الذي التقى الشيخ عبدالله في هذه الفترة فإن الشيخ أخبره بأن "والده أعطاه تعليمات مشددة بعدم الموافقة على طرح القضية في البصرة اعتقاداً منه بأن القائمقام منحاز ضده، وأن ما لأسرة الزهير في البصرة من نفوذ كفيل بأن يدفع الجميع للأخذ بوجهة نظرها مهما كانت الأدلة التي تقدم ضدها»[1].

وصف جونستون سلوك المسؤولين في البصرة «بالإجراء التعسفي» و«المعاملة الفظة والمتعالية» التي لم تقتصر على شخص الشيخ عبدالله، وإنما امتدت لتشمل الكويتيين في الشوارع والأسواق، بشكل غير مسبوق، وأنه من المتوقع أن «ينتقم الكويتيون لكل هذه التصرفات إذا ما حانت الفرصة»، وأنه «لابد أن ينتهي مثل هذا العراك إلى كسب الكويت للمزيد من الاستقلال إذا ما خرجت منه ظافرة أكثر من أي وقت مضى، ثم تصبح مصدراً لمتاعب لا يمكن اتهامها بها الآن. أما إذا انهزمت فسوف يفقد الأتراك ميناء حراً صغيراً مزدهراً يمثل وجوده من دون ضمه مباشرة ميزة كبيرة غير مباشرة بالنسبة للدخل، لأنني أجزم بأن سكان الكويت يفضلون أن يهاجروا جميعاً من هذا الموقع على أن يخضعوا للحكومة التركية»[2]. واقترح جونستون على حكومته أن توجه النصح إلى الحكومة العثمانية «لاستبعاد نظر القضية في مكان واضح فيه التحيز الكامل منذ البداية»، وقصد بذلك نقل القضية من البصرة إلى السلطة الأعلى وهي بغداد.

سافر الشيخ عبد الله إلى بغداد، واستأنف الحكم أمام محكمة الاستئناف، وقابل واليها نامق باشا الذي وعده خيراً. نظرت المحكمة

1- نص الرسالة في فتوح الخترش، ص 18.

2- نص الرسالة في فتوح الخترش، سلدانها، مرجع سابق، ص 20.

فـي الأدلـة المقدمـة مـن آل صبـاح وقضـت بنقض حكـم محكمـة البصرة وحكمـت بصحـة ملكيـة آل صبـاح لهـذه الأراضـي ورفض دعـوى آل زهير. وفـي تقريـر للقنصـل العـام البريطاني في بغـداد الكولونيل كمبـال بتاريخ 16 مايـو، ذكـر أن الشـيخ عبـد اللـه وصـل إلـى بغداد، وأنـه عاد بحـراً إلى البصـرة بعـد أن تكلـل مسـعاه بالنجاح، مشـيراً إلى أنه التقـاه خلال إقامته فـي بغـداد، وأنـه وجـده واثقـاً في صحـة ملكيـة الكويـت لهـذه الأراضي، وأضـاف: «وقـد فهمـت أن هـذا الاقتنـاع متعمـق ولا سـبيل للتحـول عنـه لدرجة أن أباه كان على اسـتعداد لاسـتخدام القوة ضد الزبير إذا ما فشـل ابنـه، وأنـه كان يضمـن فـي هـذه الحالـة مسـاندة الحاكـم الوهابـي الأمير عبداللـه بـن فيصل آل سـعود»[1].

والأرجـح أن أخبـار هـذا التصميـم مـن جانب الشـيخ صبـاح وصلت إلى مسـامع نامـق باشـا، وكانـت أحـد العوامـل التـي أدت إلـى قبـول وجهـة النظـر الكويتيـة ورفـض ادعـاءات آل زهيـر المدعومة من قائمقـام البصرة سـليمان بـك. سـعى نامـق باشـا إلـى ترضيـة وكسـب ود الشـيخ عبـد اللـه لتحقيـق هـدف سياسـي، وهـو أن تصبـح الكويـت قضـاء عثمانيـاً، ويـدل علـى ذلـك أنـه عـرض هـذا الأمر على الشـيخ عبـد الله الـذي «اعتـذر بأنه ليـس الحاكـم فـي الكويـت وإنمـا الحاكـم والده».

وشـاركت الكويـت في عـدد من التطورات السياسـية في البصـرة. فيذكر عبـد العزيـز الرشـيد أنـه فـي فتـرة حكـم والـي بغداد علـي باشـا، خرجت بعـض القبائـل عـن طاعـة السـلطات العثمانيـة وقامـت بالسـيطرة علـى البصـرة، وطـرد متسـلمها العثماني وجنوده مـن المدينة. فلجأ إلى الشـيخ

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ص 220 -221.

جابـر مسـتنجداً بـه وطالباً دعمه ومسـاعدته، فوافق الشـيخ وأعد أسـطولاً بحريـاً قـاده بنفسـه ونجح فـي هزيمة تلـك القبائـل وعودة المتسـلم إلى مقـر حكمـه، واستحسـنت السـلطات العثمانيـة مـا قـام بـه الشـيخ جابـر وكافأتـه بمئـة وخمسـين كارة مـن التمـر سـنوياً، ومنحته علمـاً أخضر[1].

وفـي عـام 1824، أبـرم الشـيخ حمـود بـن ثامر السـعدون أميـر المنتفق تحالفـاً مـع الشـيخ غيـث بـن غضبان أميـر بني كعـب لمواجهـة أي اعتداء يتعـرض لـه أحدهمـا، وذلـك اسـتعداداً لمـا يمكـن أن تقـوم به السـلطات العثمانيـة. وبالفعـل فـي 1826، أصـدر داوود باشـا والي بغداد قـراراً بعزل الشـيخ حمـود وتعييـن الشـيخ عقيـل بـن ثامـر –ابـن أخيـه- حاكمـاً علـى المنتفـق، وزوده بجيـش كبيـر لمحاربة عمه وهزيمتـه وتأديبه. وكتب إلى عزيـز آغـا متسـلم البصـرة يبلغه بمـا تم، وطلب منـه المحافظـة على أمن البصـرة وأن يتخـذ الاحتياطـات اللازمـة لذلك[2].

قـام الشـيخ حمـود بتجهيـز قواتـه وأمرهـا بالتحـرك لمحاصـرة البصـرة، وطلـب مـن حليفـه الشـيخ غيـث إرسـال مـا يسـتطيع مـن قـوات وسـفن لنصرتـه، كمـا أرسـل سـعيد بـن سـلطان حاكـم عمـان عـدداً مـن السـفن والرجـال لدعمـه ومحاصـرة البصرة من جانب شـط العـرب. ولم يكن لدى عزيـز آغا متسـلم البصـرة من القوات مـا يمكنه من مواجهة هـذا الحصار، فأرسـل كتابـاً إلـى الشـيخ جابـر يطلـب منـه إرسـال قواتـه لمسـاعدته، وبالفعـل سـافر الشـيخ على رأس أسـطول بحري إلى البصـرة ورابط أمامها،

1- عبدالعزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 120. لم يذكر الرشيد اسم المتسلم أو السنة التي حدثت فيها تلك الواقعة، أما علي باشا الذي يشير إليه فهو: علي رضا باشا، الذي استمرت ولايته 1831-1842، مما يعني أن تلك الحادثة وقعت خلال تلك السنوات.

2- عماد عبدالسلام رؤوف العطار، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك 1749 - 1831، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1976، ص 240.

ولكـن قبـل أن يتدخـل عسـكرياً، نجـح وفـد مـن أعيـان البصـرة ووجهائهـا فـي الوصـول إلـى اتفـاق مـع ماجـد وفيصـل، ابنـي الشـيخ حمـود اللذين قـادا الحصـار البـري ضد المدينـة، على إنهائـه، فعادت القـوات المحاصرة إلـى المحمرة.

وفـي نفـس الوقت، نجح متسـلم البصـرة في إنهاء الحصـار البحري الذي فرضتـه السـفن العمانية، وذلك من خلال اسـترضاء قائدهـا وتقديم الأموال والهدايـا لـه، فقرر فك الحصار وعودة السـفن[1]. وإزاء هـذه التطورات، عاد الشـيخ جابـر وقواتـه إلـى الكويـت. وقـدرت السـلطات العثمانيـة للشـيخ موقفـه، فقـررت مكافأتـه بمئـة وخمسـين كارة مـن التمـر، وأصـدرت لـه فرمانـاً وعلمـاً أخضر.

ولكـن الحـرب لـم تنتـه، فقـد قرر الشـيخ عقيل وعزيـز آغا الهجـوم على بنـي كعـب في معاقلهـم في المحمـرة والانتقام منهم، وأعدوا جيشـاً كبيراً تصـدت لـه قـوات بنـي كعـب ودحرتـه، فأرسـل عزيـز آغـا مـرة ثانيـة إلى الشـيخ جابـر طالبـاً منه العون، فأرسـل أسـطولاً بحرياً قاده بنفسـه، رسـت سـفنه فـي «الهارتـه» مقابـل «البريـم»[2]، ودارت المعركـة ونجحـت قـوات بنـي كعـب فـي صد هجـوم قـوات الشـيخ عقيل وعزيـز آغا.

أمـا بالنسـبة للقـوات العثمانيـة فقـد اشـتبكت مـع القـوات الكعبية في البريـم، وتعـرض الكويتيون في البداية لبعض الخسـائر، ممـا أدى ببعضهم إلـى اقتـراح العـودة إلـى الكويـت. وفـي إحـدى الليالـي، ثـارت ثائـرة أحد المقاتليـن الكويتييـن واسـمه «سـالم»، فألقـى بنفسـه فـي المـاء قابضـاً

1- عبد العزيز سليمان نوار، داوود باشا والي بغداد، (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968) ص ص110 - 115.

2- موقع على ساحل على الشط الشرقي لشط العرب.

علـى سـيفه بيـن أسـنانه ومتجهـاً إلـى الشـاطئ حيـث قـوات بنـي كعـب، وعندمـا أدرك الآخـرون مـا حـدث اندلـع حماسـهم صائحيـن «يـا سـالم.. يـا سـالم»، وأقلعـوا بسـفنهم صـوب الشـاطئ واشـتبكوا فـي قتـال عنيف، أدى إلـى تراجـع الكعبييـن، وتمت السـيطرة علـى قرية «البريـم» وإخراج القـوات الكعبيـة منهـا، وشـجع ذلـك قـوات عقيل وآغـا على إعـادة تنظيم صفوفهـم ولـم الشـمل، وتجمعـت كل القوات فـي منطقـة «أم الجريذية» أمـام المحمـرة، وهاجمـوا المدينـة وصبـوا عليها نيـران مدافعهـم حتى تم سـقوط أحـد حصونهـا فـي منطقـة أم الحصاصيـف أو أم «الخصاصيـف» وذلـك فـي عـام 1827. وكان الشـيخ جابر وقواتـه قد تمكنوا من السـيطرة علـى حصـن «أم الجبابـي» القريـب مـن السـاحل، حيـث رابطـت السـفن الكويتيـة فـي «أم الرصـاص». ورغـب بعـض الكويتييـن فـي تعقـب فلـول الكعبييـن المهزومـة ومطاردتهـم، فلـم يسـمح لهـم الشـيخ جابـر بذلـك، قائـلاً لهـم: «اتركـوا الذليـل مهزومـاً»، وعاد الشـيخ بأسـطوله وجنـوده إلى الكويـت، وكانـت عودتـه فـي شـهر رمضـان، وامتـلأت نفـوس الكويتييـن بالفخـر لمـا حققـوه في هـذه المعركة مـن نصر، والشـجاعة التـي أبدوها وكانـت سـبباً فـي تغييـر نتيجـة المعركة[1].

وعلـى هامـش هـذه الأحـداث، رغب متسـلم البصـرة في مكافأة الشـيخ جابـر بمضاعفـة كميـات التمور الممنوحة لـه من الدولـة العثمانية، ولكنه رفـض العـرض خشـية أن يكـون «دسيسـة» للوقيعـة بينـه وبين السـلطات العثمانيـة بزعـم أنـه شـارك فـي الحصار تطلعـاً إلى تلـك المكافأة.

وفـي عـام 1845، طلبـت السـلطات العثمانيـة مـن الشـيخ جابـر إرسـال

1- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 119، وعارف مرضي الفتح، مرجع سابق، ص135.

قواته لحماية ميناء البصرة من اعتداءات العشائر على المدينة وخصوصاً في موسم تجارة التمور الذي كان يستمر لعدة شهور وكانت أحد مصادر الدخل الرئيسية للمدينة، وشكلت هذه الهجمات تهديداً للمعاملات التجارية وأمن التجار ولمكانة ميناء البصرة كأحد الموانئ التجارية الرئيسية في الخليج. استجاب الشيخ لهذا الطلب وكافأته الدولة العثمانية على هذا الدعم.

وهكذا، فعلى مدى عقدين شاركت قوات الكويت في حصار البصرة ثلاث مرات بناء على طلب من السلطات العثمانية، مما يشير من ناحية إلى القوة العسكرية البحرية للكويت وقتذاك، ومن ناحية ثانية إلى حاجة السلطات العثمانية في البصرة لهذا الدعم، ومن ناحية ثالثة إلى تقدير هذه السلطات للدور الكويتي ومنحها مكافآت للشيخ جابر على دوره.

وتشير الوثائق العثمانية إلى أنه في عام 1847، بدأ الشيخ صباح نجل الشيخ جابر بالاستعداد لمهاجمة قبائل النصار بمنطقة البريم، وجهز ست سفن لهذا الغرض. وعندما علم رئيس النصار بذلك طلب من السلطات العثمانية في البصرة التدخل لحمايته، فقامت بالاتصال بالشيخ جابر وطلبت منه وقف هذا العمل خشية أن يقوم النصار بإرهاب الموظفين البريطانيين وغيرهم من الأجانب المقيمين في البصرة. وكمكافأة له، منحته أراضي في البصرة ألحقت بالصوفية في منطقة الدواسر ومنحت الشيخ صباح أراضي أخرى في نفس المنطقة[1].

وفي عهد الشيخ صباح، حاول نامق باشا والي بغداد فرض النفوذ

1- مخلد المطيري، مرجع سابق، ص101.

العثماني على الكويت، وأن يكون للعثمانيين وجود إداري في شكل مكتب للجمارك، ولكن الشيخ ووجهاء المدينة رفضوا ذلك تماماً خوفاً على حرية الكويت في إدارة شؤونها، ومن أن يكون هدف نامق باشا هو إضعاف الحركة التجارية في الكويت لصالح البصرة. وإزاء هذا الرفض، طلب نامق باشا من الباب العالي الموافقة على إرسال سفينتين حربيتين عثمانيتين إلى الكويت لفرض الوجود العثماني فيها بالقوة. ولكن الباب العالي لم يساير نامق باشا في هذا الاتجاه.

ثانياً- الزبير

الزبير هي إمارة وقعت بين البصرة والكويت، ومناطق المنتفق وصحارى نجد[1]، وبسبب موقعها المتميز اجتذبت حركة التجارة والقوافل، وانتمى أغلب تجار البصرة أصلاً إليها.

ارتبطت الكويت بإمارة الزبير بروابط عديدة، فانحدر أهالي البلدين من أصول نجدية، وانتقل الناس بينهما بيسر، وكان لعديد من الأسر الكويتية امتداداتها في الزبير[2]. انتعشت الزبير في الربع الأخير من القرن الثامن عشر بشكل ملحوظ، وأصبحت مركزاً تجارياً استخدمه التجار، وذلك لتحاشي دفع الضرائب العثمانية المفروضة في ميناء البصرة.

1- تقع الزبير جنوب غرب البصرة وتبعد عنها قرابة ثمانية أميال، وسميت الزبير تيمناً باسم الصحابي الزبير بن العوام الذي استشهد في معركة الجمل ودفن فيها، وتأسست في عام 1571م عندما أصدر السلطان سليم الثاني أمراً ببناء مسجد يحيط بضريحه. وفيها أيضاً، ضريح الصحابي طلحة بن عبيد الله، والمسجد المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدفن الحسن البصري وابن سيرين وهما من التابعين.

2- عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي، إمارة الزبير بين هجرتين سنتي 979هـ-1400هـ (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلفين، 1985) ص ص 49 - 51.

وفي عهد الشيخ جابر، تصاعدت الخلافات بين الأسرتين الكبيرتين في الإمارة، وهما: آل ثاقب بن وطبان وآل زهير، على الحكم. وأخذ شيوخ المنتفق الذين كانت لهم السيطرة على المناطق الممتدة من جنوب البصرة حتى شمال بغداد أحد الجانبين وفقاً للظروف وحسب مصالحهم.

فتولى الشيخ إبراهيم الثاقب الحكم خلال الفترة من عام 1797 إلى عام 1821. وبعد مصرعه، تولى نجله الشيخ محمد الحكم لفترة قصيرة استمرت حوالي ستة شهور اتسمت بالصراع مع آل زهير الذين اتهموه بقتل أبيهم، وانتهى الأمر بمغادرته الزبير عام 1822 قاصداً الكويت مع أسرته، وفيها تزوجت ابنته السيدة لولوة من الشيخ صباح بن جابر.

ولكنه لم يركن للراحة وصمم على استعادة حكمه فأعد قواته وهزم آل زهير عام 1823، وأمر بسجن حاكمها يوسف بن يحيى الزهير، واستمر في الحكم حتى عام 1826. ففي هذا العام، نشبت اضطرابات فيها بعد علم أهلها بوفاة حاكمهم السابق الشيخ يوسف في السجن، وألقى نجله مسؤولية وفاة والده على الشيخ محمد الثاقب، فقصد الكويت مرة ثانية. فتولى الشيخ علي بن يوسف الزهير الحكم. وخلال فترة حكمه تدخل الشيخ جابر للتوسط في الخلاف الذي نشأ بين اثنين من كبار تجار الزبير وأكثرهم مكانة اجتماعية، وهما عبد الله الفداغ وشقيقه سليمان الفداغ ومتسلم البصرة عزيز آغا، وذلك بعد أن قام المتسلم بالقبض على الأول وفرض غرامة مالية كبيرة على الثاني بسبب وشاية ضدهما دبرها شيخ الزبير.

تدخل الشيخ جابر استجابة لطلب عشرات من أهالي حرمة وحريملا

-وهما منطقتان في نجد وجاءت منهما أكبر عائلات الزبير- المقيمين في الكويت، فسافر بسفينته إلى البصرة وأرسل أحد أبنائه لمقابلة سليمان الفداغ، وطلب منه الحضور والعودة معهم إلى الكويت، ولكن سليمان خشي أن يتسبب ذلك في تدهور العلاقات بين الشيخ جابر ومتسلم البصرة، واقترح أن يكتب الشيخ رسالة إلى المتسلم يطلب منه فيها خفض الغرامة المالية، فقام الشيخ بذلك كما كتب إلى علي الزهير رسالة مماثلة لإدراكه بأنه مدبر هذه الأحداث، وأن المتسلم سوف يستشيره في هذا الأمر، ووافق المتسلم على طلب الشيخ، وتم خفض الغرامة من 40000 ريال إلى 30000 ريال. فقام سليمان بدفع المبلغ على الفور والعودة مع الشيخ جابر إلى الكويت حيث أقام بها.

استمر حكم الشيخ علي حتى إصابته بالطاعون ووفاته عام 1832. وتولى الحكم بعده أخوه عبد الرزاق، والذي اتسمت فترة حكمه القصيرة بالاضطراب وهجوم قوات المنتفق وحلفائهم واقتحامهم المدينة. كانت العلاقات بين شيخ الزبير وشيخ المنتفق عيسى بن محمد بن ثامر السعدون قد تدهورت بسبب لجوء عم الثاني راشد السعدون الذي نازعه الحكم إلى الزبير وإعطاء شيخها الأمان والحماية له. فقامت قوات الشيخ عيسى بحصار المدينة لإجبار آل زهير على تسليم راشد لهم، وشارك في هذه الحملة قوات الشيخ محمد الثاقب حاكم الزبير السابق.

ونتيجة لاستمرار القتال وعدم قدرة أي من الطرفين على حسمه لصالحه، طلب الشيخ عيسى النصرة والدعم من الشيخ جابر الذي استجاب لطلبه وقدم له المدد العسكري. ويمكن تفسير تلك الاستجابة بعدة عوامل تضمنت: الصلة الطيبة التي ربطت الرجلين، وأن ابنه

الشيخ صباح تزوج من لولوة بنت محمد الثاقب حليف الشيخ عيسى.

ووفقاً لرواية ابن بشر، فإن الشيخ جابر سافر مع جمع كبير من قواته إلى الزبير، وقامت السفن الكويتية بدور رئيسي في فرض الحصار البحري على المدينة. استمر الحصار سبعة أشهر حتى ضاقت الحياة بسكانها، وفرغت المدينة من المؤن والذخائر، فتم الاتفاق على فتح أبوابها، وتسليمها بشكل سلمي وإعطاء الأمان لأهلها على أرواحهم وممتلكاتهم. ومع ذلك، فعندما دخلت قوات المنتفق المدينة تم القبض على حاكمها الشيخ عبد الرزاق وإخوته وإعدامهم انتقاماً من مقتل علي بن ثامر السعدون عم الشيخ عيسى إبان المعارك[1].

وهناك رواية أخرى حول نفس الموضوع ذكرها عبد الله خالد الحاتم، وهي أن دخول المدينة جاء نتيجة تغير موقف الشيخ عبدالرحمن المبارك، كبير الأسر التي قدمت من حريملا وأحد أنصار آل زهير، وانضمامه مع اتباعه إلى معسكر قبائل المنتفق مقابل العفو عنهم لدعمهم آل زهير. فقام أنصار عبد الرحمن بفتح أبواب المدينة فدخلتها قوات المنتفق واعتقلوا الشيخ عبد الرزاق وإخوته عبد الوهاب وأحمد ومصطفى، وتم نقلهم إلى الشيخ عيسى الذي أمر بقتلهم[2].

وفي أعقاب ذلك، عاد الشيخ محمد الثاقب إلى الحكم مرة ثالثة عام 1833، ولكن سرعان ما ساءت علاقاته مع أحمد جلبي متسلم البصرة الذي دبر كميناً لقتله عام 1836، فدعاه لمقابلته في سراي البصرة

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 219. وابن بشر هو الشيخ عثمان بن عبد الله بن عثمان بن البشر (1194 - 1290هـ) الذي أرخ للدولة السعودية الأولى والثانية في كتابه "المجد في تاريخ نجد"، ويعتبر من أشهر مؤرخي نجد.

2- عبد الله خالد الحاتم، مرجع سابق، ص27.

(قصر الحكم)[1]. وبعد ترك حراسه خارج سور السراي، ودخوله منفرداً فوجئ بإطلاق النار عليه ومصرعه. فانتقل الحكم مرة أخرى إلى آل زهير.

وبعد انقطاع دام لأكثر من عشر سنوات[2]، اتفق أعيان الزبير على عودة آل ثاقب لتولي الحكم، وعلى شخص الشيخ علي ابن المغدور الشيخ محمد، والذي عاش في الكويت. فأرسلوا إليه وفداً منهم وفاتحوه في الأمر، فاستجاب لهم وعاد لتولي مشيخة الزبير في عام 1848، ولكن حكمه لم يستمر سوى ستة شهور بسبب كثرة الاضطرابات والمؤامرات والفتن في المدينة. ولما كان بطبعه رجلاً مسالماً ومستقيماً فقد اعتزل الحكم طواعية وعاد مرة أخرى مع أفراد أسرته إلى الكويت[3]. فتولى الحكم سليمان الزهير.

وكما ذكرنا في المبحث الأول عن فتح الكويت أبوابها لكل المستجيرين بشيخها، وأن شيخ الكويت لم يفرق بينهم بغضّ النظر عن مواقفهم السياسية، فإنه عندما سقطت مدينة الزبير، فر سليمان عبدالرزاق الزهير لاجئاً إلى الكويت، ومع أن قوات الشيخ جابر شاركت في حصار الزبير ضد آل زهير، فإنه لم يتردد في استقباله وحمايته. وحفظ سليمان هذا الجميل، وأهداه بعض مزارع النخيل، كما شرحنا ذلك في البند السابق الخاص بالعلاقة مع البصرة.

1- حسن العنزي، أيام الزبير وذكريات الزمن الجميل، (الكويت: حقوق االنشر محفوظة للمؤلف، 2012) ص ص 29 - 30.

2- تولى حكم الزبير في هذه الفترة الشيخ أحمد المشاري لمدة عشرة أعوام، وابنه عبدالله لعام واحد.

3- عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز الناصر، مرجع سابق، ص ص 98 - 106.

ثالثاً- المحمرة

المحمرة هي إحدى مدن إمارة عربستان، والتي عرفت أيضاً باسم إمارة كعب «البوكاسب» أو إمارة الأهواز أو الأحواز، ويعود أهلها إلى بني كاسب من قبيلة «بني كعب» بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان العدنانية. وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر، شهدت الإمارة تنافُساً محموماً بين الدولة الفارسية والإمبراطورية العثمانية بشأن السيطرة عليها، أسفر عن توقيع اتفاقية أرضروم الأولى في يوليو 1823 التي قسمت الإمارة إلى مناطق نفوذ للدولتين.

وفي الواقع، استمرت الإمارة في ممارسة استقلالها، وظلت العلاقة مع طهران اسمية ولم يكن هناك وجود فارسي فعلي فيها. وفي عام 1827 طلب أمير عربستان الشيخ غيث من سلطان مسقط سعيد بن سلطان الدعم العسكري لمواجهة الضغوط الفارسية على الإمارة. وقاوم الشيخ كافة محاولات فرض النفوذ الخارجي على الإمارة سواء من الجانب الفارسي أو العثماني.

تقع إمارة عربستان في أقصى شمال الخليج العربي وتمتد من مدينة البصرة غرباً إلى سلسلة جبال كردستان شرقاً. كان بنو كعب من أكثر القبائل العربية قوة ونفوذاً في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وانتشروا على امتداد ضفتي شط العرب بين الفرس والعثمانيين.

وفي عهد الشيخ عبد الله الأول الحاكم الثاني للكويت، توترت العلاقة بين الكويت وإمارة بني كعب، فنشبت معركة الزبارة عام 1782، والتي انتهت بهزيمة بني كعب. وتلتها في العام التالي، أي 1783 معركة الرقة، التي منيت أيضاً فيها قوات بني كعب بخسائر كبيرة، وعادت

فلولها مندحرة إلى «الفلاحية» عاصمة الإمارة في هذه الفترة[1].

دخلت الإمارة في مرحلة من الضعف والتفكك بسبب الصراعات الداخلية على الحكم، فانقسمت إلى عشائر وعصبيات متصارعة كان أهمها آل المحيسن التي ازداد شأنها بعد تولي الشيخ جابر المرداو[2] الحكم في عام 1819 وحتى عام 1881. أي أنه عاصر ثلاثة من حكام الكويت وهم الشيوخ جابر وصباح الثاني وعبد الله الثاني. وفي عهده، انتقلت العاصمة من الفلاحية إلى المحمرة.

وترتب على ذلك، فقدان قبائل بني كعب وحدتها وتماسكها، وانقسمت إلى فريقين؛ الأول بقيادة الشيخ جابر المرداو في المحمرة وعبادان، وضم قبائل المحيسن والدريس والنصار. والثاني بقيادة الشيخ ثامر بن غضبان في الفلاحية وضم قبائل البوغبيش ومقدم والعساكرة.

أما بالنسبة لمدينة المحمرة، فقد أُنشئت عام 1812 على يد آل محيسن، ونمت المدينة بسرعة بسبب موقعها وقربها من البصرة، فازدادت تجارتها بل وأخذت نصيباً من تجارة البصرة، مما أثار حنق المسؤولين العثمانيين الذين تخوفوا من أن تصبح المحمرة منافساً لميناء البصرة. وزاد الأمر سوءاً في عام 1821، انتشار مرض الكوليرا في البصرة.

في عام 1827، نشبت اضطرابات في مناطق بني كعب، وطلب

1- عبد العزيز محمد المنصور، الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة 1896 - 1915 (الكويت: ذات السلاسل، 1980) ص ص 78 - 79، وأحمد مصطفى أبو حاكمة، الكويت في سجلات شركة الهند الشرقية، مجلة العربي، العدد 30، مايو 1961، ص ص 54 - 55، وعبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 88.

2- وهو جابر بن مرداو بن علي بن كاسب الكعبي.

متسلم البصرة عزيز آغا الدعم من الشيخ جابر لإخمادها، فأعد الشيخ أسطولاً كبيراً هاجم به منطقة البريم (عبادان) هجوماً عنيفاً انتهى بهزيمة القوات الكعبية وانسحابها إلى المحمرة، واستمرت القوات الكويتية في السيطرة على المنطقة حتى توقيع الصلح بين بني كعب وداوود باشا والي بغداد، فعاد الشيخ جابر بسفنه ورجاله إلى الكويت.

وبعد عشر سنوات، أي في عام 1837، عاد الشيخ جابر بسفنه بناء على طلب علي رضا باشا والي بغداد، لاستعادة الأمن والنظام في الإمارة بسبب كثرة الاضطرابات فيها. قام الوالي بحشد أعداد كبيرة من الجنود النظاميين ومن العشائر العربية مثل عقيل وطي وزبيد وحِمْيَر، إضافة إلى بعض العشائر النجدية وعشائر المنتفق. وطلب من الشيخ جابر دعم حملته بقوات برية وبحرية، فاستجاب الشيخ لطلبه. وقامت السفن الكويتية بفرض حصار بحري على المحمرة.

وفي يوم الاثنين 19 أكتوبر 1837، هاجمت القوات المدينة براً وبحراً، ودارت معركة حامية الوطيس استمرت ثلاثة أيام انتهت بالسيطرة عليها وانسحاب حاكمها جابر المرداو بمن تبقى من أنصاره. لم تتقدم القوات العثمانية إلى الفلاحية وهي العاصمة الثانية للإمارة التي سيطر عليها الشيخ ثامر بن غضبان. ومع ذلك، فعندما علم بسقوط المحمرة واستشعر الخطر غادر المدينة مُتجهاً إلى الكويت.

عاد الشيخ جابر وبرفقته علي رضا باشا إلى الكويت، وفيها التقى الباشا مع الشيخ جابر المرداو الذي أكد له ارتباط المحمرة بالدولة العثمانية واستعداد بني كعب لمناصرة الدولة ودعمها، وأهدى الوالي عدداً من الخيول العربية والهدايا الثمينة. سعد رضا باشا بتلك المقابلة

وطلب من الشيخ جابر المرداو العودة إلى المحمرة والاستمرار في حكمها، وخلع عليه خلعة ثمينة.

وهكذا، فقد كان للشيخ جابر، حاكم الكويت، دوره المهم حرباً في هزيمة بني كعب، وسلماً في الوساطة بين والي بغداد وشيخ المحمرة. وكانت هذه الحادثة إيذاناً بنهاية مرحلة التوتر في العلاقات بين الكويت والمحمرة، فبعد أن استطاع الحاج جابر المرداو فرض سيطرته على المحمرة وتوحيد الإمارة، تطورت العلاقات الودية بين البلدين والتي كان من أهم مظاهرها في عهد الشيخ عبد الله الثاني -حفيد الشيخ جابر والحاكم الخامس للكويت- مشاركة القوات الكويتية أكثر من مرة في معارك لدعم الشيخ جابر المرداو ضد خصومه والمتمردين على حكمه.

رابعاً- بوشهر

ظلت أجزاء من الساحل الفارسي على الخليج تعيش فيها أغلبية عربية وتحت حكم عربي. فعلى مدى السنين، قطن فيها أبناء قبائل بني تميم والعتوب والدواسر والعجمان والجواسم والبوعلي وشمر، وأقاموا القرى والمدن والأسواق. وكان من أهمها قبيلة تميم التي انتسب إليها آل مذكور حكام بوشهر، وكانت لهم قوة كبيرة في الخليج. من مظاهرها أنه في عهد الشيخ نصر بن ناصر المذكور امتد نفوذهم وسيطروا على البحرين خلال الفترة 1753 - 1782 [1] .

كانت إمارة بوشهر من أوائل إمارات الخليج التي وقّعت اتفاقيات

1- محمد محمود عبد الرزاق، دور الرحالة الغربيين في توثيق تاريخ الكويت، (الكويت: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، 2017) ص ص 49 - 50.

تجارية مع البريطانيين. ففي عام 1762، وقّع الشيخ سعدون بن ناصر آل مذكور حاكم بوشهر اتفاقية قضت بإنشاء وكالة تجارية بريطانية في المدينة، وأعطت لها وضعاً احتكارياً؛ فتضمنت عدم الموافقة على إنشاء وكالات لدول أوروبية أخرى، وإعفاء التجار البريطانيين من أي رسوم أو ضرائب، ووقف استيراد الصوف وبيعه عليهم. ووضعت هذه الاتفاقية حجر الأساس للمكانة التجارية المتميزة التي حظيت بها بوشهر.

وبصفة عامة، اتسمت العلاقات بين الكويت وبوشهر في القرن الثامن عشر بالتوتر، وذلك لعدة أسباب، شملت التنافس التجاري بين البلدين وتحوّل التجارة من الساحل الشرقي إلى الساحل العربي للخليج، ودعم شيخ بوشهر لحلفائه من بني كعب في الهجوم على السفن التجارية الكويتية في مياه الخليج، ومساعدته لهم في الهجوم على الكويت في معركة الرقة عام 1783 [1]، والتي انهزموا فيها شر هزيمة، ودعم شيخ الكويت آل خليفة حكام البحرين في صراعهم لاسترداد البحرين من النفوذ الفارسي، والذي «كان أمراء بوشهر أحد أطرافه»[2].

تغير هذا الوضع في عهد الشيخ جابر، وتطورت علاقات طيبة بينه وبين الشيخ عبد الرسول بن نصر آل مذكور الذي حكم بوشهر خلال الفترة من 1807 - 1832، وتعود جذور تلك العلاقة إلى سنوات إقامة الشيخ جابر في البحرين إبان حكم والده الشيخ عبد الله الصباح.

1- حدثت المعركة في مكان يدعى الرقة بالقرب من جزيرة فيلكا، وكلمة الرقة تشير إلى المكان الضحل أو غير العميق على ساحل البحر.

2- صبري فالح الحمدي، الكويت نشوؤها وتطورها 1750 - 1871 (لندن: دار الحكمة، 2005) ص ص96 - 97.

واستمرت العلاقات الطيبة بين الطرفين بعد وفاة الشيخ عبد الرسول وتولي نجله نصر الثالث بن عبد الرسول الذي استمر حكمه 1832 - 1849.

يدل على ذلك، نمو العلاقات التجارية بين البلدين، والتي سجلها بيلي في تقاريره عن الخليج، وأنه في عام 1842، عندما عزم شيخ بوشهر على السفر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، وخشي من استغلال خصومه فترة غيابة لإثارة الاضطرابات، طلب من الشيخ جابر أن يرسل له قوة برية وبحرية لمراقبة الأوضاع وحفظ الأمن في المدينة إذا استدعى الأمر ذلك، فاستجاب الشيخ لطلبه وأرسل سفينتين محملتين بالرجال والسلاح، وقامت القوة بمهمتها خلال فترة سفر الشيخ حتى عودته لبوشهر، فعادت إلى الكويت.

وفي المقابل، في عام 1844 عندما ذاع خبر عزم بندر السعدون[1] على غزو الكويت، بادر شيخ بوشهر وبعث رسالة إلى الشيخ جابر أعرب فيها عن استعداده لدعم الكويت بالرجال والسلاح والسفن، فأجابه الشيخ بأن ما يحتاج إليه هو المدافع، وبالفعل قام شيخ بوشهر بإرسال عدد منها نُصبت على سور الكويت[2]، وذلك إضافة إلى المدافع الموجودة التي كان الكويتيون قد استولوا عليها من بني كعب في أعقاب هزيمتهم في معركة الرقة.

كان السعدون قد سمع عن انهيار جزء من سور الكويت، وظن أن ذلك سوف يجعل من هجومه على الكويت أمراً ميسوراً أو سهلاً،

1- هو بندر بن محمد بن ثامر السعدون أمير المنتفق.

2- صبري فالح الحمدي، المرجع السابق، ص 98. وإبراهيم حامد الخالدي، مرجع سابق، ص 24.

وأعـد العـدة لمفاجـأة أهلهـا بغتـة، فوصـل الخبـر إلـى أهالـي الكويـت، فقامـوا قومـة رجـل واحـد لإعادة بنـاء الجـزء المنهار مـن السـور وترميمه وتحصينـه. وسـجل عبـد العزيـز الرشـيد أنهـم كانـوا يـرددون بيتيـن مـن الشـعر النبطـي همـا:

قــل لبنــدر قــل لــه لا يغــره مالــه

الأطــواب جــرت لــه والســور يبنــى لــه[1].

بـدأ تحـرك السـعدون مـن أرض المنتفـق فـي باديـة العـراق صـوب الكويـت، فتوقـف فـي منطقـة «ملـح»، وعندمـا اقتـرب من سـور المدينة، اكتشـف أن أهالـي الكويـت علـى اسـتعداد لملاقاته بمدافعهـم وبنادقهم، فقـام بحصـار المدينـة، ولكـن هـذا الحصـار لـم يسـتمر طويلاً. فقد أرسـل لـه الشـيخ جابـر رسـولين همـا عبـد اللـه محمـد المزيـن وعبـد الرحمـن الدويـرج لإبلاغـه بـأن الهجـوم علـى الكويـت سـوف يكلفـه العديـد مـن الأرواح مـن دون جـدوى. كان مبـرره لغـزو الكويـت هو أنهـا قبلت بلجوء عمـه راشـد السـعدون الـذي كان علـى خـلاف معه، فأخبـره الرسـولان بأن عمـه ضيـف علـى الشـيخ جابـر، وأن تقاليـد العـرب هـي إكـرام الضيـف وحمايتـه، وحـذَّراه مـن عواقـب هجومـه علـى المدينـة، وأن الشـيخ جابر لا يكـنّ عـداوة لـه، وأنـه إذا قـرر العـودة إلـى بـلاده فـإن الشـيخ أعـد لـه هدايـا ثمينـة تتكون من عشـرين جمـلاً محمـلاً بالطعام والمتاع، فاسـتمع السـعدون إلـى النصيحـة وقبـل الهديـة وعـاد إلـى ديـار المنتفق[2].

1- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 117.

2- علي عبداللطيف خليفوه، موسوعة المعارك الكويتية 1783 - 1928، مرجع سابق، ص ص 44 - 45.

المبحث السادس

الكويت والسعي إلى التوازن بين القوى الكبرى في الخليج

كانت بريطانيا هي القوة الأوروبية الأولى في منطقة الخليج من منتصف القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، ولم يكن يزاحمها في هذا الشأن سوى القوتين الإقليميتين الكبيرتين؛ وهما الإمبراطورية العثمانية والدولة الفارسية. واهتم البريطانيون بمتابعة التطورات السياسية التي يمكن أن تؤثر على وضعهم المتميز، والتي كان من أهمها أربعة تطورات:

الأول، الحركة الوهابية وقيام الدولة السعودية الأولى ثُم الثانية، ومد سيطرتها على شبه الجزيرة العربية ووصول تهديدها العسكري إلى كربلاء في العراق.

والثاني، وصول القوات المصرية إلى قلب الجزيرة العربية، وسيطرتها على نجد والأحساء بقيادة محمد خورشيد باشا، وما تردد وقتها من تطلعه لاحتلال العراق. وهو ما سبق تناوله في المبحث الرابع.

والثالث، تأثيرات السياسة الفرنسية في الفترة النابليونية 1798 - 1810 وخطرها على الطريق إلى الهند، واتصالات فرنسا ببعض إمارات الخليج، مما دفع بريطانيا إلى توقيع اتفاقيات مع مشيخات ساحل عُمان وسلطنة عُمان بهدف تأمين وجودها عام 1814 [1].

1- عبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص 36.

والرابع، تزايد أعمال القرصنة البحرية في الخليج والاستيلاء على حمولات السفن التجارية، وهو ما واجهته بريطانيا بحملة عسكرية بحرية بقيادة السير وليم جرانت كير حطمت سفن القراصنة ومخازنهم، وأعقب ذلك إبرام معاهدة السلام العامة مع كل شيوخ ساحل عمان (الساحل المتهادن) عام 1820.

في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر، نقلت شركة الهند الشرقية أنشطتها وموظفيها من البصرة إلى الكويت مرّتين؛ الأولى في عام 1775 بسبب سقوط المدينة تحت السيطرة الفارسية، وتم استخدام الكويت محطة لنقل البريد الصحراوي إلى الشام. والثانية، في عام 1793 بسبب تدهور علاقات الوكالة مع السلطات العثمانية، وكان هذا الانتقال تأكيداً لاستقلال الكويت عن الدولة العثمانية، فلو كانت تابعة لها في سياساتها لما كان يمكن لشيخ الكويت الموافقة على انتقال الوكالة إلى بلده في مثل هذه الظروف.

وكما ذكرنا في المبحث السابق، فقد شهد هذا العام -1793- هجوماً وهابياً على الكويت، فزودت السلطات البريطانية التي حكمت الهند (حكومة بومباي) مركز الشركة بحراس مسلحين لحمايته. واختلفت آراء المسؤولين البريطانيين بشأن موقف هؤلاء الحراس تجاه الهجوم الوهابي، فذكر بريدجيس نائب مدير الشركة أن رجال الشركة كانوا متعاطفين مع الوهابيين، وأرسلوا هدايا إلى شيوخهم، أما رينود -وهو أحد مساعدي البعثة البريطانية في البصرة- فقد سجل أن الحراس شاركوا في صد الهجوم الوهابي[1].

1- Mubarak Al-Otabi, The Qawasim and British Control Of The Arabian Gulf, Thesis Presented For The Degree Of Doctor Of Philosophy, University Of

فـي ذات السـياق، يتنـاول هـذا المبحـث تطـور الاهتمـام البريطانـي بالكويـت، وردود الفعـل الفرنسـية والعثمانيـة لذلـك، والطريقـة التي أدار بهـا الشـيخ جابـر العلاقـات مـع كل مـن السـلطات البريطانيـة والعثمانية بمـا يحافـظ علـى اسـتقلاله فـي إدارة شـؤون الكويـت.

أولاً- تطور الاهتمام البريطاني بالكويت

ازداد الاهتمـام البريطانـي بالكويـت كجزء مـن اسـتراتيجيتها في منطقة الخليـج، واحتلـت الكويـت مكانـة خاصـة فـي هـذا الشـأن لعـدة أسـباب اقتصادية وسياسـية.

فمـن الناحيـة الاقتصاديـة، كان لموقـع الكويت علـى رأس الخليج أهمية كطريـق تجـاري مـن شـرق البحـر الأبيـض المتوسـط إلـى الهند، وسـواحل شـرق أفريقيـا وبالعكـس، وملاءمـة مينـاء الكويـت لهـذا الغـرض، وامتلاك الكويتييـن أسـطولاً تجاريـاً كبيـراً عمـل بنشـاط فـي نقـل البضائـع والمؤن فـي الخليـج والهنـد وشـرق أفريقيا.

ومـن الناحيـة السياسـية، أصبحـت الكويت مـن ثلاثينيات القرن التاسـع عشـر سـاحة للتنافـس الإقليمـي، ومـن ثـم أصبـح مـن الضـروري أن يكون لبريطانيـا نفـوذ فيها.

يشـير لوريمـر فـي دليـل الخليـج إلـى أن العلاقـات بيـن الشـيخ جابـر وممثلـي شـركة الهنـد الشـرقية والسـلطات البريطانية في الخليج اتسـمت بالصداقـة والمـودة، وأنـه كان دمثـاً ومجاملاً فـي رسـائله مـع ممثليهـا[1]. وكان ذلـك اسـتمراراً للسياسـة التـي اتبعهـا والـده الشـيخ عبـد اللـه الأول.

Stanford, International Studies Unit, 1989.p.51.

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 172.

ويدل على هذه الصلة، انتقال الوكالة البريطانية التي شملت المقيم البريطاني ومعاونيه للإقامة في الكويت لمدة أربعة شهور من 15 ديسمبر 1821 إلى 19 أبريل 1822، وذلك بسبب تدهور العلاقات بين جيمس كلاوديوس ريش الممثل السياسي بدار المقيمية في بغداد وداوود باشا والي بغداد، والخلاف بين الكابتن تيلور وكيل الممثل السياسي البريطاني في البصرة المسؤول عن الوكالة التجارية فيها ومتسلم البصرة. وترتب على هذا الخلاف، قيام السلطات العثمانية بفرض القيود على أنشطة الوكالة التجارية والمقيم البريطاني، فأوقف داوود باشا التسهيلات التجارية الممنوحة للتجار البريطانيين، وفرض عليهم ضرائب جديدة، ووصل الأمر إلى حد استخدام القوة وحصار دار المقيم البريطاني في بغداد في 25 مارس 1821.

انتقلت الوكالة البريطانية إلى جزيرة فيلكا، وهو ما يشير بشكل واضح إلى ما ذكرناه آنفاً من استقلال الكويت عن الدولة العثمانية سواء في عهد الشيخ عبد الله الأول أو في عهد الشيخ جابر الأول، وأنهما قاما بتصريف أمور الكويت الداخلية والخارجية حسب مقتضيات مصلحة البلاد وأهلها دون تدخل خارجي.

كما يشير انتقال الوكالة إلى أن الكويت امتلكت عدداً كبيراً من السفن التجارية التي يسرت للوكالة أعمالها، وأن ميناء الكويت كان من المراكز التجارية المهمة في الخليج. وسرعان ما أدرك داوود باشا الخطأ الذي وقع فيه، والخسارة الاقتصادية التي لحقت ببغداد والبصرة، فقد كانت التجارة مع الهند البريطانية تمثل أهم مصدر لمالية الولاية، فعدل عن موقفه المعادي للبريطانيين، وعادت الوكالة إلى البصرة

بنفس أوضاعها السابقة[1].

استمرت العلاقات الودية بين السلطات البريطانية في الخليج والشيخ جابر، ولكنه حرص على عدم الدخول في معاهدات أو اتفاقيات معها، فلم تنضم الكويت إلى معاهدة الصلح البحري التي أبرمتها بريطانيا مع مشيخات وإمارات ساحل عمان في يناير 1820، ورفض الشيخ في 1829 الطلب البريطاني برفع العلم البريطاني على بيته أو السماح بوجود قوات عسكرية بريطانية على أراضي الكويت.

وظلت العلاقات مستقرة حتى نهاية الثلاثينيات، عندما اشتدت المنافسة بين النفوذ البريطاني والنفوذ المصري، وذلك بعد استعادة قوات محمد خورشيد باشا فرض سيطرتها على شرقي الجزيرة العربية من جديد، وانتشار الشائعات بشأن تطلع قائدها محمد خورشيد باشا، إلى التحرك صوب العراق، وهو ما كانت تخشاه بريطانيا.

تابع المقيم البريطاني في بوشهر الكابتن هينيل تحركات خورشيد باشا بقلق وسعى للوقوف على تأثيرها ضد النفوذ البريطاني في الخليج، واهتم بأخبار ما سماهم «عملاء» المصريين ومندوبيهم في الخليج.

وقبيل توقيع الاتفاق بين محمد رفعت أفندي ممثل خورشيد باشا وشيخ البحرين في 7 مايو 1839 بيومين، أرسل المقيم البريطاني طبيب المقيمية د.ت.مكانزي على ظهر السفينة "إميلي"، لزيارة البحرين والاطلاع بشكل مباشر على حقيقة ما يحدث فيها. وفي 9 مايو، بعث المقيم البريطاني برسالة موجهة إلى خورشيد باشا مع قبطان الطراد

1- المرجع السابق ص ص 175 - 177.

«كلايف» التي توجهت إلى الكويت لتسليمها إلى الشيخ جابر لتوصيلها إلى القائد المصري، وتعمد المقيم البريطاني ترك الرسالة مفتوحة حتى يطلع عليها الشيخ، وأن يدرك جدية السلطات البريطانية وعزمها في وقف تحرك خورشيد باشا تجاه إمارات الخليج. تضمنت الرسالة تحذيراً لخورشيد باشا من التقدم إلى ما بعد حدود الأحساء حتى لا يثير ذلك صداماً مع البريطانيين. ويلاحظ هنا أن هذا المضمون تكرر من قبل في رسالة المقيم البريطاني بتاريخ 29 أبريل من نفس العام.

أرفق المقيم البريطاني برسالته خطاباً إلى الشيخ جابر يطلب فيه قيامه بزيارة خورشيد باشا، وأنه يعتمد على حنكته وحصافته في إبلاغه بالأخطار التي سوف تلحق به إذا ما تجاوزت قواته حدود الأحساء. وسأل عما إذا كانت لديه معلومات عن خطط خورشيد باشا لغزو العراق. ويكشف هذا الخطاب عن ثقة السلطات البريطانية بشيخ الكويت وقدرته على نقل التحذير إلى خورشيد باشا بطريقة دبلوماسية.

وردّ الشيخ جابر في نفس الشهر برسالة إلى المقيم البريطاني ذكر فيها أنه لم يتمكن من السفر لمقابلة خورشيد باشا في الرياض، وأن وكلاءه في الكويت كانوا يقومون بشراء السلع والمؤن من الأسواق، ولم تشر رسالته إلى موضوع تقدم قوات خورشيد باشا إلى البصرة[1]. وفي مايو 1840، رد خورشيد باشا على هينيل في رسالة أكد فيها أنه ليس لديه أي نية لمهاجمة البصرة.

وإضافة إلى إرسال طبيب المقيمية إلى البحرين، والخطاب إلى خورشيد باشا، أرسل المقيم البريطاني هينيل أحد معاونيه وهو الملازم

1- نفس المرجع، ص ص 185 - 186.

إدموند إلى الكويت للتأكد من أن شيخ الكويت لم يحذُ حذو البحرين في توقيع اتفاقية مماثلة مع خورشيد باشا، فقد كان من شأنها امتداد نفوذ محمد علي إلى رأس الخليج الشمالي. وكان الهدف المعلن من الزيارة هو التفاوض مع الشيخ جابر للبحث في موضوع إنشاء خط بريد بريطاني عبر الصحراء من الكويت إلى البصرة وبغداد فسوريا على البحر الأبيض المتوسط.

وبحكم الصلة الطيبة التي ربطت شيخ الكويت بالسلطات البريطانية في الخليج، فقد اعتقد المقيم البريطاني أن مبعوثه سوف يحظى بالحفاوة وحسن الاستقبال من جانب الشيخ جابر، ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهيه السفن.

فعندما وصلت السفينة الحربية التي استقلها أدموند إلى ميناء الكويت في 30 أكتوبر 1839، أطلقت مدافعها التحية التقليدية، ولكن مدافع الميناء ظلت صامتة ولم ترد التحية بمثلها، فأرسل أدموند رسالة خطية إلى الشيخ جابر يخبره فيها بوصوله. وجاء رد الشيخ برسالة شفاهية حملها أحد معاونيه بأنه سوف يرد على رسالته في اليوم التالي.

ولاحظ أدموند أن الشيخ لم يرسل أحداً من أبنائه أو أقاربه للترحيب به حسبما كان يحدث من قبل. وبعد ثلاثة أيام من انتظار أدموند على ظهر السفينة، أرسل إلى الشيخ رسالة ثانية يطلب فيها تحديد موعد له في الوقت المناسب، فاستجاب له الشيخ. وعندما وصل أدموند إلى مجلس الشيخ، كان مكتظاً بالحاضرين، ولاحظ أن الشيخ لم يقف وقفة كاملة لمصافحته، وظل ممسكاً بغليونه، وعندما سأله عن سبب عدم

رد مدافع الميناء تحية السفينة، أجابه بأنه لم تجر العادة على القيام بذلك. وبعد فترة، استأذن أدموند في الانصراف دون أن يبحث مع الشيخ الموضوعات التي جاء بشأنها.

قدم أدموند تقريره إلى المقيم البريطاني هينيل، وفسّرا مسلك الشيخ جابر غير الودي برغبته في خداع وكيل خورشيد باشا، والذي وصفه بالوكيل المصري الذي كان حاضراً بالمجلس، وعدم رغبته في إطلاع المندوب على العلاقات التي تربطه بالبريطانيين، وهو نفس التفسير الذي أورده لوريمر في «دليل الخليج».

وسجل هينيل في تقريره لرؤسائه أن هذا السلوك يدل على حصافة الشيخ جابر ومهارته، وأنه لا يعبر عن حقيقة مشاعره تجاه البريطانيين، ويبدو أن التقرير كان مقنعاً للسلطات البريطانية في بومباي التي لم تعتبر أن تصرف شيخ الكويت كان إهانة للكرامة البريطانية، ولم تتخذ أية إجراءات بشأن ما حدث[1].

وكان تقدير أدموند الذي سجله في تقريره أن مهمة محمد أفندي مندوب خورشيد باشا كانت متابعة النشاط العثماني في البصرة وبغداد، استعداداً لتوسع خورشيد باشا في جنوب العراق، وأن موضوع شراء الغلال كان ستاراً لتغطية مهمته الحقيقية، وأوصى بضرورة عدم وقوع ميناء الكويت المهم تحت النفوذ المصري[2].

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ص 229 - 231. وخلف بن صغير الشمري، المستودع والمستحضر في أسباب النزاع بين مبارك ويوسف الإبراهيم 1896 - 1906 (الكويت: دار نينوى، 2008) ص36.

2- علي عفيفي علي غازي، الصراع الأجنبي على العراق والجزيرة العربية في القرن التاسع عشر (بيروت: الرافدين، 2015) ص ص 163 - 164.

فـي هـذا السـياق، يـروي عبـد العزيـز الرشـيد قصـة هبـوط «ثلـة مـن الإنجليـز» إلـى الكويـت فـي عهد الشـيخ جابـر دون أن يحدد السـنة التي حـدث ذلـك فيهـا. ووفقـاً له، فإن تلـك المجموعـة قابلت الشـيخ وحاولت إقناعـه بحمـل «الرايـة الإنجليزيـة»، ولكنـه لـم يوافـق، وأخبرهـم بـأن "الحكومـة العثمانيـة جارتنـا، وجـل مـا نحتاجـه يأتينـا مـن بلدهـا البصرة، التـي لهـا فيهـا الأمـر والنهـي"، فـردوا عليـه بـأن السـفن الكويتيـة تصـل إلـى بومبـاي وتتاجـر معهـا، فالكويـت تحتـاج إلـى الهند، وهي مسـتعمرة بريطانيـة، ولـم يغيـر الشـيخ رأيـه. أعـادوا الكـرّة وطلبـوا من الشـيخ الإذن بالبنـاء فـي الكويـت، فرفـض تلـك الفكـرة أيضـاً، وعندمـا سـألوه عمـا إذا كان يوافـق علـى مثـل هـذا الطلب إن تقدمـت به الحكومـة العثمانية «أم تمنعهـا كمـا منعتنـا»، فقـال: "نمنعهـا مـن ذلـك إذا كان فيـه ضـرر علينـا وعلـى بلدنـا". وعندمـا طلبـوا منـه صـكاً كتابيـاً بهـذا المعنى لم يسـتجب لهـم، وعندمـا علـم متسـلم البصـرة بهـذه الواقعـة أبـدى إعجابـه بمسـلك الشـيخ وقـام بزيـارة الكويت لشـكره[1].

ولا نعـرف علـى وجـه التأكيـد مـا إذا كانـت روايـة الرشـيد تشـير إلـى زيـارة المـلازم أدمونـد أم إلـى واقعـة أخرى، فمـن الطبيعـي أن أدموند لم يـزر الكويـت بمفـرده بـل رافقـه آخـرون، ولكـن المراسـلات الدبلوماسـية البريطانيـة لا تشـير إلـى شـيء ممـا جـاء فـي روايـة الرشـيد.

وإن كان لا يمكـن اسـتبعاد هـذه الواقعة تماماً، ففي هذا العام، شـعرت السـلطات البريطانيـة فـي الخليـج بخطـر ازديـاد النفـوذ المصـري، فقـام المقيـم البريطانـي بزيـارات إلـى إمـارات الشـارقة وأم القيويـن ودبـي

1- عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص ص 125 - 126. وللدقة، ينبغي الإشارة إلى أن الرشيد كتب «الإنكليز» وليس الإنجليز.

وأبوظبي والبريمي، ووقّع مع شيوخها "صكوكاً" أو تعهدات التزموا فيها بعدم التعاون مع مبعوثي خورشيد باشا وعدم الدخول معهم في أية مفاوضات، وذلك مقابل تعهد السلطات البريطانية بتزويدهم بالسلاح والذخائر اللازمة للدفاع ضد أي خطر يمكن أن يتعرضوا له.

وأدى كل من إدراك السلطات البريطانية بزيادة الخطر المصري على إمارات الخليج، وتصاعد الضغوط عليها للانسحاب من جزيرة "خارج" الفارسية التي استخدمتها كقاعدة بحرية، إلى ازدياد اهتمامها بالكويت.

ويدل على الاهتمام البريطاني بالعثور على بديل لجزيرة "خارج" أنه في طريق عودته إلى بوشهر، توقف أدموند في جزيرة فيلكا لدراسة تضاريسها وما إذا كانت تصلح لتكون قاعدة عسكرية بريطانية، ومع أنه وصل إلى عدم صلاحيتها لأنها مكشوفة للرياح الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية[1]، فقد أشار في تقريره إلى أهمية موقع الكويت وتوقع زيادة أهميتها في المستقبل.

وفي نوفمبر 1839، قام فليكس جونز بإعداد تقريرين عن فيلكا والكويت من الناحيتين الجغرافية والطبوغرافية اللتين سبقت الاستعانة بهما في مباحث الكتاب السابقة.

استمرت مخاوف المقيم السياسي هينيل من آثار الوجود المصري، ونشاط حليفه سعد بن مطلق المطيري في نقل رسائل من خورشيد باشا إلى رؤساء القبائل العربية لكسب تأييدهم له، فقام بالاتصال بشيوخ إمارات ساحل عمان لتحذيرهم من هذا الأمر. وعلى سبيل

1- عادت فكرة إنشاء قاعدة عسكرية في الكويت إلى الظهور في عام 1841، ولكن بسبب المناخ القاسي وعدم توافر المياه العذبة تم التراجع عنها. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، مرجع سابق، ص 280.

المثال، بعث برسالة إلى الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة بتاريخ 5 يونيو 1840 ورد فيها: "فليكن معلوماً أننا قد أنذرنا العامة أن كل أحد من المشايخ الداخلين في سلك الصلح مع جناب السركار بهادور يعطي لسعد بن مطلق مكاناً عنده يقع الخلل في صداقته مع حضرة السركار ذي الاقتدار ولا يلومن إلا نفسه". والإشارة هنا إلى معاهدة السلام العامة التي أبرمتها بريطانيا مع مشيخات الساحل في 1820. وبالفعل، وافق كل من الشيخ سلطان، والشيخ خليفة بن شخبوط شيخ بني ياس، ومكتوم بن بطي حاكم دبي على عدم التعاون مع سعد بن مطلق أو خورشيد باشا. وفي مقابل ذلك، أكد هينيل تعهده بتزويدهم بالسلاح والذخيرة[1].

في مطلع حقبة الأربعينيات، تغير الموقف السياسي في نجد والخليج على نحو درامي، وتمثل ذلك في انسحاب القوات المصرية من الجزيرة العربية، واستفحال الصراعات بين الدولة الفارسية والإمبراطورية العثمانية والسلطات البريطانية، مما أدى إلى تهديد الملاحة التجارية وسلامة السفن وأنشطة الغوص على اللؤلؤ في الخليج. فدعت بريطانيا إمارات الخليج العربية إلى إبرام اتفاقية لتوفير الأمن والاستقرار وحماية السفن التجارية.

وفي هذه الظروف، وافق الشيخ جابر على توقيع هذه الاتفاقية. وفي غرة ربيع الأول 1257هـ الموافق 22 أبريل 1841، وقّع الشيخ صباح نيابة عن والده اتفاقية الهدنة البحرية مع السلطات البريطانية، التي نصت على حفظ الأمن والسلام في مياه الخليج، وأنه في حالة

1- جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. المجلد الأول، إمارات الخليج العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول 1507 - 1840 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1997) ص 90.

خرق أحد الأطراف لهذه الاتفاقية، فإن على الطرف المعتدى عليه رفع الأمر إلى السلطات البريطانية التي سوف تقوم بالتحقيق واتخاذ اللازم.

وتضمن نص الاتفاقية بلغة تلك الأيام أن «بأني أنا صباح بن جابر بنيابتي عن أبي جابر بن عبدالله الصباح حاكم الكويت قد رضيت وقبلت على نفسي عن رعاياي والمتعلقين علي»، والتعهد «من استقامة المهادنة والصلح عن صدور التعديات والتعرضات في البحر وأن لا لي حرب ولا جدال في البحر مع جميع مشايخ العرب الداخلين في سلك الصلح والمهادنة مع جناب ذي الاقتدار والمفاخر السركار الأنقريس الأفخم وأن أصون رعاياي والمتعلقين علي عن التعدي والتعرض على سائر الطوائف المصالحين في البحر وإن لا قدر الله تعالى أحد تجرأ وتعرض رعاياي والمحبوسين علي في البحر فلا يكون فوراً أقدم لأخذ القصاص والانتقام بل ألتزم لجناب عالي الجاه الباكيوز صاحب المذكور حتى يقوم بلازم التنبيه والقصاص بعد تحقيق الأمر». وانتهى النص بعبارة «والله خير الشاهدين».[1] وكانت مدة الاتفاقية «سنة كاملة»، ولا يوجد ما يشير إلى أنها قد جددت مرة أخرى بعد ذلك[2].

كانت هذه الاتفاقية حلقة من سلسلة اتفاقيات مماثلة أبرمتها بريطانيا مع إمارات الخليج، وأثارت تلك الاتفاقيات مخاوف الدولة العثمانية بشأن ازدياد النفوذ البريطاني في المنطقة، وخصوصاً أنه في حالة الكويت فإن شيخها أقدم على ذلك دون الرجوع إليها، فأرسلت

1- نص الاتفاقية في: عبدالله يوسف الغنيم، بحوث مختارة من تاريخ الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2005) ص 16.

2- هيئة التحرير، "من وثائق الأرشيف البريطاني: أول اتفاقية للكويت مع بريطانيا"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 7 (يونيو 2004) ص8.

مذكـرة احتجـاج إلى الحكومـة البريطانية بدعوى أن توقيـع هذه الاتفاقية يمثـل تدخـلاً فـي شـؤون البـلاد التابعة لهـا. وسـعت السـلطات البريطانية إلـى طمأنـة العثمانييـن، ولكنهـا لـم تقـم بإلغـاء الاتفاقية. ومـن الملاحظ هنـا، أن الدولـة العثمانيـة لم تتصل أو تخاطب شـيخ الكويت بهذا الشـأن، ممـا يؤكـد اسـتقلال الكويت فـي إدارة أمورها، وأن ما قامت به السـلطات العثمانيـة كان عمـلاً دبلوماسـياً رمزياً.

وفـي عـام 1841 أيضـاً، رفـض الشـيخ عرضـاً بريطانيـاً بإقامـة منشـآت لتخزيـن الفحـم فـي الكويت. جاء هـذا العـرض البريطاني إقـراراً بالأهمية الاسـتراتيجية لموقـع الكويـت، وهـو نفـس المعنـى الـذي ورد فـي تقريـر القنصـل البريطانـي فـي نفـس العـام عـن الأوضـاع فـي جنـوب العـراق والخليـج، والـذي نصـح فيـه حكومتـه بوضـع الكويـت تحـت الحمايـة البريطانيـة.

وفـي حقبة الخمسـينيات، برز اسـم الكويت مع طـرح الحكومة الألمانية لمشـروع إقامـة خط سـكة حديد برليـن- بغداد، والـذي كان من المفروض أن ينتهـي فـي الكويـت[1]. وأدى ذلك إلى ازدياد اهتمـام بريطانيا بها.

اسـتمرت العلاقـات الوديـة بيـن الشـيخ جابـر والسـلطات البريطانية في الخليـج علـى نحـو مسـتقر. وفـي عهـد نجلـه الشـيخ صبـاح، قـام المقيـم البريطانـي لويـس بيلـي بزيارتيـن: في عـام 1863، وبعدهـا بعامين 1865. كتـب بيلـي ثلاثـة تقاريـر مهمـة عـن زيارتيـه رفعهـا إلـى حكومـة الهنـد البريطانيـة وهـي: «جولـة حديثـة فـي البلـدان الشـمالية مـن الخليـج العربـي» بتاريـخ 3 مـارس 1863، و«تعليقـات علـى القبائـل والتجـارة

1- مخلد المطيري، مرجع سابق، ص ص 130 - 132.

ومصادر الثروة في البلدان المحيطة بالخليج» بتاريخ 17 سبتمبر 1863، و«زيارة العاصمة الوهابية في وسط الجزيرة العربية» بتاريخ 17 يونيو 1865. وتعتبر تقارير بيلي من المصادر الرئيسية عن تاريخ الكويت في هذه المرحلة لطول الفترات التي قضاها فيها، ولاهتمامه بجمع المعلومات وتدقيقها.

أكدت الزيارتان الطابع الودي للعلاقات بين الشيخ والسلطات البريطانية. يدل على ذلك في الزيارة الأولى، أنه أرسل نجله الشيخ مبارك لاستقبال بيلي عند وصوله الجهراء، وأرسل نجله الأكبر ونائبه الشيخ عبد الله إلى أطراف مدينة الكويت لاستقباله عند وصوله إليها.

وسجل بيلي في تقريره أن الكويت لم تكن خاضعة لحكم شاه فارس أو حكم السلطان العثماني، وأنها من بين الإمارات التي خضعت لحكم زعماء عرب مستقلين، وأن سياستها «هي الحفاظ على الأمن والسلام في داخل المدينة وخارجها أي مع جيرانها. وهي لا تدفع زكاة للأمير فيصل (الوهابي)، لكنها تحتفظ بعلاقات صداقة معه»[1]. وأضاف بيلي أن السفن الكويتية كانت ترفع رايات خاصة بها، مما يدل على استقلال الكويت، وأنها رفعت العلم العثماني لكي تستفيد من التخفيضات الجمركية التي تمتعت بها السفن العثمانية في بومباي. ووصل إلى أن علاقة الكويت مع الباب العالي هي علاقة اسمية.

وفي عام 1866، طلب الشيخ عبد الله بن صباح باسم والده من القنصل العام البريطاني في بغداد كمبال، وقف تردد سفن شركة الهند الشرقية البريطانية على ميناء الكويت، وذلك وفقاً للتقرير الذي أعده

1- المرجع السابق، ص 235.

كمبال بتاريخ 26 يونيو. وكان تفسير الشيخ لهذا الطلب، هو الرغبة في عدم استفزاز نامق باشا والي بغداد والسلطات العثمانية وعدم إثارة أزمات جديدة معهم. وجدير بالذكر، أن هذا الطلب جاء في أعقاب المواجهة بين الشيخ عبد الله وسليمان بك متسلم البصرة بشأن ادعاء آل زهير ملكية أراضي آل صباح في الصوفية، وصدور حكم من محكمة البصرة ضد آل صباح، ثم تدخل نامق باشا لحل الموضوع على النحو الذي تم شرحه في المبحث الخامس.

وجاء في تقرير كمبال، أنه ليس من حق الحكومة العثمانية ولا الشيوخ المحليين منع السفن البريطانية من زيارة أي ميناء في منطقة الخليج، ولكنه يتفهم الدوافع التي حدَت بشيخ الكويت لإبداء هذا الطلب، ورغبته في عدم إثارة خلاف جديد مع نامق باشا، وأوصى بالموافقة على طلبه بشكل مؤقت، مشيراً إلى أن ذلك «لا يمثل تنازلاً كبيراً لحقوق شركة الملاحة الهندية البريطانية».

وبعد أن عرض كمبال لملابسات طلب الشيخ توقفت السفن البريطانية عن الرسو في ميناء الكويت، وأضاف بالنص أن الجانب الكويتي «رغم رغبته في إقامة أكثر الروابط والعلاقات وداً مع البريطانيين إلا أنهما -يقصد الشيخ صباح والشيخ عبدالله- اضطُرا تحت ضغط الأوضاع الجديدة إلى معارضة هذه الترتيبات، وبالتالي فمن مصلحة الشركة أن أوصي بأن تتخلى مؤقتاً عن امتيازها الذي لا شك فيه». وفي ضوء تقديره للموقف، كانت توصية كمبال بتلبية طلب شيخ الكويت، وحذر من أنه في حالة رفض حكومة الهند البريطانية لطلبه «وفي حالة إحساسه بالخطر على وضعه السياسي فقد يضطر إلى -يقصد شيخ الكويت- انتهاج مسلك المعارضة أو يصطدم مع حكومة صاحبة الجلالة

فـي الهنـد». وقبلـت حكومة الهند الشـرقية تلك التوصية وتوقفت السـفن البريطانيـة عـن الرسـو في مينـاء الكويـت لفترة[1].

ثانياً- ردود الفعل الفرنسية

يبـدو أن تحـركات المقيـم البريطانـي فـي الخليـج وزيارتيـه للكويت قد أثـارت اهتمـام القناصـل الأوروبيين في المنطقة، فكتب القنصل الفرنسـي فـي بغـداد إلـى وزيـر الخارجية الفرنسـي فـي 3 نوفمبـر 1866 بأنـه وفقاً للمعلومـات المتوفـرة لديـه فإن «العقيـد بيلي المقيـم الإنجليزي في بندر بوشـهر، والـذي يجـوب بشـكل متواصـل كل أرجـاء الخليـج العربـي علـى متـن سـفينة وفرتهـا لـه الحكومة، وهو رجـل على صلات دائمـة مع أهالي الضفتيـن، قـد حث شـيخ الكويـت، الذي يجـد كذلك ناصحاً آخر في شـيخ مسـقط، علـى أن يطلـب الدخول فـي حماية حكومة الملكـة، واقترح عليه أن يُحـول المرفـأ إلى منطقـة حرة»[2].

وأضـاف القنصـل الفرنسـي أن الكويـت «مسـتقلة عـن سـلطة البـاب العالـي»، وأن الاعتـداءات المسـتمرة مـن القبائـل علـى الكويـت «دفعـت أهـل الكويـت -إذا مـا كانـت معلوماتـي دقيقـة- إلـى الاسـتعداد لقبـول مقترحـات العقيـد بيلـي»، وأن التحـركات البريطانيـة أثارت مخـاوف والي بغـداد، وقـام بإبلاغهـا إلـى البـاب العالـي.

وذكر القنصل في نهاية رسالته: «أنتهز الفرصة، سيدي الوزير، لأبلغ معاليكم بظهور فرقاطتين تركيتين في مياه الخليج ترتبطان بمرفأ البصرة».

1- أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ص 220 - 221.

2- نص رسالة القنصل الفرنسي في "فكرة الحماية البريطانية على الكويت في ثلاث وثائق فرنسية (1866 - 1867)"، رسالة الكويت، تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية، السنة الرابعة عشرة، العدد 67، يوليو 2019، ص42.

وفي رسالة ثانية بتاريخ 17 ديسمبر، أي بعد ستة أسابيع، رفع القنصل الفرنسي مذكرة أخرى إلى وزير الخارجية، أشار فيها إلى أن المعلومات التي وردت في رسالته الأولى هي موضع جدل بين من يؤكدونها ومن ينكرونها، ثم أضاف أن الجميع في بغداد على علم بما نشرته صحافة بومباي، وجوهره أن «شيوخ الكويت في الخليج يهبون مرفأ مدينتهم للحكومة الإنجليزية حتى يتحول إلى مرفأ حر ويقبلون برفع البيرق الإنجليزي»[1].

وفي 21 مارس 1867 أرسل القنصل رسالة ثالثة بخصوص العلاقة بين الكويت وبريطانيا والمعلومات المتعارضة في هذا الشأن، فذكر أنه تلقى رسالة من «بوس» قبطان الباخرة الفرنسية "الديمسيمات" الذي التقى بالشيخ عبد الله حاكم الكويت. وأشار القبطان إلى أن الحاكم "لم يبد له حماسة كبيرة للإنجليز، وأنه كذَّب كل الشائعات التي نشرتها صحيفة بومباي"، وأنه «لاحظ في الكويت، كما في غيرها من الأماكن على الخليج، أن الأهالي تستهويهم المزايا التي قد تحصل في العلاقة مع الإنجليز، ولكنهم في الوقت نفسه يخشون من نزعة الهيمنة عندهم».

وأكد القنصل هذا الرأي بقوله: إن "أهالي الكويت يخشون بحق نزعة الهيمنة الإنجليزية، لكن في الوقت نفسه نحن لا نشك في أن مخاوفهم أكبر من الاستبداد العثماني الجاثم على جيرانهم، ناهيك عن أن هذا الاستبداد لا يوفر لهم ما يوفره الحضور الإنجليزي". ووصل من تحليله إلى نتيجة، قائلاً: «سيدي الوزير، إن الحقيقة من كل ما شاع

1- المرجع السابق، ص 43.

منذ عدة أشهر هي أن أهل الكويت لا يرغبون في الخضوع لا للأتراك ولا للإنجليز، ولكنهم في الوقت نفسه قد يسلمون أمرهم لهؤلاء الأخيرين إذا ما حاول الأتراك الهيمنة على بلادهم[1]».

ثالثاً- ردود الفعل العثمانية

في الحقب الأربع الأولى من القرن التاسع عشر لم يكن بوسع السلطات العثمانية التدخل للتأثير على الكويت بأي حال من الأحوال، فقد كان وضعهم في البصرة، وهي أقرب موقع عثماني إلى الكويت، ضعيفاً جداً. وخضعت أغلب مناطقها للقبائل العربية. وكما أوضحت في المباحث السابقة فإن السلطات العثمانية استعانت بالكويت في أكثر من مناسبة لمواجهة التحديات العسكرية التي واجهتها بما في ذلك الدفاع عن مدينة البصرة ذاتها.

وفي عهد الشيخ صباح، ظهرت آثار الثورة الصناعية في أوروبا على مياه الخليج، وحلت سفن المحركات البخارية محل السفن الشراعية، وأعطى ذلك للأسطول البحري البريطاني قدرة أكبر على التحرك والانتقال من مكان لآخر. كما مكن شركة الهند البريطانية للملاحة البحرية من تسيير خط ملاحي منتظم بين الهند والخليج بمعدل مرة كل أسبوعين، وكانت السفن تتوقف في ميناء الكويت، مما يسّر سبل نقل التجارة والاتصالات.

وأدى ذلك إلى ازدياد قلق السلطات العثمانية من أن يكون ازدهار ميناء الكويت على حساب ميناء البصرة العثماني، وتبلور ذلك في الولاية الثانية لمحمد نامق باشا والي بغداد وادعاء سليمان بك

1- المرجع السابق، ص 44.

متسلم البصرة أن نشاط ميناء الكويت سبّب خسارة تجارية كبيرة لميناء البصرة. فاقترح نامق باشا في 1866 على الصدر الأعظم إرسال سفينتين حربيتين عثمانيتين للضغط على الكويت. ورغبة من الشيخ صباح في عدم تصعيد الأمور مع العثمانيين، فقد طلب من نجله الشيخ عبدالله الاتصال بالسلطات البريطانية لكي توقف شركة الملاحة استخدام سفنها لميناء الكويت. تفهمت السلطات البريطانية موقف الشيخ صباح واستجابت لطلبه.

ولكن السلطات العثمانية استمرت في إثارة المشكلات في نفس العام، والتي ظهرت في القضية التي رفعها آل زهير ضد شيخ الكويت بشأن ملكيته لأراضي منطقة الصوفية، وتعرض الشيخ عبد الله بن صباح لموقف صعب عندما أصدرت محكمة في البصرة حكماً لصالح آل زهير وتدخل نامق باشا لإلغاء الحكم كما سبقت الإشارة لذلك تفصيلاً في المبحث الخامس. وكان ذلك في الشهور الأخيرة من حياة الشيخ صباح عام 1866. ورغم كل الضغوط العثمانية على الكويت للموافقة على وجود إداري عثماني كإنشاء مكتب جمارك، فقد قاومها شيخ الكويت ولم يقبل بها. وهذه الأحداث مسجلة وموثقة في عديد من المصادر، ولا يحتاج المرء إلى تكرارها.

كانت سياسة الآباء المؤسسين للكويت هي الحفاظ على استقلالها في إدارة أمورها، دون تدخل خارجي، وكان على شيخ الكويت عمل حسابات وموازنات بين القوى الكبرى في الخليج لتحقيق ذلك الهدف، وفي عهد الشيخ جابر ومع تصاعد الضغوط لزيادة النفوذ البريطاني الذي وصل إلى حد طلب رفع الراية البريطانية على بيته وسفنه، وإقامة قواعد ومخازن على أرض بلاده، لوّح باستخدام الورقة العثمانية

لتخفيـف الضغـوط البريطانية.

ولقـد قام الشـيخ بالاسـتفادة مـن التنافـس العثماني البريطانـي للحفاظ علـى حُريـة الكويـت في إدارة شـؤونها الداخليـة والخارجية.

الخاتمة

تناول هذا الكتاب جوانب مُختلفة من أوضاع الكويت الداخلية وعلاقاتها الخارجية في ظل الإدارة القديرة للشيخ جابر بن عبدالله الصباح الحاكم الثالث للكويت، والذي حكمها قُرابة نصف قرن، وهي أطول مُدة حُكم لأحد شيوخ الكويت. شهدت فترة حُكمه أحداثاً جساماً وتطورات مُهمة في كُل المجالات، واستطاع الشيخُ أن يتعامل معها بحكمة. وفي عهده، تعرضت الكويت لمُحاولات اعتداء، وشاركت بقواتها في حملاتٍ برية وبحرية لدعم حُلفائها في الخليج.

واستطاع الشيخ أن يُحقق التوازن بين إيمانه بسياسة المُسالمة وحسن الجوار على اعتبار أنها البيئة المُناسبة لنمو التجارة وازدهار الاقتصاد، والقُدرة على الحسم واستخدام القوة دفاعاً عن الكويت إذا تطلب الأمر ذلك.

وأقتبس هذه العبارة التي تلخص مكانة الشيخ جابر في تاريخ الكويت وهي: "فهو يعد واحداً من أبرز الشخصيات السياسية التي عرفتها المنطقة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، فبحكمته، وعلاقاته الطيبة بمعظم القوى الإقليمية والدولية في ذلك الوقت استطاع أن يمنح بلاده دفعة قوية لتتحول تلك البلدة الصغيرة إلى إمارة مستقلة تتمتع باحترام الجميع، وهو بذلك يكون قد وضع لبنة أساسية لما أكمله حفيده (أسد الجزيرة) الشيخ مبارك الصباح بعد ذلك»[1].

1- إبراهيم حامد الخالدي، دخلنا بلداً يقال لها الكويت، مرجع سابق، ص12.

قائمة المراجع

باللغة العربية

أولاً- الكتب

1. إبراهيم حامد الخالدي، دخلنا بلداً يقال لها الكويت (الكويت: مطابع القبس التجارية، 2011)
2. أحمد البشر الرومي، مقالات عن الكويت (الكويت: مكتبة الامل، د.ت)
3. أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث 1163 - 1385، 1750 - 1965 (الكويت: ذات السلاسل، 1984)
4. دون مؤلف، سجل الكويت اليوم (الكويت: دائرة المطبوعات والنشر،1956)
5. دون مؤلف، سجل العطاء الوقفي (الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، 1416هـ)
6. بيت الزكاة، محسنون من بلدي، الجزء الأول (الكويت: بيت الزكاة، طبعة ثانية، 2001)
7. عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام (جمع وترتيب وتصحيح)، تاريخ ابن لعبون، خزانة التواريخ النجدية، الجزء الرابع الطبعة الأولى (دون مكان نشر: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1419/ 1999)
8. ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، 7 أجزاء، طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، د. ت
9. ج. فورتر سادلير، مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج (العربي) إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام 1819، ترجمة أنس

الرفاعي وتقديم عباس منصور (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013)

10. جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلد الأول إمارات الخليج العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول 1507 - 1840 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1997)

11. حسن العنزي، أيام الزبير وذكريات الزمن الجميل، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2012)

12. حسن علي الإبراهيم، الكويت دراسة سياسية، (الكويت: دار البيان، 1972)

13. حمد عبد المحسن الحمد، الكويت والزلفي هجرات وعلاقات وأسر، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010)

14. حمد عبد الهادي جمال، أسواق الكويت القديمة، (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2004)

15. خالد حمود السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي، (الإسكندرية: المكتبة الجامعية، 2000)

16. خالد سالم محمد، شعراء الفن والسامري في الكويت، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2002)

17. جزيرة فيلكا أشهر الجزر الكويتية تاريخها.. تراثها (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2006)

18. خالد طعمة، الكامل في تاريخ الكويت (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2017)

19. خالد فهد الجار الله، صحة الكويت قراءة في وثائق كويتية وأجنبية (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2019)

20. خلف بن صغير الشمري، المستودع والمستحضر في أسباب النزاع بين مبارك

ويوسف الإبراهيم 1896 - 1906 (الكويت: دار نينوى، 2008)

21. راشد بن فاضل البنعلي، مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل (قبيلة آل بن علي) سليم والمعاضيد، تحقيق حسن بن محمد بن علي آل ثاني (الدوحة: بدر للنشر الطبعة الثانية، 2007)

22. رأفت غنيمي الشيخ وآخرون، استراتيجية الدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي 1869 - 1914 في إطار التنافس العثماني البريطاني على أقطار الخليج العربي (القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2014)

23. صالح حسن الفضالة، الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف (بيروت: دار الكتب العلمية، 2013)

24. صبري فالح الحمدي، الكويت نشوؤها وتطورها 1750 - 1871(لندن: دار الحكمة، 2005)

25. عارف مرضي الفتح، الإيجاز في تاريخ البصرة والأحساء ونجد والحجاز 622 - 1965، المجلد الثاني (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2009)

26. عبد الجليل بن ياسين بن إبراهيم الطبطبائي الحسني الهاشمي الشافعي (1190 - 1270)، القول الحسن فيما يُستقبح وعما يُسن، حققه عبد العزيز بن أحمد البداح (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2011)

27. عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، إمارة الزبير بين هجرتين سنتي 979هـ - 1400هـ الكويت، (حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1985)

28. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز الناصر، الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2015)

29. عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، طبعة منقحة. وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد (بيروت: منشورات دار مكتبة

الحياة، 1978)

30. عبد العزيز سليمان نوار، داوود باشا والي بغداد (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968)

31. عبد العزيز بن عبد الله بن لعبون، أمير شعراء النبط محمد بن لعبون 1205 - 1247 سيرته ودراسة في شعره (الكويت: دار ابن لعبون للنشر والتوزيع، 1997)

32. عبد العزيز محمد المنصور، الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة 1896 - 1915، (الكويت: ذات السلاسل، 1980)

33. عبد الكريم محمود غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث 1500 - 1918، الجزء الأول العراق والجزيرة العربية (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1960)

34. عبد الله بن إبراهيم بن القملاس، تاريخ الزبير والبصرة مع إشارات إلى تاريخ الكويت والأحساء، (دجلة: دار الخزام للنشر والتوزيع، 2006)

35. عبد الله بن خالد الحاتم، من هنا بدأت الكويت، الطبعة الثانية (الكويت: مطبعة دار القبس، 1980)

36. عبد الله زكريا الأنصاري، فهد العسكر حياته وشعره (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1979)

37. عبد الله النوري، حكايات من الكويت (الكويت: الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985)

38. عبد الله يوسف الغنيم، بحوث مختارة من تاريخ الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2005)

39. عبد المالك خلف التميمي، أبحاث في تاريخ الكويت (الكويت: دار قرطاس للنشر، 1998)

40. عبد المحسن عبد الله الخرافي، مربون من بلدي، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1998)

41. عائلة العثمان مدرسة السفر الشراعي في الكويت (الكويت، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2003)

42. عائلة الغنام رمز الضيافة الأصيلة للديوان الكويتي (الكويت، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2008)

43. التاجر الأسوة في كويت الماضي، الجزء الأول (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2018)

44. الأيادي البيض سجل الوفاء للمحسنين الكويتيين في مجال دعم الخدمات الصحية، (الكويت: د. ن، 2004)، ص 110

45. عدنان بن سالم بن محمد الرومي (إعداد)، تاريخ مساجد الديرة القديمة (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1988)

46. عدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي (بحث وإعداد)، حملات الحج الكويتية على الإبل (الكويت: المنار الإسلامية. دار اقرأ للنشر والتوزيع، 2005)

47. علي أبا حسين، لمحة من تاريخ مدينة الزبير تراجم ووثائق، (مملكة البحرين: مؤسسة فخراوي للدراسات والنشر، 2009)

48. علي عبد اللطيف خليفوه، موسوعة المعارك الكويتية 1783 - 1928، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 2012)

49. علي عفيفي علي غازي، الصراع الأجنبي على العراق والجزيرة العربية في القرن التاسع عشر (بيروت: الرافدين، 2015)

50. فتوح الخترش ج.ج. سلدانها، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك الكبير (الكويت: ذات السلاسل، 1990)

51. فيصل عادل الوزان، تجارة النقل البحري في الكويت من خلال أسرة حمد عبد الله الصقر دراسة وثائقية (1871 - 1930) (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2019)

52. مجموعة مؤلفين، تاريخ التعليم في دولة الكويت دراسة توثيقية، المجلد الأول (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2002)

53. محمد بن إبراهيم الشيباني، حكام الكويت (قراءة جديدة في تاريخ مبايعات الكويتيين لأمرائهم 1117 - 1427، 1705 - 2006 (الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، 2007)

54. تحرير، الأمراض الفتاكة في تاريخ الكويت: الطاعون-الجدري-الأنفلونزا (الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، 2017)

55. محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998)

56. محمد علوي عبد الرحمن باهارون، الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايع (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2012)

57. محمد محمود عبد الرزاق، دور الرحالة الغربيين في توثيق تاريخ الكويت، (الكويت: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، 2017)

58. مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي (إعداد)، وثائق أسر كويتية نجدية، (الكويت: مكتبة البابطين، 2017)

59. كامل العبد الجليل، ذاكرة وطن (الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، 2019)

60. نتاليا نيكولايفينا تومانوفيتش، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر. ترجمة سمير نجم الدين سطاس (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2006)

61. نورة محمد القاسمي، الوجود الهندي في الخليج العربي 1820 - 1947

(الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام، 1996)

62. وليام فيسي وجيليان غرانت، الكويت في عيون أوائل المصورين (لندن: مركز لندن للدراسات العربية، 1998)

63. وليد عبد الله المنيس، الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2011)

64. يعقوب عبد العزيز الرشيد، الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ، (الكويت: حقوق النشر محفوظة للمؤلف، 1963)

65. يوسف بن عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت (الكويت: ذات السلاسل، 1988م)

66. يوسف فرحان دوخي، الأغاني الكويتية (الدوحة: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، 1984)

ثانياً- الدوريات

1. أحمد مصطفى أبو حاكمة، «الكويت في سجلات شركة الهند الشرقية»، مجلة العربي، العدد 30، مايو 1961

2. بنيان سعود تركي، «العلاقات التجارية بين الكويت وشرق أفريقيا 1899 - 1945»، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد الأول «أكتوبر 2016»

3. جاسم عباس أشكناني، «صفحات من الذاكرة»، ملحق القبس، العدد 52، الجزء الأول 2009، متاح إلكترونياً

4. «صفحات من الذاكرة»، ملحق جريدة القبس، الجزء الثاني 2010 متاح إلكترونياً

5. «صفحات من الذاكرة»، ملحق جريدة القبس 56، الجزء الثالث 2011، متاح

إلكترونياً

6. جلال بن خالد الهارون الأنصاري، «مراجعة الموروث التاريخي الخليجي لثلاثة قرون ماضية العتوب نموذجاً»، مجلة الواحة، العدد 41، (أكتوبر 2007) متاح إلكترونياً

7. خالد النزر "آل عصفور في إقليم البحرين 2/2"، مجلة الواحة، العدد 37 (بيروت، نوفمبر 2007)

8. عبد الله يوسف الغنيم، «البلط البحري»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 41 (يناير 2013)

9. قراءة في وثائق أسرة النصف، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد (يوليو 2015)

10. علي عبد الخالق علي، "أثر عبد الجليل الطبطبائي في نهضة الشعر بالخليج العربي 1190 - 1270/ 1776 - 1853م"، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة المنوفية (مصر)، العدد 14، (1414 - 1994)

11. فيصل عادل الوزان، «تجارة الصوف والجلود في الكويت من خلال وثائق الخرافي والسديراوي»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 71 (يوليو 2020)

12. فيصل بن عبد الله الكندري، «نشاط المرأة الكويتية من خلال وثائق الوقف 1263 - 1348هـ/ 1847 - 1930م»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية (الكويت)، المجلد 20، العدد 78 (ربيع 2002)

13. هيئة التحرير «اللواءات السياسية إلى الكويت والنفي إليها منذ تأسيسها إلى أعوام الستينيات»، تراثنا، العدد الحادي عشر، (ذو القعدة 1419 / مارس 1999)

14. هيئة التحرير، "من وثائق الأرشيف البريطاني: أول اتفاقية للكويت مع

بريطانيا"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 7 (يونيو 2004)

15. هيئة التحرير، «تجارة الخيول العربية في الكويت وتصديرها»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، عدد8 (سبتمبر 2004)

16. هيئة التحرير، "ماذا كان يقرأ الكويتيون من الكتب والصحف القديمة"، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 12 (سبتمبر 2005)

17. هيئة التحرير، "وثائق أسرة العسعوسي، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية"، عدد 20، (أكتوبر 2007)

18. هيئة التحرير، «وثائق عائلة العنجري»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 26، (أبريل 2009)

19. هيئة التحرير، "على هامش تجارة الخيل والقهوة في الكويت"، (وثيقة من محفوظات علي غلوم الرئيس)، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 27، (يوليو 2009)

20. هيئة التحرير، «الكويت في الخرائط الملاحية»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 28، (أكتوبر 2009)

21. هيئة التحرير، «الكويت في البطاقات البريدية (إضافة جديدة)»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 29 (يناير 2010)

22. هيئة التحرير، «وثائق العبد الجليل»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 42 (أبريل 2013)

23. هيئة التحرير، «علم الكويت»، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، عدد46 (أبريل 2014)

24. هيئة التحرير، «وثائق الصقر إضافات جديدة لتاريخ وطن»، رسالة الكويت،

مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 48 (أكتوبر 2014)

25. هيئة التحرير، «وثائق من تاريخ الخيول الأصيلة في الكويت، رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدد 53 (يناير 2016)

26. نص رسالة القنصل الفرنسي في "فكرة الحماية البريطانية على الكويت في ثلاث وثائق فرنسية (1866 - 1867)"، رسالة الكويت، السنة الرابعة عشرة، العدد 67، يوليو 2019

27. هيئة التحرير، «تجارة السلوق واللؤلؤ فصول من تاريخ العلاقات التجارية الهندية مع القطيف»، مجلة الواحة، (بيروت)، العدد 1 (أكتوبر 2007) المصدر متاح إلكترونياً

28. هيئة التحرير، "الأحساء والقطيف ونجد في وثائق مصرية"، مجلة الواحة، بيروت، العدد 5، سبتمبر 2008

ثالثاً- الرسائل الجامعية

1. عماد عبد السلام رؤوف العطار، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك 1749 - 1831، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1976

2. محمد معيض عبد الله العازمي، المقابر والشواهد القبرية في الكويت، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة آل البيت، 2016

3. مخلد بن قبل رابح الحريص المطيري، علاقات الكويت السياسية بالدولة العثمانية 1113 - 1342هـ / 1701 - 1924م، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم التاريخ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم، 2012

رابعاً- المواقع الإلكترونية:

1. موقع منتدى تاريخ الكويت، سيرة الشيخ جابر العيش، 31 - 7 - 2008
2. «أسوار الكويت راسخة في الذاكرة والوجدان وشاهدة على تاريخ البلاد وتكاتف أهلها» مقال بثته وكالة الأنباء الكويتية كونا بتاريخ 18 - 1 - 2011. متاح إلكترونياً
3. «أدلة ووثائق توضح الحقائق. مسجد العدساني أسسه القاضي محمد بن عبدالرحمن» جريدة الرأي، العدد 12636 بتاريخ 4 فبراير 2014. متاح إلكترونياً
4. جريدة البيان بتاريخ 13 أبريل 2016، متاح إلكترونياً

باللغة الإنجليزية

1. Al Khalifa, Abdulaziz Mohamed Hasan Ali, **Relentless Warrior and Shrewd Tactician: Shaikh Abdullah bin Ahmed of Bahrain1795-1849**, PHD thesis submitted to University of Exeter, 2013.
2. Al-Otabi Mubarak, **The Qawasim and British Control Of The Arabian Gulf,** Thesis Presented For The Degree Of Doctor Of Philosophy, University Of Stanford, International Studies Unit, 1989.p.51
3. Al-Amr, Al-Beeshl Saeed Amr M., **The Social and Political History of the Western Coast of the Gulf, 1207-1256/1793-1840**, PHD thesis submitted to University of Manchester, 1994
4. Al-MulaifiAGhazi Faisal , Al-Kout and the Sea**: An Inquiry into the Production of Kuwaiti Maritime Heritage**, PHD Thesis Submitted to New York University, 2016.
5. Alajmi, Mohammed, **History of Architecture in Kuwait: the Evolution of Kuwaiti Traditional Architecture prior to the Discovery of Oil**, PHD Dissertation Submitted to University of Nebraska, 2009.

قائمة المحتويات

إهداء 5
لماذا هذا الكتاب؟ 7
المقدمة 9
المبحث الأول: سيرة حياة 15
أولاً- الصفات الشخصية 18
ثانياً- نهج الحكم والإدارة 27
ثالثاً- الحفاظ على استقلال الكويت 33
رابعاً- تولي الشيخ صباح بن جابر الحكم 41
المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية 45
أولاً- الأسواق 47
ثانياً- الأنشطة الاقتصادية 52
ثالثاً- التجارة مع الخارج 56
المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية 70
أولاً- السكان ومظاهر الحياة الاجتماعية 73
1. تطور عدد السكان 73
2. الجلوات (الهجرات) إلى الكويت 75
3. العادات وأنماط الحياة اليومية 81
ثانياً- بناء المساجد وأعمال البِّر والوقف 84
ثالثاً- التعليم والعلوم الدينية 93
رابعاً- الصحة 97
خامساً- الشعر والشعراء 103

المبحث الرابع: تطور علاقات الكويت مع نجد والبحرين 108
أولاً- نجد 110
ثانياً- البحرين 119
المبحث الخامس: تطور العلاقات مع القوى الإقليمية الأخرى 126
أولاً- البصرة 126
ثانياً- الزبير 137
ثالثاً- المحمرة 142
رابعاً- بوشهر 145
المبحث السادس: الكويت والسعي إلى التوازن بين القوى الكبرى 149
أولاً- تطور الاهتمام البريطاني بالكويت 151
ثانياً- ردود الفعل الفرنسية 164
ثالثاً- ردود الفعل العثمانية 166
الخاتمة 169
قائمة المراجع 171

صدر للمؤلفة

الكتب المتخصصة:

1 التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة
2 أضواء على الاقتصاد الكويتي
3 المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة
4 الأوبك: التجربة السابقة والتوقعات المستقبلية
5 السوق النفطي الجديد: السعودية تسترد زمام المبادرة
6 أزمة الموارد في الوطن العربي
7 هل تسمحون لي أن أحب وطني
8 صقر الخليج: عبدالله مبارك الصباح
9 حقوق الإنسان في العالم المعاصر
10 حقوق الإنسان: بين النظرية والتطبيق
11 ماذا تعرف عن حقوق الإنسان؟
12 أوراق في قضايا الكويت (1, 2)
13 أوراق في الاقتصاد الخليجي
14 أوراق في السياسة الدولية
15 أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي (1, 2)
16 أوراق في السياسة النفطية (1, 2)
17 مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة
18 كلمات خارج حدود الزمن
19 تاريخ الشيخ عبدالله مبارك الصباح في صور
20 الكويت في عهد عبدالله بن صباح الصباح
21 مرت السنوات ومازالت كما هي الكلمات
22 وتبقى شجرة الصداقة مثمرة
23 الكويت في عهد محمد بن صباح الصباح

الإصدارات الشعرية:

1 من عمري
2 أمنيــة
3 إليك يا ولدي
4 فتافيت امرأة
5 في البدء كانت الأنثى
6 حوار الورد والبنادق
7 برقيات عاجلة إلى وطني
8 آخر السيوف
9 قصائد حب
10 امرأة بلا سواحل
11 خذني إلى حدود الشمس
12 القصيدة أنثى والأنثى قصيدة
13 والورود تعرف الغضب
14 رسائل من الزمن الجميل
15 الشعر والنثر.. لك وحدك
16 وللعصافيرِ أظافرُ تكتبُ الشِّعر
17 قراءة في كف الوطن

لماذا هذا الكتاب؟

تستلهم الشعوب من تاريخها عناصر قوتها وإرادتها ووحدتها الوطنية لتحقيق تطلعاتها وأمانيها؛ ولذلك اهتممتُ بالكتابة عن الشخصيات التي تركت بصماتها على تاريخ الكويت، فصدر لي أربعة كتبٍ؛ أولها عن الشيخ عبدالله مبارك الصباح، والثاني عن والده الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت السابع، ثم كتاب عن الشيخ عبدالله بن صباح الصباح الحاكم الخامس للكويت، وفي الرابع تحدثت عن عهد الشيخ محمد بن صباح الصباح الحاكم السادس للكويت، وهذا هو الكتاب الخامس عن الشيخ جابر بن عبد الله الصباح حاكم الكويت الثالث ونجله الشيخ صباح الحاكم الرابع.

وتوضِّح صفحات هذا الكتاب العلاقة الوثيقة التي جمعت بين أهل الكويت حكّاماً ومحكومين، وأن حُكْم الكويت اتّسم بروح التشاور والتسامح، وهو ما أعطى لتاريخها نكهة خاصة تميّزت بها عن جيرانها.

وأدعو الله أن يمكّنني من استكمال الكتابة عن مرحلة تأسيس الكويت والرعيل الأوّل من حكّامها الذين وضعوا أسس بناء الدولة والمجتمع، والتي تهتدي بها الكويت حتى الآن.

سعاد محمد الصباح

دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع